الجامعة الأردنيـــــة
كلية الدراسات العليـا

عميد كلية الدراسات العليا

شعر حميد بن عبدالله الجامعي
" أبو سرور "

محمود بن مبارك بن حبيب السليمي

إشراف
الأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين

قدمت هذه الرسالة إستكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

أيار/ ١٩٩٥م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٢٩ / ٥ /١٩٩٥ وأجيـــزت ٠

أعضاء لجنـــة المناقشـــة		التوقيع
٠١	الأستاذ الدكتور ابراهيم السعافين (مشرفا)	.....
٠٢	الأستاذ الدكتور محمود ابراهيم (عضوا)	.....
٠٣	الدكتور سمير قطامـــــــي (عضوا)	.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكـر وتقديـر

يشرفني أن أتوجه بالشكر والتقدير لأستاذي الفاضل المشرف على هذه الرسالة ، الأستاذ الدكتور ابراهيم السعافين ، الذي منحني من وقته ، وأفاض علي من علمه ، ولما لمسته فيه من سعة صدر ، وحسن أناة ، وما أعانني على إنجاز هذا العمل ، وبما تحمله من مشاق قراءة هذه الرسالة ، فأضاءها بتوجيهاته وملاحظاته .

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الكريمين ، عضوي لجنة المناقشة ، الأستاذ الدكتور محمود ابراهم ، والدكتور سمير قطامي ، اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة وتقويمها ، والله عنده حسن الثواب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
- قرار لجنة المناقشة	ب
- الإهـــــــداء	ج
- شكر وتقديـــــر	د
- قائمة المحتويـــات	هـ
- الملخص باللغة العربية	ز
- التمهيـــــــد	١
الفصل الأول: أغراضه الشعرية ، دراسة موضوعية	٤٨
- الغزل	٤٩
- الشعر القومي الإسلامي	٧٦
- الشعر الوطني	٩٢
- الرثـــــاء	١٠٩
- الإخوانيات	١٢٩
- أغراض أخرى :	١٤٩
- الفخـــر	١٥٠
- الشكوى	١٥٤
- الزهـــد	١٥٧
- الحكمـة	١٦١
الفصل الثاني : الخصائص الفنية في شعر أبي سرور	١٦٦
- بنية القصيدة	١٦٧
- اللغـــــــة	١٩٦
- الصـــــورة	٢٣٨
- التشكيل الموسيقي	٢٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تابع قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
- الخاتمة	٢٦٧
- قائمة المراجع	٢٧١
- الملخص باللغة الانجليزية	٢٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخـــص

شعر حميد بن عبدالله الجامعي " أبو سرور "

محمود بن مبارك بن حبيب السليمي

إشراف
الأستاذ الدكتور : إبراهيم السعافين

سعت هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن شخصية شعرية عمانية معاصرة بغية الإسهام في إعطاء صورة عن الأدب في عمان ، تتكامل مع صورة الحياة الأدبية في الوطن العربي الكبير ٠

ذلك هو الشاعر العماني " حميد بن عبدالله الجامعي "أبوسرور" الذي اشتهر في عمان بتصدره لحلبات المنتدى الأدبي والنادي الثقافي ، كما كانت له إسهامات واضحة في المهرجانات الشعرية العربية خارج عمان ٠

وقد شهد الشاعر فترة تشكل تحولا تاريخيا وحضاريا في عمان ، وعايش أحداثا في هذا القطر ، ووقف شاهدا على جوانب التغيير الواضح بين عهود مختلفة ، شهدت ثورات متعددة الإتجاهات ، متشعبة الأيديولوجيات ، وقد عرف يوما ما ، بانضوائه تحت لواء أحد هذه الاتجاهات ٠ ومن هنا تأتي أهمية دراسة شعره ، ذلك أن نتاج الشاعر خير ما يكشف عن جوانبه الفكرية والأدبية ٠

وأفادت الدراسة في منهجيتها من المناهج النقدية ، التراثية منها والمعاصرة ، بما يتناسب والنصوص الشعرية ، وحيثما اقتضت الحاجة في معالجة الموضوعات ، ودراسة البيئة وأثرها في تشكيل تجربة الشاعر ، وفق السياق الاجتماعي ، والمنهج الخارجي في دراسة الأدب ، ولا يعدم الباحث من الإفادة من المنهج الداخلي في تحليل بعض النصوص الشعرية ٠

وأقيمت خطة البحث على تمهيد وفصلين وخاتمة ٠ تكفل التمهيد بإلقاء الضوء على حياة الشاعر وبيئته ، فانتظم في مبحثين :

الأول : عني بدراسة البيئة ، وقد سار في اتجاهين يكمل أحدهما الأخر جرى الحديث في القسم الأول منه عن عمان ، تاريخا وحضارة وإسهاما في مسيرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحيـاة الفكريـة والأدبيـة ، وانفـرد القسـم الثانـي منه بالحديث عن مدينة الشاعر " سمائل " باعتبار أن الوسط الـذي ينشـأ فيـه الفرد لا بـد أن يـترك بصماتـه علـى نشأته وثقافته ونشاطه الفكري • فحظي تاريخ هذه المدينـة ، وأهم رجالاتها فـي الأدب والفكر والسياسة بمساحة مناسبة من الدراسة •

وتخصص المبحث الثاني : في دراسة الشاعر ، ولادتـه ، نشـأته ، تعليمـه ، بـدءا من اختلافه إلى الكتـاب وقـراءة القـرآن الكريـم ، ومـرورا بدراسـته للغـة والعلـوم الفقهية ، حيث انتظم في حلقات علماء بلدته •

أما الفصل الأول : من الدراسة ، فقد عنـي ببحث أهـم الأغـراض الشـعرية التـي طرقها ، وقد توزع على ستة مباحث :

- شعره الغزلي •
- شعره القومي الإسلامي •
- شعره الوطنـــــــــي •
- شعر الرثـــــاء •
- الشعر الإخواني •
- أغراض أخرى • التي منها : الفخر ، الشكوى ، الزهد ، الحكمة •

وتصدر الفصل الثاني لمعالجة الخصائص الفنية موزعة على :

- بنيـــة القصيـــدة •
- اللغـــــــــة •
- الصـــــــورة •
- التشكيل الموسيقي •

وجاءت الخاتمة متضمنة نتائج البحث التي تم التوصل إليها على ضـوء حياة الشاعر وتحليل نتاجه • ومنها أن مصادر التجربة الشعورية ، لهـا أثـر بعيد في تحديد الاتجاهات والموضوعات الشعرية ، وتعميق بعضها دون الأخر وهذا ما يفسر لنا سر اهتمام الشاعر بغرض الفخر ، أو التغني بعمـان تاريخـا وحضـارة ، كما أظهرت الدراسة تميزه من بين أبناء جيله ، في طـرح القضيـة القوميـة ، إلـى جانب القضية الوطنية ، فضلا عن صراحته في طرح آرائـه الوطنيـه والقوميـة • وأخيرا فإن مهنـة التعليم التـي مارسـها الشـاعر تركـت أثـرا واضحـا علـى لغتـه الشعرية ، التي تميزت بالسهولة والوضوح والمباشرة في الخطاب ، بداعي إيصال الفكرة إلى المتلقين فـي سـهولة ويسـر ، كمـا أن الرؤيـة التقليديـة للشـعر باعتبـار وظيفته الاجتماعية ، كان سببا آخر في تعامله مع اللغة تعاملا وظيفيا •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيـــــد :

□ المبحث الأول : بيئـــــة الشاعـــر

أ. عمـــــــان

ب. سمائـــــــل

المبحث الثاني : أبو سرور : نشأته وتكوينـــه الثقافـــي

أ. نشأتـــــــه

ب . تكوينه الثقافي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمـــــان

— ١ —

عمان – بضم أوله وتخفيف ثانيه – هو الاسم الـذي أطلقه عليها عرب الأزد وكانت الفرس قبلا تسميها " مزونـا " ٠ وقد ورد في إطلاق هذه التسمية عليها تفسيرات عديدة ، منهـا أن الأزد (سمت عمان عمانـا" لأن منازلهم كانت علـى واد لهـم بمأرب يقال لـه عمان فشبهوها بـه ، والعجم تسميها مزونـا)(١) واستشهد بقول بعض العرب :

إن كسرى سمى عمان مزونـا ومزون يا صاح خير بـلاد
بلدة ذات مزرع ونخيـــــل ومراع ومشرب غيرصـاد (٢)

وهناك اسم ثالث كان يطلق عليها قديما يقترب من لفظة " مزون" وهو اسم "مجـان" أو " ماجان " كانت تعرف به قديما ، وهـو اسم لـه دلالتـه التجاريـة في استخراج النحاس (كما ورد كثيرا في اللوحات المسمارية مقترنا بالتجـارة ، لا سيما تجارة النحاس والديورايت)٠(٣) " ومما يؤيد أن " مجان " التي يرد ذكرهـا في النقوش المسمارية هي إقليم عمان ، أن هذه النقوش تصف " مجان " بأنها جبـل النحـاس ٠ والمعروف أن النحاس لا يزال موجودا" في الجبل الأخضر في عمان ، وأن نحاس هذا الإقليم يحتوى علـى كميـة من القصدير مثل الذي كان يجلبـه السـومريون والأكاديون الى وادي الرافدين " ٠(٤)

---

٠١ مصنف مجهول ، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، تحقيق ودراسة وتعليق ، إعداد : أحمد عبيدلي – دلمـون للنشر – نيقوسيـا – قبرص – ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ – ص ٢٢٠ ٠

٠٢ المصدر السابق ، ص ٢٢٠ ٠

٠٣ وليم فايس وآخرون ، عمان وتاريخها البحري ، وزارة الإعلام بعمان ١٩٧٩م – ص ١٦ ٠

٠٤ سيدة إسماعيل كاشف ، عمان في فجـر الإســلام ، ط٣ ، دار جريدة عمان للصحافة والنشر ، وزارة التراث القومي والثقافة – عمان – فبراير ١٩٨٩ ، ص١٠ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وصفها ياقوت الحموي بقوله : " عمان اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند ، وعمان في الإقليم الأول طولها أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها تسع عشرة درجة وخمس وأربعون دقيقة ، في شرقي هجر ، تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع إلا أن حرها يضرب به المثل"(١) "وهجر اسم للبحرين والإحساء قصبتها " (٢) " ولم يكن يفصلها عن العراق سوى البحرين "(٣) وبهذا اتسع مفهوم عمان لنراها " تشمل المنطقة الممتدة من قطر إلى حضرموت وتسمى أحيانا بعمان الطبيعية "(٤) وبذلك تمتد سواحلها " حوالي ٣٢٠٠ كيلو مترا ٠٠٠ من حدود قطر حتى حضرموت "٠(٥)

تقع عمان في الركن الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة العربية " وهي مطلة على بحر العرب والمحيط الهندي وخليج عمان والخليج العربي "(٦) " وتمتد سواحلها على خليج عمان والبحر العربي لمسافة ١٨٠٠ كيلو مترا"(٧) وتعد " من أمهات مقاطعات شبه الجزيرة العربية "٠(٨)

---

٠١ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر - ١٩٥٧- ٤ : ١٥٠ .

٠٢ المقدسي ، أحسن التقاسيم ٠٠٠ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط٣، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ص ٩٣ .

٠٣ سيدة اسماعيل كاشف ، عمان في فجر الإسلام ، دار جريدة عمان للصحافة والنشر - ط٣ ، ١٩٨٩م ص ٩ .

٠٤ عائشة علي السيار ، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا ، دار القدس ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٥م ص ١٤ .

٠٥ د٠ مديحة أحمد درويش ، سلطنة عمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، دار الشروق ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢م ، ص ٢٢ .

٠٦ دهشام الصفدي وآخرون ، الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي ، مكتب التربية لدول الخليج ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨، ص٥١٥ .

٠٧ د٠محمد أبو العلا محمد ، موقع عمان الجغرافي وعلاقاتها المكانية ، مطبعة الجبلاوي شبرا ، ١٩٨٥ ، ص ٩ .

٠٨ عمر رضا كحالة ، جغرافية شبه الجزيرة العربية ، دمشق ، ١٩٤٥،ص٤٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويجد الباحث في تحديد المعالم الجغرافية العمانية فارقا بين التحديد السابق لها ، لا سيما في الكتب الجغرافية القديمة ، والتعريف الحديث ، فالكتب الجغرافية القديمة حينما تذكر عمان فإنها تشير إلى المساحة المكانية الواقعة بين بحر العرب شرقا" والبحرين غربا" والخليج شمالا" وحضرموت جنوبا * ٠ وهو مدلول أعم شامل لقسم كبير من الجزيرة العربية تدخل في نطاقه دول معروفة في العصر الحديث، ويفسر هذا القول ما ذكره المؤرخ العماني سالم بن حمود السيابي في قوله :" وعمان مملكة خالدة من عهد عريق ، تتولى ممالك فتضمها إليها أحيانا وتتأخر في بعض الأحايين فتبقى على كرسيها بعمان "(١) ويقول في كتاب آخر :" ولا عبرة بتجزئة هذه البلاد بالدويلات الحالية ، والإمارات الخليجية ٠٠٠ فذلك لا يغير من أصل وضع التاريخ الطبيعي ، والتاريخ نفسه شاهد بذلك"(٢) ٠

وتتحكم عمان في شمالها - عن طريق شبه جزيرة مسندم - بمضيق هرمز ، ذي الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية ، الذي يعد بوابة الخليج من الشرق ، حيث تمر من خلاله ناقلات النفط من دول الخليج الى الدول الصناعية ، وبذلك اكتسبت أهمية استراتيجية تلقي بثقل أكبر على واقعها المعاصر ٠

وقد منحها الموقع المتميز هذا أهمية خاصة ، نظرا لظروفها الجغرافية التي جعلتها تمثل هذه الأهمية داخليا وخارجيا ، من خلال استغلال العمانيين لهذا الموقع وأهميته على الوجه الذي هيأته هذه الظروف ، لكون عمان بلدا يتصل بالبحر من ثلاث جهات ، إذ فرض عليهم تبني ركوب البحر أولا" ، والاستعداد للمخاطر التي تنجم عن الأطماع الخارجية ثانيا ٠

وتتضح معالم هذه الأهمية في الأحداث التاريخية : الإقليمية والعالمية ، وتأثيرها في الأحداث السياسية ، والصراعات الدولية ٠ إذ لم يكن في وسع عمان أن تعيش بمعزل عنها ، بدءا بحركة التحرر الذاتي والإنفلات من قيود الدولة المركزية في دمشق وبغداد ، ومرورا" بمجابهة أساطيل الإمبراطورية البرتغالية والأطماع الأوروبية ، وانتهاء بالحركات الانفصالية في المنطقة الجنوبية للبلاد ٠

---

١٠ سالم بن حمود السيابي ، عمان عبر التاريخ ، وزارة التراث والثقافة في عمان ، جـ ٥ /٤٠ ٠

٢٠ سالم بن حمود السيابي ، العنوان عن تاريخ عمان ، د٠ط ، د٠ت ٠ص٨ ٠

* انظر مثلا" : ياقوت الحموي : معجم البلدان ،٤: ١٥٠، وسيدة اسماعيل كاشف : عمان في فجر الإسلام ، ص ٩ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-٢-

ونظرا لقرب أهل عمان من البحر ، وما يتطلبه ذلك ويتيحه ، فقد كان ركوبه واحدا من أهم مشاغلهم ، وكان بناء السفن المهنة الرئيسة التي اضطلع بها هؤلاء ٠ فجابوا البحار ووصلوا إلى بلدان شرق آسيا ، وإلى أفريقيا غربا ٠ فكانت بلادهم " حلقة الوصل بين شرق آسيا والجزيرة العربية وأفريقيا ٠ واكتسبت عمان أيضا من موقعها الجغرافي سلطة دفعت بقواتها وبسفنها إلى مناطق بعيدة في آسيا وأفريقيا "(١) ٠

والبيئة العمانية مزيج متداخل من الصحراء القاحلة ، والبحار الممتدة والسهول الخضراء ، والجبال الشاهقة ، مما يجعلها بيئة متناقضة التضاريس ٠ ولعل هذا التنوع في التضاريس أكسب البيئة العمانية شيئا من تنوع العطاء ، إذ تفاوتت هذه الطبيعة فهيأت ظروفا من النشاط مختلفة الألوان ٠

وجعلت من هذه الظروف المتباينة والمتكاملة – على حد سواء – عاملا مهما في قيام نشاط اقتصادي متمثل في نواح أملتها هذه الظروف ، من زراعة ورعي وصيد وتجارة ، مما مكن أهلها أن يعيشوا حالة أشبه ما تكون بالاكتفاء الذاتي " وقد تأثرت عمان بكل من البحر والصحراء حتى وإن كان للبحر الأهمية الأولى في حياة سكانها على مدى التاريخ ٠ وهذا ما أعطى لعمان شخصيتها المتميزة ، طبيعيا جزيرة بين البحر والصحراء ، وحضاريا مزيجا بين حياة البيئتين البحرية والصحراوية "٠(٢)

وعمان بلد يختلف في طبيعته الجغرافية والديموغرافية عن بقية شبه الجزيرة العربية في أن أرضه خصبة صالحة للزراعة شبيهة " بهضبة اليمن مما جعل لها كيانا تاريخيا كما كان لليمن ، وساعد ذلك الكيان على قيام دول منظمة نسبيا فيها "٠(٣)

---

١٠ د٠هشام الصفدي وآخرون ، الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي ، ص ٥١٥ ٠

٢٠ د٠ محمد أبو العلا محمد ، موقع عمان الجغرافي وعلاقاتها المكانية ، ص١٤ ٠

٣٠ عائشة علي السيار ، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا ، ص ،١٧ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن وقوع عمان في ساحل ممتد على بحار وخلجان مفتوحة جعلها قريبة من احتمالات المداهمة من لدن الآخرين طمعا في خيراتها ، الأمر الذي جعل أهلها يشعرون بضرورة التعاون لمجابهة هذه الاحتمالات الخطيرة ، وأبعدهم عن مهاوي الفرقة والتشرذم ، بل ربما كانت المخاطر الخارجية مدعاة لتوحدهم بعد أن عصفت بهم رياح الفرقة .

-٣-

استقر العرب في عمان بشكل دائمي على أثر توجه مالك بن فهم الأزدي إليها قادما من اليمن في جماعة من قومه ، وصراعه مع الفرس الذين كانوا يحتلونها ، وتمكنه من طرد هؤلاء منها ، حيث توالت القبائل العربية مهاجرة إليها مستقرة فيها .(١)

وبمجيء الإسلام ، ودخول العمانيين فيه طائعين ، يكتسب العمانيون الثقة من مركز الدولة في المدينة المنورة . ويثني أبو بكر الصديق رضى الله عنه - على أهل عمان في خطبته المشهورة في وفد منهم أثناء صحبتهم لعمرو بن العاص ، رسول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الى إهل عمان .(٢)

ثم بعد ذلك يتصدر العمانيون للمشاركة الفعالة في الفتوحات الإسلامية ، وللمحافظة على حوزة بلاد الإسلام ، فكان منهم القادة العظام من أمثال المهلب بن أبي صفرة في العصر الأموي ، والقائد الفاتح " موسى بن نصير العماني الذي فتح بلاد المغرب والأندلس .(٣)

وعندما حدثت الفتنة وانتهت بظفر بني أمية ، وانقلاب الخلافة الشورية إلى حكم وراثي . " كانت عمان مسرحا مهما من مسارح هذا النزاع " (٤)

---

١. مؤلف مجهول ، انظر كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، ص ٢١٩ .

٢. المصدر السابق ، ص ٢٤٠ .

٣. سليمان بن خلف الخروصي ، دولة اليحمد في عمان ، بحث مقدم لندوة الدراسات العمانية ، عام ١٩٨٠ ، حصاد ندوة الدراسات العمانية ، ١ : ٣٠٢ ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٦م .

٤. محمد علي الزرقا ، عمان قديما وحديثا ، دون ط ، ودون :ت - ص ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذلك بعد أن اعتنق غالبية أهلها المذهب الإباضي الذي يدعو إلى إقامة حكم شوري " أساسه الانتخاب وتنفيذ قواعد الشريعة " (١) فانتخبوا أول إمام في عمان وهو " الجلندى بن مسعود فكان سببا لقوة المذهب وكان عادلا مرضيا "(٢) .

وظل نظام الإمامة يحكم عمان في فترات متقطعة تظهر وتختفي منذ عام ١٢٩ للهجرة . واختلف عليها أئمة مشهورون بالصلاح والعدل والورع ، إلى أن ظهرت دولة اليعاربة . وبطبيعة الحال فإن هنالك فترات انقطاع في الإمامة ، لا سيما أثناء ظهور النباهنة الذي يغلبون فينصبون أنفسهم ملوكا على عمان حينا ، ويغلبهم الأئمة ليحكموها أحيانا أخرى .

ونظام الإمامة فكر سياسي يستند عقائديا إلى المذهب الإباضي ، الذي تقوم نظرته على رفض النظام الوراثي الذي جرت عليه الدولة الأموية ثم الدولة العباسية بعدها ، ولا يرون النسب القرشي شرطا في الخلافة ، فحسب الخليفة – من وجهة نظر الإباضية – أن يكون متصفا بالفضيلة والتقوى ، سائرا بموجب الكتاب والسنة لتكون خلافته شرعية وطاعته واجبة (٣) أما إذا انحرف عن هذه الصفات ، وخرج على هذه القواعد ، وجب خلعه .(٤)

وهذا يجعل نظام الإمامة المستند إلى الفكر الإباضي يقترب من النظرة العصرية الى نظام الحكم من حيث اختياره للإمام وفق متطلبات الكتاب الكريم والسنة النبوية ، وإمكانية خلعه في حالة خروجه عن الشروط التي عقد له الإمامة بموجبها .

---

١. محمد علي الزرقا ، عمان قديما وحديثا ، دون ط ، ودون : ت – ص٦٦

٢. مصنف مجهول ، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، ص ٢٤٨ .

٣. محمد بن ابراهيم الكندي ، انظر كتاب بيان الشرع ، الجزء الثامن والستون الخاص بالإمامة ، صورة مخطوطة لدى الباحث ، ص ٤٠ شروط اختيار الإمام .

٤. انظر : المصدر السابق ص ، ٢٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ٤ -

وكان لعمان شأن كبير في التاريخ العربي الحديث ، لا سيما في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ، اللذين نشطت فيهما الشركات الاستعمارية البرتغالية والهولندية والإنجليزية والفرنسية ، بما تمتلكه هذه الدول الأوروبية من سلاح وعتاد وأساطيل . في هذا الوقت تظهر دولة اليعاربة في عمان " وهي أول دولة عربية خالصة لحما ودما تصدت للبرتغاليين ، وخلصت الخليج والمحيط من نفوذهم ، كما تصدت الدولة العثمانية للأطماع الأسبانية في شمال أفريقيا . وللفخر أن دولة اليعاربة هي من أوائل الدول الإسلامية التي اقتسبت من الغرب الكثير في بناء أسطولها ، ذلك الأسطول الذي صارت الدول الأوروبية تحسب له حسابا "(١) وأصبحت عمان " الدولة الوحيدة بين الأقطار العربية التي كانت لها امتدادات خارج المنطقة العربية "(٢)

" وتشير كل المصادر التاريخية إلى أن الأسطول العربي في هذه الفترة كانت له من القوة والفعالية في المياه الشرقية ، إلى الحد الذي دفع دولا بحرية كبرى مثل إنجلترا إلى مد يدها لليعاربة "(٣) وبذلك تصبح دولة اليعاربة في عمان قوة بحرية ضاربة تفوق قوة أي أسطول من دول ساحل المحيط الهندي على الاطلاق "(٤) مما جعلنا نلاحظ أن المؤرخين الغربيين كانوا يتسابقون في وصف قوة اليعاربة البحرية ، إذ ينقل صلاح العقاد وجمال زكريا قاسم في كتابهما "زنجبار " عن المؤرخ الانجليزي كوبلاند Coupland الذي يقرر بأن قوة عمان البحرية " أصبحت في القرن الثامن عشر على درجة تخشاها الأساطيل الإنجليزية والهولندية في المحيط الهندي "(٥) .

---

١. عائشة علي السيار ، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا ، ص ٩ .

٢. د. أحمد شلبي ، عمان في التاريخ من أقدم العصور حتى الآن ، بحث مقدم لندوة الدراسات العمانية ، ١٩٨٠م ، حصاد ندوة الدراسات العمانية ، ١ : ١٦٠ ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٦ .

٣. عائشة علي السيار ، دولة اليعاربة في عمان وشرق افريقيا ، ص ٦٧ .

٤. المصدر السابق ، ص ٦٨ .

٥. نقلا" عن المصدر السابق ، ص ٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونرى بعد ذلك أن كثيراً من الكتاب والمؤرخين الغربيين يندهشون مما وصلت إليه هذه القوة إلى حد أنهم لم يكونوا مصدقين لما تشاهده أعينهم ، بل يعجبون كيف تجرأ الأسطول العماني العربي على القيام بأسر واحدة من أثمن سفن كلكتا التابعة للأسطول الإنجليزي دون القيام بعمل مضاد لهم (١) . ثم يقول هاملتون : إن الإمام وأسطوله جعلا الساحل والمنطقة الممتدة من خليج كومبرين إلى البحر الأحمر تعيش في حالة رعب وخوف ".(٢)

٤٥٧٣٠١

وعلى كل حال فإن هذه الأقوال وتلك الأوصاف تدل الباحث على عمق الشعور بقوة اليعاربة البحرية ، التي نجح العمانيون في تأسيسها بحيث تكون قوة ضاربة يحسب لها حساب ، وإن وصفت بأنها مثيرة للرعب والخوف . كما أن ملاحقة العمانيين للبرتغاليين في مستعمراتهم ومصالحهم ، ومواصلة الحملات ضدهم دليل على ثقتهم بأنفسهم ، وقدرتهم على شن عدة هجمات ناجحة على الوجود البرتغالي في المحيط الهندي وشرق أفريقيا ، وتعقبهم في كل موقع يتواجدون فيه . مما جعل أحد الباحثين يقيم صلة وربطا لطيفا ، لإيجاد وجه شبه بين ما فعله الأسبان والبرتغاليون إزاء المسلمين وبين دور اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا . فكما أن البرتغاليين والأسبان تتبعوا المسلمين إلى بعض ممتلكاتهم بعد أن تخلصوا من حكمهم ، فكذلك فعل العمانيون ، حيث أنهم لم يكتفوا بتخليص بلادهم من السيطرة البرتغالية ، بل تتبعوا الغزاة أيضا في ممتلكاتهم المتناثرة " وهو شبه واضح بين ما قام به البرتغاليون والأسبان في بلاد الأندلس ، وما قام به العمانيون من تصفية الوجود البرتغالي من الأراضي العمانية من فعل نفس الشيء ، بمحاولة تعقبه في مناطق تواجده ".(٣)

ومع هذه القوة التي امتلكتها دولة اليعاربة في عمان ، التي أدت الى وجود استقرار نسبي تمتعت به البلاد ، هيأ الفرصة للمشاركة الجادة في مسيرة الحضارة العربية الإسلامية ، بما شكلته من محاولات لتنظيم التعليم ، من بناء حصون وأماكن خاصة لنشره ، وبالإستفادة من النظام القبلي لتأكيد السلطة السياسية وفق العقيدة الإباضية وفكرها السياسي . فإن هذه الدولة القوية التي

---

١. عائشة علي السيار ، دولة اليعاربة في عمان وشرق افريقيا ، ص ٦٩ .
٢. نقلاً عن المصدر السابق ، ص ٧٠ .
٣. نقلاً عن المصدر السابق ، ص ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي وقفت في وجه القوى الغربية قد سقطت ، بعد أن عدت من أهم الدول التي عرفتها عمان والمنطقة في العصور الحديثة ، لقوتها البحرية الكبيرة ، التي استطاعت من خلالها إقامة تنظيمات سياسية ، يسودها الاستقرار في عمان وشرق أفريقيا ، وبما استطاعت إرساءه من ازدهار فكري بارز . ولكن الخلافات الناشبة بين أعضاء الأسرة أدت إلى إستعانة بعض هؤلاء بالفرس . فكان أن سيطر هؤلاء الفرس نتيجة ذلك ، على مساحة واسعة من الأرض العمانية ، عندها شعر العمانيون أن بلادهم مهددة في استقلالها وسياستها فالتفوا حول الإمام احمد بن سعيد الأزدي عام ١١٦٧ هـ (١) (١٧٥٣م) " أن وصول أحمد إلى الإمامة كان بعد تخلصه نهائيا من الفرس " (٢) فعد ذلك بداية لدولة جديدة هي دولة " آل بو سعيد" التي لا تزال تمسك بمقاليد الحكم في عمان. فواصلت الانطلاقة الجادة للعمانين إلى البحار الشرقية ، وتمكنت من المحافظة على القوة البحرية باعتبارها قوة سياسية فاعلة . فكانت هذه الدولة امتدادا حقيقيا لدولة اليعاربة . وبذلك دخلت عمان مرحلة جديدة من مراحل تاريخها المعاصر .

و" يعتبر انتظام عمان وشرق أفريقيا تحت حكم واحد في عهد دولة البوسعيد تحديدا" لأول دولة آسيوية أفريقية برزت في العصر الحديث ".(٣)

٥ : ١ -

مسيرة الحياة الأدبية والثقافية في عمان

لقد شارك العمانيون في رفد المسيرة الأدبية مشاركة فعالة وعميقة ، أدت دورها ، وكان لها بصمات واضحة المعالم بما تركته من تراث أصيل ، بقي شاهدا لهم على أهمية دورهم وإنجازاتهم الأدبية والفكرية .

فالنشاط الأدبي العماني يمتد عبر مساحات زمانية ومكانية واسعة ، وضمن مستويات متعددة ، ويظهر في أشكال مختلفة ، حاملا مهام ترفد الفكر

---

١. الإمام نورالدين السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، ج٢ ص١٦٢ .
٢. د. جمال زكريا قاسم ، دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا ، مكتبة القاهرة الجديدة ١٩٦٧ ، دون ط ، ص ٤٦ .
٣. المصدر السابق ، ص ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والوجدان ، وكان لهذا النشاط أثر بارز منذ العصر الجاهلي " فظهر من هذه المنطقة أسماء شعراء وخطباء يستقرون حينا ويرتحلون حينا آخر "(١).

والباحث في التراث الأدبي العماني يجد كما هائلا من الشواهد على امتداد التاريخ والحقب ، لاسيما في مجال اللغة والأدب . وتكفي نظرة إلى رواد الأدب في العالم العربي قديما لنرى مدى مساهمة العمانيين في إثراء المسيرة الأدبية . وان كانت الأثار الباقية قليلة ، حيث ضاع - وللأسف - معظم النتاج الشعري للعمانيين ، بفعل توجههم السياسي والعقائدي أكثر من اهتماهم بغيره، حيث فرض عليهم انتماؤهم العقائدي للمذهب الإباضي استيعاب جوانب هذا المذهب ، ورد التهم المنسوبة إليهم من قبل المذاهب الأخرى ، واشتغالهم بالتطبيقات العملية لهذا المذهب والبحث في فقهه وتاريخه وفكره ، فكان أن أبعدهم ذلك عن الخوض في المجالات الأدبية .

والحقيقة مع ذلك أن البقية الباقية من هذه الآثار ، مما كشفته لنا المخطوطات المتبقية التي بدأت ترى النور بفعل النشاط الثقافي والتحرر الفكري الذي تشهده عمان ، يبقى شاهدا على الدور الأصيل الذي مثله العمانيون ، وحازوا بموجبه قصب السبق إلى كثير من المعارف الأدبية ، بالتدوين والبحث العميق بما وعته ذاكرة التاريخ ، الذي يشكل النزر اليسير من الجهود التي بذلها العمانيون ، وشاركوا بها في مجال تثبيت قواعد اللغة العربية وتقعيد علوم الأدب ، مما يكشف عن دور أدبي ولغوي فعال .

ومع دخول الإسلام عمان ، ومشاركة العمانيين دار الخلافة الراشدة في قمع الفتن وفي الفتوحات ، يتسابق العمانيون للمشاركة - بشكل لافت للنظر - في معظم الأنشطة الدائرة في مراكز الدولة الإسلامية ، لتكون تلك الهجرة لا سيما إلى مدينة البصرة في العراق مجالا رحبا للاستقرار والعطاء . هذه المدينة التي كانت تشكل مركز إشعاع علمي ودعوي ، عرفت كثيرا من الرجال العمانين الذين كان لهم دور على الخارطة السياسية في العالم الإسلامي . إذ احتضنت جمهرة من هؤلاء الرجال من أمثال الإمام التابعي جابر

---

١. د. أحمد درويش ، مدخل إلى دراسة الأدب في عمان ، دار الاسرة للنشر، مطبعة دار المعارف ، مصر ، ١٩٩٢م ، ص ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن زيد الأزدي العماني المكنى بأبي الشعثاء ٠(١) والإمام المحدث الربيع بن حبيب الفراهيدي * وغيرهم الذين كان بفضل توجيههم ، استطاع الإباضية - في عمان خاصة ، وفي مناطق أخرى من العالم الاسلامي عامة - أن يعملوا على إنشاء الدولة الإباضية المستقلة عن مركز الخلافة الأموية والعباسية لاعتقادهم أن الخلفاء الأمويين والعباسيين إنما هم ملوك وليسوا بخلفاء ، إذ لم يسيروا على منهج الخلفاء الراشدين ٠ كما ظهر في هذه المدينة جمهرة من الشعراء وعلماء اللغة والأدب الذين تركوا تراثا" ثرا" يشهد لهم بالمشاركة الفعالة على امتداد الفترة الزمنية الواسعة ، لنرى أسماء عدد منهم تظهر في كتب الأدب بينما تحجب أسماء عدد كبير منهم ، مراعاة للظروف السياسية ٠ ومن هنا ، فقد ظل النتاج الأدبي في الداخل على مدى عصور متتالية ، تحجبه الظروف الجغرافية القاسية ، فلا يعرف منه خارج عمان إلا القليل ، ولا يبقى مما عرف منه إلا القليل أيضا "٠(٢)

ولعل مكانة الأزد في عمان خاصة والجزيرة عامة ، بما شكلوه من أهمية ، أعطت لهم دورا متميزا في الريادة في مجال اللغة والأدب ٠ وللعمانيين دور ريادي في رفد المسيرة الأدبية في نواح كثيرة ، فمنهم الخليل بن أحمد الفراهيدي ** واضع علم العروض ٠ ومنهم الشاعر كعب بن معدان الأشقري،*** ومن شعرائهم المشهورين وأدبائهم المعدودين " أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي الحسن بن دريد الأزدي **** وغيرهم الكثير ٠

---

١٠ ابن سعد ، الطبقات الكبرة ، المجلد السابع ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ص ١٧١ ٠

٢٠ د٠ أحمد درويش ، مدخل الى دراسة الأدب في عمان ، ص ٧ ٠

* هو الامام المحدث الربيع بن حبيب بن عمر بن الربيع الفراهيدي العماني البصري (٨٠ - ١٧٥هـ) انظر سعيد القنوبي المحدث الربيع بن حبيب ص ٧ - بحث على الآلة الكاتبة ، سالم السيابي إسعاف الأعيان بنسب أهل عمان - ص٩٢ ٠

** الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي الازدي اليحمدي قيل كان من أهل ودام من الباطنة (في عمان) وانتقل إلى البصرة ٠محمد بن راشد - شقائق النعمان ج١ / ١٧

*** هو كعب بن معدان الأشقري الأزدي - شاعر فارس خطيب ٠ معدود في الشجعان من أصحاب المهلب ، والمذكور في حروبه للأزادقة ٠ انظر - ابو الفرج الاصفهاني - الأغاني ، منشورات دار الفكر - بيروت ١٩٥٦، ج١٣ ص ١٠٦ ٠

**** انظر - محمد بن راشد - شقائق النعمان ج ١ /٢٠ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل الجاحظ قد فطن إلى ما لحق العمانيين من ضيم ونكران لدورهم هذا ، عندما قال عبارته المشهورة وهو يرد على من أنكر دورهم " لربما سمعت من لا علم له يقول : ومن أين لأهل عمان البيان ؟ وهل يعدون لبلدة واحدة من الخطباء والبلغاء ما يعدون لأهل عمان " (١) وقد نالت عمان من أسواق العرب الأدبية – التي كانت بمثابة الملتقيات الفكرية والمجالس النقدية عندهم – قسطا وافرا كسوق صحار (٢) وسوق عمان (٣) .

وكانت علوم اللغة والأدب عند العمانيين تسير جنبا إلى جنب مع علوم الفقه والعقيدة وسائر العلوم الشرعية الأخرى . إذ إن علوم اللغة لم تكن أقل شأنا واهتماما عند العلماء عن سائر العلوم .

وقد نبغ منهم شعراء مع نبوغهم في علم المعقول والمنقول كالعالم الشاعر أحمد ابن النظر الذي لقب بأنه أعلم الشعراء وأشعر العلماء * والشيخ العالم سعيد بن خلفان الخليلي ** .

---

١. الجاحظ ، البيان والتبين ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط١ – مطبعة الخانجي ١٩٦١ ، ١ " ٩٧ .

٢. د. سعيد الأفغاني ، أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ط٣ ، ١٩٧٤ ، ص ٢١٧ .

٣. المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .

* هو أحمد بن سليمان بن عبدالله بن أحمد بن الخضر بن سليمان من بني النظر السموئلي ، كان علامة حافظا ، مضطلعا بفنون العلوم والتواريخ والسير ، متمكنا" من علوم العربية ،آية في النظم والحفظ – له العديد من المؤلفات، منها كتاب " الدعائم " مطبوع انظر – محمد بن راشد الخصبي – شقائق النعمان ج ٢ ص ٣٤٤ .

** هو سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح الخليلي الخروصي ، ينتهي نسبه إلى الإمام الخليل بن شاذان ، لقب بالمحقق لسعة علمه وقدرته على تحقيق المسائل . ولد عام ١٢٢٦ هـ بيوشر من أعمال مدينة " مسقط ، ثم اتخذ مدينة سمائل وطنا" ، وكان القائم بدولة الإمام عزان بن قيس ، وأحد أقطابها ، توفي عام ١٢٨٧ هـ ، له العديد من المؤلفات في الشريعة والأدب. أنظر : محمد بن راشد ، شقائق النعمان ج ٢ ، ص ٣٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأبو مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي* ومن هنا فإننا نستطيع القول إن أغلب علماء العلوم الدينية هم علماء بالعربية نحوها وبيانها وأدبها ، بل كانت العلوم العربية وسيلة أساسية ومهمة للتوصل إلى العلوم الأخرى. فكان العالم إلى وقت قريب يتصدر التدريس في كثير من مجالات المعرفة من علوم لغوية وفقهية وأصولية ، مما يجعل العالم صاحب شمولية ثقافية .

وتعد الحياة الأدبية في عمان استمرارا لما كانت عليه الحياة الثقافية في سائر العلوم ، من نشاط وازدهار ، وإن لم تنل العناية الصحيحة بها من قبل المهتمين بالعلوم الشرعية والتاريخية في التدوين والكتابة . إن نظرة في كتب التراجم العمانية والتاريخية على قلتها ، تدهش الباحث لما يرى من كثرة الشعراء والأدباء في القطر العماني . ويندر أن نجد فقيها أو محدثا أو عالما إلا ويجري الشعر على لسانه . وكثيرا ما كان الشعراء يقومون بدور مهم في تسجيل المعارك والفتوحات،بل إن كثيرا من المحاربين كانوا يقولون الشعر،كالصارمي** الذي سجل لنا مشاهداته وانطباعاته في غزوة غزاها العمانيون في شرق أفريقيا .

ولعل الباحث في تاريخ الدولة النبهانية في عمان يعجب من ندرة المصادر التاريخية حولها ، بينما يأتي الشعر - ولا سيما شعر المديح - منقذا للباحث ليبدي استنتاجاته من خلال القصائد والدواوين التي قيلت في هذه الفترة . اذ كان تشجيع الملوك النباهنة للشعراء وتقريبهم منهم واعطاؤهم الهبات لمدحهم والمدافعة عنهم ، وذم خصومهم ، سببا من أسباب ازدهار الأدب في عصورهم ، على الرغم مما وصفت به عصور النباهنة ، من ظلم وقسوة وجبروت . إذ لا

---

* هو ناصر بن سالم بن عديم بن صالح الرواحي ولد عام ١٢٧٣هـ ، وهو أحد العلماء والشعراء . ومن كبار المؤلفين المحققين . ناهيك بكتابه " نثار الجوهر في الفقه وعلومه وهو من الشعراء الذين قيل عنهم أعلم الشعراء وأشعر العلماء . اشتهر صيته بين العمانيين وذاعت قصائده بينهم وتناقلتها ألسنتهم، وكانت وفاته غرة صفر ١٣٣٩هـ ، انظر محمد بن راشد - شقائق النعمان - ج٢ ص ٣٤٧ ، ديوان ابى مسلم البهلاني ، صورة مخطوطة الديوان لدى الباحث ص ٢ .

** هو محمد بن مسعود الصارمي - له قصيدة في مسيره إلى " بته " في شرق أفريقيا وذكر فتوحها ، انظر ، محمد بن راشد ، شقائق النعمان ، ج١ ،ص ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينفي ذلك دورهم في إثراء المسيرة الشعرية بتشجيع الشعراء . بل إننا نجد كثيرا من الشعراء في ذلك الوقت قد نذر نفسه لمدح النباهنة دون سواهم ، كالشاعر الستالي مثلا * . هذا بالإضافة إلى أن بعض ملوك النباهنة كان يقول الشعر ويتذوقه . ويأتي في مقدمتهم السلطان سليمان بن سليمان النبهاني ** الذي حفظ لنا الدهر ديوانا من شعره البليغ ، خلد فيه ذكره ومناقبه وآثاره .

وكان لخروج العمانيين من بيئتهم واختلاطهم عبر أسفارهم ورحلاتهم الكثيرة ، والتقائهم بأفريقيا حضارة وشعبا" أثر في إحداث تنافس علمي وأدبي بما سلكوه في مهجرهم الافريقي لا سيما في زنجبار ، حيث كانت أفريقيا بطبيعتها الخلابة ، متنفسا للعرب عموما وللعمانيين على وجه الخصوص .

وكانت النكبات والصراعات التي تدور حول عمان بين فترة وأخرى ، عاملا مهما في إلهاب المشاعر وإذكاء العواطف في نفوس الأدباء ، وإن كان ذلك لم يحظ بالدراسة المتخصصة بعد .

وبذلك نستطيع القول أن موضوعات الشعر العماني قد تعددت وتنوعت، حيث شارك الشعراء بقصائدهم في مختلف الأغراض المألوفة من غزل ومديح وهجاء ووصف ورثاء وحماسة وفخر وزهد وألغاز وأحاجي . وإن كان شعر المديح والغزل في عصر النباهنة يعتبر أكثرها ثراء . ولعل خفوت شعر المديح بعد عصرهم كان نتيجة قيام الإمامة في عمان . وإن ذكر أن هنالك أئمة كانوا يقولون الشعر ، وسجلت لبعضهم قصائد معظمها في الزهد والجهاد ، بالإضافة إلى الوصايا النثرية التي يكتبها الأئمة إلى ولاتهم وقواد جيوشهم . ويأتي في مقدمتها تلك الوصية المشهورة التي قالها الإمام الصلت بن مالك

---

* هو أبوبكر أحمد بن سعيد الخروصي (٥٨٤-٦٧٦هـ) ينتمى إلى قبيلة بني خروص ، نسب إلى قرية تسمى " ستال " من أعمال وادي بني خروص ، بالقرب من مدينة الرستاق " العمانية له ديوان شعر مطبوع . انظر محمد بن راشد - شقائق النعمان - ص ٣٥ ، د. علي عبدالخالق - الستالي : حياته وشعره . ص١١ .

** هو سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني . ت ٩١٥هـ ، أحد ملوك النباهنة وشاعر فحل له ديوان مطبوع بتحقيق / عزالدين التنوخي ، انظر د.شكري بركات ديوان النبهاني دراسة موضوعية فنية - ط١ /١٩٩٤ - المطابع العالمية ، سلطنة عمان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخروصي (١) لقائده الذي خرج لإعادة جزيرة سقطرة إلى حوزة الإمام بعد أن أغار عليها النصارى الأحباش ٠ أو تلك القصيدة التي أرسلتها إحدى نساء سقطرة تستغيث فيها الإمام نصرة أهل دينه ، بعد أن صورت له الفضائع التي ارتكبها النصارى هناك (٢) ٠

أما في العصر الحديث فتطالعنا حادثة سقوط زنجبار آخر الممتلكات العمانية في شرق أفريقيا وماتلا ذلك من نكبات أثرت في نفوس العمانيين ، وتأتي قصيدة الشاعر عبدالله بن علي الخليلي في مقدمة قصائد الشعراء العمانيين التي تحدثت عن هذه الحادثة ٠ والتي يصور فيها ما أصاب أهلها من قتل وتشريد ، بلغة حماسية ، رثائية بناها على وزن وقافية البحتري ، وأحمد شوقي في رثاء الأندلس ، لتذكرنا بتلك القصائد التي قيلت في رثائها ، ويمتزج الرثاء لدى الشاعر بالحنين المشوب بالألم والحسرة ٠ إذ أن الخليلي يصور في قصيدته المأساة التي ألمت بزنجبار سنة ١٩٦٤ (٣) ٠

والأدب العماني بكل فروعه ، يمثل امتدادا" طبيعيا للأدب العربي الحديث، ومرحلة الإحياء والبعث على وجه الخصوص ٠ مع تفرد له في بعض الموضوعات بسبب ظروف البيئة المحلية ، من مثل تركيزهم على الجانب الديني في الشعر والحماسة فيه ٠

والشاعر العماني في العصر الحديث بطبعه لا يعترف بحدود ، حيث نستطيع تبين ذلك من خلال شعراء رواد في عمان أمثال : سعيد بن خلفان الخليلي ومحمد بن شيخان السالمي وأبو وسيم خميس بن سليم الأزكوي ، وأبو مسلم ناصر ابن سالم الرواحي ، وعبدالله بن علي الخليلي وعبدالله بن محمد الطائي ، وأبو سرور وغيرهم ، إذ كان دأبهم عدم الاعتراف بالحدود المصطنعة ، وكان لمثل هذا التوجه أثر في تطور الشعر القومي العماني ، ومسايرته للظروف التي تعيشها الأمة ٠ وقد عاصر هؤلاء الشعراء ، شعراء فترة الإحياء في العالم العربي فكانوا امتدادا" لها في بناء القصيدة موضوعيا وفنيا ، والإفادة من التراث وتوظيفه في نتاجهم الشعري٠ بيد أن محمد بن شيخان السالمي وأبا مسلم الرواحي

---

١٠ عبدالله بن حميد السالمي ـ تحفة الأعيان ج١ / من ١٦٨ - ١٩٣ ٠

٢٠ عبدالله بن حميد السالمي ـ تحفة الأعيان ج١ ص ٠

٣٠ انظر ديوان الشاعر " من نافذة الحياة " ص ٣٨ ، و د ٠ علي عبدالخالق : الشعر العماني ٠٠٠ ص ٩٥ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعبدالله الخليلي كانوا أكثر انجذابا وشدا إلى شعر العرب القدماء بحكم قوة التجربة الشعرية الموغلة في التراث لهؤلاء الشعراء ٠ يتضح ذلك من خلال الأغراض الشعرية التي تناولوها من مدح ورثاء وغزل وفخر ، ومن خلال طبيعة البناء الفني للقصيدة عندهم ، وأختيارهم الصور والتعامل مع اللغة ٠

٥ : - ٢ -

نظام التعليم في عمان قبل ١٩٧٠م

تعد المدارس القرآنية قبل ١٩٧٠م٠ الوسيلة الوحيدة للتعلم في عمان، وقد انتشرت هذه المدارس في معظم القرى والأقاليم رغم تباين مستوياتها بين منطقة وأخرى " ٠ (١) وعادة ما تكون هذه المدارس موجودة في مكان خاص بها بالقرب من مسجد المحلات السكنية أو تكون في " سبلة " بمعنى مجلس مهيء ، أو تحت شجرة وارفة الظل ٠وغالبا ما يتعلم الدارس في مثل هذه الحلقات الدراسية مبادىء الكتابة والقرآن الكريم ، وذلك باستخدام الألواح الخشبية أوعظمة كتف الجمل ٠ فيتعلم القراءة والكتابة باعتبارها مرحلة أساسية من دراسته ، بالإضافة إلى تعلمه كتابة الأعداد ٠

وبعد أن ينهي الدارس قراءة القرآن – من المصحف وليس عن ظهر قلب – قراءة صحيحة و" يجرده " أي يعيد قراءته مرة أخرى فإنه حينئذ يشجع على الانضمام إلى الحلقات الدراسية التي كان يقيمها كبار العلماء المؤهلين لتسيير مثل هذه الحلقات ، والذين عادة ما يكونون ذوي قدرات مختلفة ، من تمرس في البيان ، ومعرفة بالأحكام ٠ وأول ما يبدأ به دراسة علوم النحو والصرف والفقه وأحكام الميراث ، مع أن هنالك اتفاقا على الأولوية في دراسة علوم اللغة في البداية ، لا سيما علوم النحو والصرف وقواعد اللغة بشكل عام فقد " كان هناك اتفاق ضمني على أن النحو والصرف وقواعد اللغة وما يتعلق بها من الموضوعات كانت أهم بكثير من غيرها "٠(٢) وذلك لضرورة هذه الموضوعات في فهم ما يتوصل به إلى معرفة سائر العلوم ٠

---

١٠ بروفسور إكلمان ، المعارف الدينية في عمان الداخلية ، بحث مقدم لندوة الدراسات العمانية ، نوفمبر ١٩٨٠ ، منشور ضمن كتاب " حصاد ندوة الدراسات العمانية ، المجلد السادس ، ص ٢٤٧ ، الطبعة الثانية ١٩٨٦ ، القاهرة ٠

٢٠ المصدر السابق ، ص ٢٥٦ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعادة ما يترك الأمر بيد الشيخ الذي يتصدر للتدريس في اختيار النصوص والمناهج التي يقوم بتدريسها . إلا أنه من الملاحظ أنهم درجوا في تعليم الناشئة من الطلبة على كتب تراثية بعينها ، ففي النحو مثلا كان يدرس أولا: شرح ملحمة الإعراب للحريري ، وبعد ذلك يدرس شرح الألفية لابن عقيل ، وهكذا في سائر العلوم كالفقه والأصول والعقيدة والحديث الشريف ، أما إذا كان القائم بهذه المهمة حافظا واعيا ، فقد يملي على طلبته شروحا من وحي خاطره .

أما المرحلة الثالثة من التعليم فيتصدر لها كبار العلماء البارزين الذين خصصوا جزءا" من وقتهم للتدريس ، كالإمام والقاضي والكاتب وكبار العلماء . ولم يكن هؤلاء – غالبا – يشكلون هيئة منظمة ، وإنما كانوا ينطلقون من دافع ذاتي، وواجب ديني ، ونهج اجتماعي ، يحملون أنفسهم بموجبه هذه المهمة المقدسة . وتختلف الأوقات المخصصة للدرس في مثل هذه الحلقات من شيخ إلى آخر ، بحسب الظروف المتاحة للعالم أو الشيخ ، والسعة المالية لديه ، فإن كانت لديه سعة فإنه يجلس للدرس من الصباح إلى الظهر ، وقد يخصص وقتا بعد صلاة العصر ثم بعد صلاة المغرب ، وعادة ما يقوم الشيخ بالتعليم في أي من الأوقات ، سواء أكان في بيته أو في المسجد ، كما أنه يسمح بطرح الأسئلة على العالم في أي فرع من فروع المعرفة الإنسانية التي تلامس الأمور الدينية وتمس الأمور الحياتية. ومن ثم انتشرت عادة نظم الأسئلة بطريقة الشعر بين الشيخ وتلاميذه ، التي تشكل أيضا تمرينا عقليا وأدبيا للسائل وتعوده الإقدام على طرح الأسئلة ، ونظم الشعر على شكل قصائد يظهر فيها السائل مهارته اللغوية والأدبية وشيئا من الشاعرية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سمائـــــل

- ١ -

على مسافة تقطعها السيارة في أقل من ساعة من مدينة " مسقط " العاصمة الحالية لعمان ، وعلى بعد تسعين كيلو مترا من مدينة " نزوى " التاريخية ، العاصمة القديمة لعمان ، وعلى السفوح والمنحدرات الشرقية للجبل الأخضر ، تقع مدينة سمائل ، على الطريق المؤدية إلى داخلية عمان متحكمة على ذلك الطريق "(١) ولذلك وصفها " أبو مسلم الرواحي " بقوله :

وأين حلقوم ذاك الملك معصمه سمائل فهي للسلطان سلطان (٢)

وقد وصفها صاحب كتاب " دليل الخليج " تحت عنوان " وادي سمائل " بقوله : " وهو من أعظم الوديان أهمية من الناحية السياسية في سلطنة عمان ، وهو أكبرها وأكثرها ازدحاما بالسكان ٠٠ وعلى ذلك فهو يمثل مظهرا جغرافيا طبيعيا في عمان " (٣) قال عنها المؤرخ العماني سالم بن حمود السيابي "هي حلقوم عمان الداخلية بإجماع أهل هذا القطر ، وواسطة عقده ، هي الفيحاء الوارفة الظل ، البهجة الرياض ، الحسنة المنظر ، الجميلة الهيئة "(٤) ٠

هذه المدينة يتبعها عدد كبير من القرى يجمعها اسم " وادي سمائل " هذا الوادي المار في وسطها ، يقسمها إلى شطرين بخط طولي ، تنتشر غابات من النخيل على ضفتيه ٠ ويستطيع المار في طول هذه المدينة وعرضها أن يقطعها دون أن تتسرب إليه أشعة الشمس ٠

ولقد أكسبها شق الطريق في هذا الوادي منظرا جماليا ، يمشي خلاله السائح تتهاداه غابات النخيل بمنظرها الجميل ، ولتضيف تعاريج الطريق مع مسير الوادي والتفافه بالتفاف بالنخيل من ضفتي الوادي ، وكأن الضفتين تتلاقيان بنخيلها الباسق ٠

ويطلق العمانيون "على سمائل" " اسم " الفيحاء " " لكثرة فوران الماء بها، وطفوحه على وجهها ، ٠٠ فهي ذات عيون جارية ، تدخل دورهم فيتصرفون بها

---

١٠ أحمد بن سعود السيابي ، مازن بن غضوبة ، ص ١٩ ٠

٢٠ ديوان " أبي مسلم الرواحي " صورة مخطوطة الديوان لدى الباحث ص٢٣٨ ٠

٣٠ ج ٠ ج ٠ لوريمر : دليل الخليج " القسم الجغرافي " مكتب الترجمة ، أمير دولة قطر ، دون تاريخ ٦ : ١٢١٩ ٠

٤٠ سالم بن حمود السيابي ،العنوان عن تاريخ عمان دون ط ، دون ت ، ص٧٠ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في قصورهم ، تحف بهذه المياه بساتين ملتفة الأشجار ... يجتمع بها الأنس ولا ترى الشمس "(١) .

سمائل إذن من المدن العمانية التي تشتهر بكثرة أفلاجها * وتدفق مياهها، إذ تتسابق هذه الأفلاج التي تمتلىء بالمياه في جداول لتروى بها الحقول الخضراء من النخيل والمزروعات الأخرى ." وقد تغنى الشعراء بجمالها الخلاب، وطبيعتها الساحرة بما لا مزيد عليه " (٢) " وهي مبعث الشعر ووحيه في عمان ، لما تمتاز به من رياض زاهرة ، وبساتين عامرة ، ومياه عذبة جارية".(٣)

" وسمائل " جاهلية العمران تحيط بها جبال من جميع جهاتها كسور لها"(٤) تحتوى على آثار ومعالم قديمة وحديثة . منها مسجد " المضمار" وهو المسجد الذي بناه الصحابي الجليل " مازن بن غضوبه أول من أسلم من أهل عمان" (٥) والذي هو " بسفالة سمائل " وبني سنة ست من الهجرة " (٦) كما تشتهر أيضا بحصونها وقلاعها وأبراجها ومنها " الحصن الكبير (٧) الذي بناه الإمام

---

١. د. خالد الغزي ، الواقع التاريخي والحضاري لسلطنة عمان ، ص ١٨٨ .

٢. أحمد بن سعود السيابي ، مازن بن غضوبه ، ص ١٩ .

٣. د.خالد الغزي ، الواقع التاريخي والحضاري لسلطنة عمان ، ص ٣٦٦ .

٤. سالم بن حمود السيابي ، العنوان عن تاريخ عمان ، ص ٧٢ .

٥. ابن حجر العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٦ : ١٥ .

٦. محمد بن راشد الخصيبي ، الزمرد الفائق في الأدب الرائق ، ج٢ ص ١٣ .

٧. د. مبارك بن عبدالله الراشدي ، مازن بن غضوبة وأثر إسلامه على أهل عمان بحث مقدم لندوة " من أعلامنا " الندوة الثالثة ، نشر في كتاب " مازن بن غضوبة السعدي " ١٩٩٠ م ، مطبعة العنان ، مسقط ، ص ٤٣ .

* الفلج في العرف العماني : هو الماء الجاري عبر قناة مشقوقة في الأرض مصدره المياه الجوفية ، ويعد نظام الأفلاج سائدا في أغلب المدن والقرى العمانية ، وهو نظام تختص به عمان دون سواها : انظر بدر بن سالم العبري الأفلاج العمانية ونظامها ، بحث مقدم ضمن ندوة الدراسات العمانية .مصدر سابق ج٣ ، ص ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ناصر بن مرشد اليعربي "* وبها قلعة الشهباء وتقع على مدخل علاية سمائل ، ومما تشتهر به أيضا صناعاتها التقليدية وأشهرها صناعة النسيج والإزار العماني وصناعة الخنجر العماني قديما ،وقد تم تجديد ذلك في العهد الحديث بإنشاء مصنع للنسيج فيها .

- ٢ -

سمائل موطن علم وحضارة ممتدة رفعت راية الثقافة والأدب في عمان، وغدت موئلا للشعراء والأدباء والكتاب ، وحملت لواء الشعر ومشت فيه بخطى ثابتة ، فنبغ في هذه المدينة من العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء على مر العصور ، ما يشكل علامة مضيئة في تاريخها .

وهي مدينة ذات حضارة عريقة ، تركت بصمات واضحة في التاريخ العماني ، منذ أن تسنم مازن بن غضوبة شرف أول داخل في الإسلام وإلى اليوم، ما زالت تطالعنا هذه المدينة بوفرة نتاجها وكثرة شعرائها ، الذين سلكوا طريقا فنيا أدبيا وتاريخيا وفقهيا خاصا . ولكونها بيئة خصبة للشعر والشعراء ، فقد تغنوا بجمالها ، وفتنتهم بطيب هوائها ونقاء جوها ، وسمو مكانتها ، وامتدادها عبر التاريخ ، يقول في وصفها الشاعر عيسى بن ثاني البكري :**

واذا أصبت من الزمان بنكبة فارحل اليها ينجل عنك الحزن (١)

يقول الكاتب العماني المعاصر " أحمد بن سعود السيابي " في مقدمته على كتاب " السموط الذهبية " لموسى بن عيسى البكري السمائلي " إنه متى ذكر الأدب في عمان ، ارتبطت بذكره " فيحاء عمان " سمائل الفيحاء ، على أنه لم يكن هذا

---

* هو الإمام المؤيد ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب اليعربي ، أول الأئمة اليعاربة عقدت له الإمامة عام ١٠٢٤هـ - الامام نور الدين السالمي، تحفة الاعيان ، ج٢ ، ص ٣ .

** هو عيسى بن ثاني بن خلفان بن سعيد البكري السموئلي شاعر كاتب قارىء أديب له عدد من القصائد ضم بعضها كتاب " شقائق النعمان " منها هذه الأبيات يخاطب فيها الشاعر الجزائري أبا اليقظان :

يا أبا اليقظان أيقظت القلوب بنظام هد أركان الخطوب

جعل الشرق مع الغرب يؤوب وبقوس يرميان الحجيا

انظر ، محمد بن راشد الخطيبي ، شقائق النعمان ، ٢٨٧/١مصدر سابق .

١. مجموعة قصائد مخطوطة لدى الباحث ص ٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإطلاق مجازفة أو ارتجالا ، وإنما هو نابع من حقيقة استقراء للحركة الأدبية في عمان عبر مراحل تاريخها الأدبي "٠(١)

شهدت سمائل حقبا تاريخية حافلة بالمتغيرات والعطاء الأدبي والديني ، وأنجبت من الأدباء والشعراء والفقهاء رجالا كان لهم شأن في مجرى الحياة الأدبية والسياسية والتاريخية ، بدءا بمسازن بن غضوبة ، ومرورا بالعلماء المجددين كالإمام أحمد بن النظر صاحب كتاب " الدعائم " (٢) والعلامة المجدد سعيد بن خلفان الخليلي الذي كان واسطة العقد في بعث نظام الإمامة في عمان في القرن الثالث عشر الهجري وحفيده الإمام الرضي محمد بن عبدالله الخليلي من أئمة القرن الرابع عشر للهجرة (٣) ٠

وفي الفترة الأخيرة من العصر الحديث ظهرت في سمائل كوكبة من الشعراء ، كان لهم صدى في الأوساط الأدبية في عمان وخارجها ، أنكر منهم على سبيل المثال " الشاعر الكبير والحماسي الشهير أبا مسلم ناصر بن سالم الرواحي ، وأبا وسيم خميس بن سليم الأزكوي ، وسالم بن حمود السيابي ومحمد ابن راشد الخصيبي ، وعبدالله ابن علي الخليلي وموسى بن عيسى البكري ، والشعراء العلماء حمد بن عبيد السليمي وخلفان بن جميل السيابي وأخيرا أبا سرور ٠ ثم لفيف من الجيل اللاحق كهلال بن سالم السيابي ومحمود الخصيبي ومرشد الخصيبي وهلال العامري وغيرهم ٠

ويؤكد الشاعر أبو سرور أن سمائل كانت شبيهة بمدرسة أدبية ،" فهم يجلسون في بساتينهم وعلى ضفاف الوادي ، يتذاكرون فنون العلم ويتهادون لطائف الأدب "(٤) ٠ ويقول أحد الكتاب : " وقد ازدهر الأدب في سمائل ازدهارا رائعا في العصور المتأخرة ، وعمرت مجالسها أيما عمران ، فقد كانت تلك المجالس أندية أدبية تنشد فيها الأشعار ، وتتلى في رحابها القصص والآثار "٠(٥)

---

١٠ موسى بن عيسى البكري ،السموط الذهبية ، ط١ ،١٩٩٣م ، سلطنة عمان، ص ٤ ٠
٢٠ ابن رزيق ، الفتح المبين ٠٠٠ ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٧م ص١٤٤ ٠
٣٠ محمد بن عبدالله السالمي ، نهضة الأعيان بحرية عمان ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر د٠ط ٠د٠ت،ص٣٣٨ ٠
٤٠ مقابلة الباحث مع الشاعر بمنزله ، سمائل ، ١٩٩٣/٦/٢١ ٠
٥٠ موسى بن عيسى البكري ، السموط الذهبية ، ص ٤ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا شك أن مثل البيئة السمائلية الجميلة ، تثير الإلهام في نفس الشاعر والأديب بمناظرها الخلابة وحدائقها الغناء ، ونخلها الباسق ، التي تعلو الوهاد وتطاول الجبال ، وتتوزع بين الوديان والشعاب ، وتلك المياه ، بخريرها ، والنسيم بجماله ، والينابيع بجريانها ، والمجالس العامرة التي تتلى فيها الأشعار بطريقتها الخاصة في إنشادها الشعري ، التي عرفت بها وتميزت حتى قيل عنها " القراءة السمائلية للشعر بخصائصها الفنية ، ونغماتها العذبة وتقطيعها للأوزان الشعرية في أسلوب غنائي جيد "(١) .

فليس غريبا على هذه البيئة بعطائها المستمر في عالم الشعر والأدب ، أن تنجب لنا شاعرا كأبي سرور ، الذي قال الشعر وراضه ، تشم فيه رائحة عمر ابن أبي ربيعة في غزله ومغامراته ، وأبي فراس الحمداني في أنفته وفخره ، وأبي مسلم الرواحي وأبي سلام الكندي * في حماستهما ، فنال منزلة في الأوساط المحلية والمنتديات العربية ، بالإضافة إلى النكهة الخاصة التي امتاز بها في شعره، الذي انطبعت فيه معالم شخصيته وبيئته .

وفيما يلي من فصول سنطلع على تفاصيل حياته ، ومصادر تكوين تجربته الشعورية ، والمؤثرات التي شكلت رؤيته للشعر والكون والحياة – كما سأبسط القول في موضوعات شعره ومدى اقترابها أو بعدها عن القديم والحديث ، بالإضافة إلى تتبع هذا الشعر في دراسة فنية نقدية تلقي الضوء على مدى نجاح الشاعر في التعبير عن تجربته الشعورية بإطار فني .

---

١. موسى بن عيسى البكري ، السموط الذهبية ، ص ٤ .

* هو سليمان بن سعيد بن ناصر الكندي النزوي ، شهر بكنيته ، كان ، أديبا واسعا في النظم ، نشيطا فيه ، كان أبوه من جهابذة العلماء في عصره ، ومن شعر أبي سلام هذا قصيدة في الاستنهاض مطلعها :

عمان انهضي واستنهضي الشرق والغربا ولا تقعدي واستصحبي الصارم العضبا

انظر " شقائق النعمان ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني
أبو سرور نشأته وتكوينه الثقافـــي

نشأتـــــه

- ١ -

في ظل ظروف سياسية واقتصادية صعبة ، وحياة كؤود من الفقر والحرمان والتواضع القبلي ، وفي بيت صغير متواضع من إحدى بيوتات محلة القديمة من علاية سمائل الفيحاء ، تشاء الإرادة الإلهية أن تعلو صرخة وليد لأم وأب وحيدين ، ليكون ذلك الوليد فيما بعد الشاعر العماني " حميد بن عبدالله بن حميد بن سرور بن سليم بن علي الجامعي (١) الذي وصفه أحد النقاد الأدباء العمانيين بأنه يعد الشاعر الثاني بعد الشيخ عبدالله بن علي الخليلي (٢) وكانت أسرته متواضعة النسب عالية القدر ، اشتهرت بالكرم وخدمة العلم فهي " من سلسلة رجال أكثرهم خدمة علم وحملة وفاء "٠(٣)

كان هذا الوليد أول أخوين يولدان في هذه الأسرة ، لم يقدر أن يعيش منهما غيره ٠ ذلك أن أخاه الصغير واسمه يوسف ٠٠ قد توفي بعد أبيه ولا أخوات له "٠(٤)

- ٢ -

وجد الشاعر لأبيه كان رجلا فاضلا مصلحا" فقيها كاتبا للصكوك الشرعية في سوق علاية سمائل ، وكان فضلا عن ذلك قاضيا في الدعاوي الخفيفة هناك ٠(٥) ويذكر عنه أنه كان شاعرا أيضا ، ولكن شعره قد ضاع ويحفظ منه

---

٠١ عبدالله بن علي الخليلي – مقالـــة – جريدة عمان ، السبت ، ١٨اغسطس – آب – ١٩٧٣م ٠

٠٢ هلال السيابي ، مقالة بعنوان " أبو سرور زعيم الغزل العذري ، مجلة العذير ، عمان مارس ١٩٨٢ ٠

٠٣ عبدالله بن علي الخليلي ، مقالـــة ، جريدة عمان ، السبت ، ١٨ أغسطس – آب – ١٩٧٣م٠

٠٤ مقابلة الباحث مكتوبة مع الشاعر بتاريخ ١٩٩٤/١/١٥ ٠

٠٥ مقابلة الباحث مكتوبة مع الشاعر بتاريخ ١٩٩٤/١/١٥ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقطوعة صغيرة تم إثباتها في مقدمة ديوان شاعرنا الثاني " إلى أيكة الملتقى"٠(١)

أما والده فكان على قدر من الثقافة والإطلاع والمعرفة ، ذا حافظة وإن لم يمتد به العمر طويلا ، إذ توفي وهو في مقتبل العمر وريعان الشباب ، ولما يكمل العقد الثالث من عمره (٢) حيث لم يتجاوز الشاعر الرابعة حينذاك (٣) ٠

وكان من طلبة العلم الأذكياء ، متدينا" ، له نصيب وافر من الفهم والحفظ، يزاحم أقرانه التصدر في المجالس العلمية والحلقات الدراسية ، والمحاورات التعليمية ، حتى لقبه العالم الشيخ حمد بن عبيد السليمي" بالغشمشم(٤) وذلك لبداهته وتصدره في الرد على المسائل العلمية ، فكان ذا ملكة لاقطة ، وفهم ثاقب ، إذ كان يحفظ كتاب " جوهر النظام في الأديان والأحكام " ، عن ظهر قلب (٥) ٠

ومن كانت حافظته تصل إلى حفظ مثل هذا الكتاب الكبير ، فلا بد أنه يحفظ الكثير من المعارف الأدبية والقصائد الشعرية ٠ وفوق ذلك فقد كان شاعرا ولكن معظم شعره قد ضاع أيضا ٠ وتوجد له أسئلة منظومة شعرا ضمن كتاب "قلائد المرجان " للشيخ حمد بن عبيد السليمي *(٦) ٠

---

١٠ أبو سرور حميد بن عبدالله النجامعي ، ديوان " إلى أيكة الملتقى ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ١١ ٠

٢٠ المقابلة الباحث المكتوبة مع الشاعر ، ١٩٩٤/١/١٥ – ص ٣ ٠

٣٠ المقابلة الباحث المكتوبة مع الشاعر ، ١٩٩٤/١/١٥ – ص ٣ ٠

٤٠ مقابلة الباحث المكتوبة مع الشاعر بتاريخ ١٩٩٤/١/١٥ ٠

٥٠ مقابلة الباحث المكتوبة مع الشاعر بتاريخ ١٩٩٤/١/١٥ ٠

٦٠ انظر الشيخ حمد بن عبيد السليمي ، " قلائد المرجان " ص ٢٤ ٠ وزارة التراث القومي والثقافة عمان ، المطبعة الشرقية ومكتبتها – مسقط – ١٩٨٣ ٠

* هو الشيخ العالم حمد بن عبيد بن مسلم السليمي ، ولد عام ، ١٢٨٠ هـ كان فقهيا دراكة حافظا ولي القضاء في ولاية سمائل في دولة الإمام سالم بن راشد الخروصي ثم في دولة الإمام محمد بن عبدالله الخليلي ، ترى مجلسه غاصا بالناس دائما بين مستفت ومتعلم وزائر وقارىء وكاتب ، له العديد من المؤلفات المخطوطة ، منها الشمس الشارقة،في علم التوحيد جزء واحد،وهداية الحكام إلى نهج الأحكام جزء واحد وخزانة الجواهر في الفقه خمسة أجزاء وغيرها " ٠ انظر محمد بن راشد ، شقائق النعمان – ج ٣ ص ٢٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو أيضا من تلاميذ الإمام محمد بن عبدالله الخليلي رحمه الله (١) ولكن قصر عمره حال دون مزيد من العطاء إذ اخترمته يد المنون وهو في مقتبل العمر ٠ وربما لو قدر لذلك الفتى أن يمتد به العمر لترك آثارا تشهد له ٠

أما أمه زهرة بنت جمعة بن مسعود الغطريفي ، فكانت متعلمة تقرأ القرآن الكريم ، وهي امرأة - كما وصفها شاعرنا - بأنها " تقية فاضلة "(٢) ٠ وهي من النباهة بحيث كانت تقص عليه حكايات الأبطال ونوادر الشرفاء من الرجال ٠ يقول معترفا لها بالفضل " ومن الوسائل بعدما فتحت عيني وجدت أما ، كانت الموجه الدائم لي والأستاذ البار قبل الأستاذ "(٣) ويقول مشيرا إلى طريقتها في إثارته " فكنت ما أجلس معها مجلسا إلا وهي تروي لي من أخبارهم ، وتعصر لي من كرم سيرتهم في مخيلتي حتى تتركني لا أعرف من الدنيا سواهم"(٤) ٠

هذه الأم عوضته عطف الأب وعنايته ، وسهرت من أجل تربيته ، ونذرت نفسها له دون غيره ، وشمرت عن ساعد الجد نحوه ، وهيأت له السبيل في التنشئة السليمة ٠ والشاعر ما فتىء يشيد بها في كثير من المواضع ، يوم أن كانت أمام ناظريه ، وبعد أن افتقدها ٠ فكثيرا" ما كان يعبر عن حبه العميق تجاهها، وشوقه العظيم نحوها ، وقد تجلى ذلك في قصائده الشعرية ، التي اعترف فيها بفضلها ، وما ينبغي أن يؤديه تجاهها ، منطلقا من موقعها في القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

- ٣ -

ليس من السهل معرفة تاريخ ولادة الشاعر على وجه الدقة ، ذلك أن المواليد في عمان لم يخضعوا في تلك الفترة إلى التسجيل الرسمي ، حيث لم تكن هناك دوائر رسمية تعنى بهذه المسألة ، ولم تبدأ إلا في عام ١٩٧٠م بعد إنشاء وزارة الصحة ٠

---

١٠ المقابلة المكتوبة مع الشاعر ، ١٩٩٤/١/١٥ ٠
٢٠ المقابلة المكتوبة مع الشاعرا ، ١٩٩٤/١٥ ٠
٣٠ مقدمة ديوان الشاعر ، باقات الأدب ، ص ١١ ٠
٤٠ المصدر السابق ص ١١ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشير الشيخ الخليلي في ترجمة الشاعر الى أنه ولد في منتصف العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجري تقريبا ٠(١) أي حوالي ١٣٥٥ هـ ١٩٣٥٠ للميلاد ، بينما يقدر الشاعر ولادته بالعام الميلادي ١٩٤٢ (٢) مقاربة للعام الهجري ١٣٦٢هـ ٠

وواضح أن هنالك فرقا كبيرا بين التقديرين يبلغ حوالي سبع سنوات ، ولا توجد بين أيدينا حادثة بارزة ترتبط بمولد الشاعر لنتمكن من تدقيقه ، كما لا توجد لدينا أية وثيقة أو مستند يدلنا على ذلك ٠ على أننا نميل إلى ترجيح رأي الخليلي دون رأي الشاعر وذلك لمعاصرة الأول لعائلة الشاعر ومعرفته بأبيه ٠

وقد استقبل أبو سرور عمره بحادثة فقده لأبيه الذي توفي وعمره لم يتجاوز الرابعة – كما ذكرت – فعاش يتيما" تغمره جذوة الحزن منذ صغره المبكر، ويشب الشاعر في بيت اليتم والفقر والحرمان ٠ مما يمكن أن يكون له أثر على حياة هذا الشاعر ، الذي ما فتئ يشير في كثير من قصائده إلى وفاة أبيه، الذي خلفه وهو صغير ٠ فأصبح حزنه على أبيه يشكل تجربة مبكرة له ٠ ولم يكن له أعمام يرجع اليهم وإنما كان له جد لأمه ، يرسله إلى بساتينه للعمل فيها ، ولكن ذلك الصغير يتهرب إلى حلقات العلم والدراسة (٣) ٠

فقامت أمه على تربيته خير قيام ، وأرسلته إلى مشايخ عصره ، وأساتذة بلده سمائل لينهل من العلوم الإسلامية واللغوية المختلفة ، ضمن نظام الحلقات العلمية ٠ وما أن يعود الى بيته حتى تنفث الأم في روعه ، داعية إياه الى إيقاظ الهمة ، وتعريفه بحال من يطلب المجد ٠ يقول: " وكانت الداعية الأول لتعليمي٠ فكانت مدرستي قبل المدرسة " (٤) ٠ فحياة أبي سرور منذ طفولته حياة معاناة تركت انعكاسات ظاهرة في شعره ، من مثل قوله :

عشت يتيما ليس حولي والدي يدفعني للعلم والمحامد
يتم وفقر حاربا جهلودي فانهزما بنصرة المعبود (٥)

---

١٠ الشيخ عبدالله الخليلي ، مقالة ، جريدة عمان السبت ١٨ أغسطس أب ١٩٧٣م ٠
٢٠ مقابلة مع الشاعر ١٩٩٤/١/١٥ ٠
٣٠ الشيخ الخليلي ، مقالة ، جريدة عمان السبت ١٨ أغسطس أب ١٩٧٣ ٠
٤٠ مقابلة مع الشاعر ، ١٩٩٤/١/١٥ ٠
٥٠ حميد بن عبدالله الجامعي ، بغية الطلاب ، ص ١٥ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت حالته المادية وفقره وأسرته المتواضعه أمورا كلها قد تشكل عائقا ، لا سيما في ظروف يكون التعليم فيها فرديا واختياريا من ناحية ، وأنه كان بحاجة إلى أن يكسب لقمة العيش أولا" ، ثم يحضر الدرس ثانيا" من ناحية أخرى . ولكنه مع ذلك ، ومن خلال تصميمه وإرادته وتشجيع أمه له ، وبفضل ما يمتلكه من قدرات عقلية جيدة ، وفي إطار طريقة تعليمية تقليدية ، يستطيع أبو سرور أن يتلقى تعليمه .

ونظرا لدور أمه في رفع معنوياته ، ودفعه لطلب العلم ، ومرافقة حنانها له حتى فترة متأخرة ، فإننا نستطيع أن نجد تفسيرا نفسيا لحب أبي سرور للمرأة وتقديره لها ، وإشادته بدورها في بناء المجتمعات وعاطفته نحوها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تكوينه الثقافي

- ١ -

على الرغم مما توصف به تلك الفترة الزمنية التي عاش الشاعر فيها سني حياته الأولى بأنها عصر جهل وتخلف في عمان ، إلا أن هذا الوصف لا ينطبق على جميع مناطق عمان لا سيما المناطق الداخلية منها ، والتي تمثل بؤرة المراكز العلمية في ذلك الوقت ، وخاصة مدينتي " نزوى " و سمائل " . فكانت "سمائل " وقتها تغص بكبار العلماء ، وجهابذة الأدباء ، " حيث اقترنت " سمائل " في عمان بالأدب ، واقترن الأدب بها ".(١) بالإضافة إلى احتضانها كبار علماء الفقه والشريعة في تلك الفترة .

في هذه المدينة التي شهدت ميلاد شاعرنا ومرتع صباه وطفولته ، بدأ شاعرنا بعصامية تعليمه الأولي بشكل تقليدي عبر المساجد والكتاب . هذه المساجد والكتاب استطاعت أن تخرج لنا عباقرة أدب ، وشيوخ علم ، وحاملي فقه. فسمائل مدرسة كما وصفها الشاعر بقوله " وقد نشأت بمدرسة كبيرة وهي سمائل (٢) .

ولا شك أن المجال الذي ينشأ فيه الفرد يؤثر تأثيرا فعالا في نموه ، بما يكتسب من أنماط سلوكية ، عبر مراحله الزمنية ، وبما يستطيع أن ينهله من معارف ثقافية تؤهله لأداء دوره في المجتمع . وبما يصقل به نفسه من الاطلاع على الموروث الثقافي من لغة ومعارف دينية وتاريخية ، ليستقيم أسلوبه ، وتتأصل لغته ، وليصل ماضيه بحاضره .

وثقافة شاعرنا مزيج من هذه المعارف الدينية واللغوية والتاريخية والأدبية . وهي ثقافة تراثية المنبع ، وبالتالي فإن هذه الثقافة تمثل عنصرا مهما من عناصر تكوينه الفكري . وللبيئة التي نشأ الشاعر في ظلالها ، أثر على تكوينه الثقافي بما تمتعت به من حياة ثقافية مزدهرة ، وبما كان يحصل فيها من لقاءات ومجالس أدبية وعلمية، كادت أن تكون سوقا أدبية فيها .دعا اليها شعراء سمائل .

---

١. موسى بن عيسى البكري ، مقدمة – السموط الذهبية ، تقديم أحمد بن سعود السيابي ، ص ٣ .

٢. مقابلة الباحث المكتوبة مع الشاعر بتاريخ ١٩٩٤/١/١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد لبى هذه الدعوة الأديب المرحوم " عبدالله بن محمد الطائي "(١) بانشاء سوق صحار الأدبية (٢) فكان الشاعر أبو سرور من أوائل الملبين لقيام مثل هذه السوق، والمتحمسين لإنشائها والسباقين للمشاركة فيها . فأنشأ قصيدة للمشاركة بمناسبة قيام هذه السوق الأدبية يقول فيها :

أحمامة البان النظير ترنمـــــي فالكل في وادي الغرام يهيـــم
وخلية نامت على مهد الهنـــا سمعت أنيني والفؤاد كليـــم
جاءت وكادا الحال يدهش قلبها أحميد كيف الحال؟ قلت : سليم (٣)

إلا أن ظروفا معينة حالت دون قيام هذه السوق الأدبية بتلك الصورة ، وإن تبلورت ضمن أشكال أخرى ، وبأطر تنظيمية خاصة . ولكن شعراء سمائل لم ينتظروا قيام مثل هذه اللقاءات المنظمة . بل كانوا يجتمعون ويتدارسون الأدب وينشئون القصائد سباقا فيما بينهم . ومن طرائف الأمور ما يحدث به الشاعر أنه كانت هناك محاكمات أدبية تعقد احيانا"، ويتصدر فيها الدعوى أطراف ، ويحكم فيها قاض أدبي ، يحضرها كبار الشعراء والأدباء والمهتمون بالأدب في جلسة خاصة تعقد لذلك . ومن أمثلة ذلك أن أحد أدباء سمائل ويدعى " علي بن منصور الشامسي "(٤) أصيب بالرمد ولم يزره الشاعر أبو سرور ، فبعث بأبيات الى الشاعر الشيخ عبدالله بن علي الخليلي * يشكو فيها الشاعر أبا سرور أنه لم يعده.فأجاب على الدعوى وحكم الخليلي وكان ذلك في ندوة كبيرة أقيمت بالوادي

---

١. هو أديب شاعر كاتب صحفي ، تولي وزارة الاعلام العمانية ، له العديد من المؤلفات والدواوين .
٢. (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات، ص ١٠٧ .
٣. (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الأدب ، ص ٨٦ .
٤. محمد بن راشد الخصيبي، شقائق النعمان على سموط الجمان في اسماء شعراء عمان ط٢ /١٩٨٩ ص ٣٧٥ المخطوطة ، ديوان الشاعر ١/ ص ١٠٧ .

* هو عبدالله بن علي بن عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي الخروصي السمونلي ، شاعر العصر ، المشهور في عمان بشاعر البيان ، أو أميرالبيان . نبغ في الشعر ومهر واشتهر، له دواوين مطبوعة منها ديوان " من نافذة الحياة " وديوانه المشهور " وحي العبقرية " الذي طبعته وزارة التراث القومي والثقافة العمانية في عدة طبعات ، انظر محمد بن راشد ، شقائق النعمان ، مصدر سابق ، ص٢٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين " السبحية " و" الدغال " من علاية سمائل ٠ حضرها العلماء والفقهاء والأدباء ورواد الأدب ٠ ثم دعاهم الخليلي الى حلبة أخرى ، شارك فيها بعد ذلك الشاعر الخليلي وأبو سرور والأستاذ موسى ابن عيسى البكري بقصائد جديدة ٠[١]

في مثل هذا الجو العلمي والمجالس الأدبية والبيئة الشاعرية الخاصة والعامة ، يولد أبو سرور وينشأ ويترعرع ، متصلا بأدباء بلده ومحيط دولته ، وليكتسب بعد ذلك خبرة من خلال أسفاره ورحلاته ٠

والواضح أن الشاعر في بداية حياته اكتفى بالدراسة على شيوخ بلده سمائل دون أن يرحل عنها ، على الرغم من أن مدينة "نزوى" عاصمة عمان في ذلك الوقت كانت تشكل مدرسة علمية يرعاها الإمام محمد بن عبدالله الخليلي ٠ ولا غرو فان سمائل في ذلك الوقت كانت تغص بكبار العلماء في مختلف العلوم التراثية ٠ فاكتفى الشاعر بالاغتراف من معينها من ناحية ، ولظروفه الاجتماعية والاقتصادية من ناحية أخرى ٠ ومن هنا فإن ثقافة أبي سرور ثقافة عربية تراثية بحتة ٠ فهو ينطلق من التراث ليعبر عن الحاضر ، وهو لا يعرف أية لغة أجنبية، إذ يعتمد على التراث الأدبي العربي بمجموعة الشامل ٠ وما أريد أن أؤكده هنا أن ان الدائرة الثقافية تشكلت لدى الشاعر من خلال الركيزة الأساسية الأولى ، وهي المعارف الدينية ، التي أخذت مساحة كبيرة من تجربته الثقافية ، وحيزا واسعا من اهتماماته المعرفية ، وهو ما يشكل بنية مرجعية لثقافة الشاعر التي تنوعت بتنوع المصادر التراثية من جهة ، والمصادر المعاصرة من جهة أخرى ٠

وقد كان اتصاله بالمصادر التراثية ليس من قبيل الاعتزاز بالتاريخ والتراث والحنين إليه فحسب ، وإنما كان يتكيء على تلك المصادر لإبراز الحاضر المعاصر ، أي أنه كان يعالج قضايا عصرية مستفيدا من مصادره التراثية ٠ وفق هذا فإن ثقافته تقوم على أساس استيعاب التراث مع استيعاب المعاصرة ٠

وكان للبيئة التي ترعرع فيها الشاعر،والظروف التي رافقت نشأته دور في توجيه حياته الأدبية ٠ هذه الوجهة ، التي من أبرز سماتها وضوح الطابع التراثي والديني على نتاجه ٠ فالشاعر منذ أن فتح عينيه على اكتساب الثقافة وجد

---

١٠ أبو سرور : الديوان المخطوط - الوطنيات ، ص ١٠٧ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفسه أمام طابع تعليمي ديني تقليدي ، يبدأ بتلقين القرآن الكريم وما يتبعه من علوم أخرى تيسر فهمه كعلوم العربية وآدابها التي تعد وسيلة للتوصل إلى فهم صحيح لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . شأنهم شأن أي بيئة محافظة ، ويمكننا أن نقسم نمط دراسته إلى ثلاث مراحل :

أ- المرحلة الأولى :

في الكتاب : إذ بدأ شاعرنا تعليمه في أحد الكتاتيب بدراسة القرآن الكريم ، بالطرق التقليدية المتعارف عليها ، والتي عادة ما يعتمد التعليم فيها على جهد الفرد ، غير مرتبط بأقران الدارس ، فإذا ما كان الدارس صاحب ذكاء وفطنة وحافظة ، استطاع أن يبز أقرانه وأن يتقدم عليهم إذ لا يلتزم بهم . وكذلك كان التعليم في هذه الكتاتيب . وأول دراسته كانت على يد معلم يدعى " شيخان بن هلال الشامسي " (١) . حيث بدأ تعلم الكتابة والقراءة ودراسة القرآن الكريم وأكمله في كتاب تديره معلمة تدعى " غنية بنت مسعود العزيزية بمحلة "الجعفرية " من علاية سمائل (٢) .

ب- المرحلة الثانية :

وتتمثل في دراسة فنون اللغة العربية وقواعدها ، وهنالك يتم التركيز بصورة أكبر على ما يستقيم به لسان الدارس ويسمى بعلم الآلة " ويقصدون قواعد العربية المتمثلة في النحو والصرف . ويكون التركيز منصبا في هذه المرحلة على كتابين من كتب النحو الأول شرح ملحة الإعراب للحريري كمرحلة أولى ، حيث يكلف الدارس حفظ البيت وشرحه مع التطبيق في الإعراب تبعا لجهد الدارس في حفظه وفهمه دون تقيده بباقي أقرانه - وقد درس الشاعر هذا الكتاب على يد عدد من أساتذة النحو في سمائل ، فبدأ مع الأستاذ سعيد بن سالم الداودي ثم على الأستاذ حمدان بن خميس اليوسفي وأكمل الملحة على يد الشيخ العالم حمد ابن عبيد السليمي (٣) . وبعد أن أنهى دراسته لهذا الكتاب بدأ بدراسة الكتاب الثاني في النحو وهو كتاب أوسع وأشمل من الكتاب الأول المتمثل في كتاب " شرح ألفية ابن مالك -لابن عقيل "وتسير فيه الدراسة على نفس نهج الدراسة في المقرر

---

١. مقابلة مع الشاعر ، مسجلة في شريط عام ١٩٩٢ .
٢. مقابلة الباحث مكتوبة مع الشاعر في ١٩٩٤/١/١٥ .
٣. مقابلة مسجلة على شريط عام ١٩٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأول مع توسع في التطبيق والإعراب ، ويذكر أنه بدأ أول شروح الألفية مع الأستاذ موسى بن عيسى البكري (١) ثم مع الأستاذ النحوي الكبير حمدان بن خميس اليوسفي والعلامة أبو عبيدة السليمي وكلهم بسمائل (٢) .

ج- **المرحلة الثالثة :**

وتتمثل في دراسة علوم الفقه وأصول الدين والحديث حيث درس أصول الدين على يد الشيخ " علي بن حمد الناعبي وأصول الفقه على يد الشيخ هاشم بن عيسى الطائي * وعلى الشيخ حمد بن عبيد السليمي في الحديث الشريف (٣) كما كان يحضر مجالس الشيخين العالمين حمد بن عبيد السليمي وخلفان بن جميل السيابي ** .

---

١. مقابلة مسجلة على شريط عام ١٩٩٢ .

٢. مقابلة الباحث مكتوبة مع الشاعر ١٩٩٤/١/١٥ .

٣. مقدمة ديوان الشاعر إلى أيكة الملتقى " ص ٩ .

* هو الشيخ هاشم بن عيسى بن صالح بن عامر الطائي السموئلي ، أحد القضاة المشهورين وعلماء الأصول المعدودين ، عمل في آخر حياته مدرسا بمعهد القضاء الشرعي في مسقط وهو من الشعراء المجيدين والحافظين للشعر والمتذوقين للأدب ، انظر في ترجمته : محمد بن راشد : شقائق النعمان ج٣ /٣٤٥ .

** هو الشيخ خلفان بن جميل السيابي السموئلي (١٣٠٨ - ١٣٩٣هـ) اشتهر بسعة علمه ، وكان هو الشيخ حمد بن عبيد السليمي أقران علم وأدب . وقد تقلد الشيخ السيابي القضاء في ولايات عدة ، إلى أن تخلى عنه وتفرغ للتدريس والتأليف ، له الكثير من المؤلفات منها " سلك الدرر " في الفقه وأحكامه" مطبوع " وكتاب بهجة المجالس في الأدب والتصوف المساءلات الفقهية " مطبوع " من ذلك قصيدته " القطرة الغيثية والوسيلة الإلهية ومطلعها :

على باب من أهوى بلذ لي الذل ... فيا عز قوم تحت أعتابه ذلوا

أحبتنا إن الصدود معذبي ... ولكن عذابي مره فيكم يحلو

أجود بنفسي في هواكم وإنها ... لمن عندكم والفرع مرجعه الأصل

انظر - محمد بن راشد - شقائق النعمان ، ج٣ ص ٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشيخ العالم سالم بن حمود السيابي *، إذ كرع ينهل من علومهم، ويستفيد من مجالستهم فأخذ عنهم علوم الشريعة . ولا شك أنه أفاد من مشايخ آخرين رافقهم وزاملهم وكان لهم دور في صقل موهبته ، وتغذيته بالمعارف الدينية والتاريخية ، والأخذ بيده في ميدان الأدب في المجالس السمائلية .

ومن هذا المنطلق توطدت أواصر الصلة بين الشاعر وكتب التراث التي تعنى بقواعد اللغة من نحو وصرف وبلاغة وعروض ، ومن دواوين الشعراء القدماء في الجاهلية والإسلام . فهو يعجب بشعر عنترة وعمرو بن كلثوم ، إذ قرأ دواوينهم ، كما اطلع على شعر المتنبي وأبي فراس الحمداني (١) بالإضافة إلى شعراء فترة الإحياء المتأثرين بالأدب القديم من مثل البارودي وحافظ ابراهيم وأحمد شوقي (٢) هذا إلى جانب كبار الشعراء العمانيين الذين شكلوا مدرسة احتذى الشاعر بها وتشرب أدبها وطرائقها كالشاعر العالم سعيد بن خلفان الخليلي** وقبله الشاعر الفحل أحمد بن النظر السمائلي *** وبعدهم ابن شيخان السالمي**** ، وأبو مسلم الرواحي ، الذي كان واسطة العقد في الشعر الاستنهاضي الحماسي المعاصر .

---

* هو الشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابي السمائلي (١٣٢٦ -١٤١٥هـ) علامة ، نسابة ، مؤرخ ، أديب ، ذكي فطن ، له العديد من المؤلفات في الفقه والعقيدة والتاريخ والأنساب والأصول والأحكام وأغلبها مطبوع ، منها العنوان في التاريخ ،وعمان عبر التاريخ ، وإسعاف الاعيان في أنساب أهل عمان .- انظر : محمد الخصيبي " شقائق النعمان " ص ٣ ، ص ٧٥ .

** سبق التعريف به .

*** سبق التعريف به .

**** هو الشاعر محمد بن شيخان بن خلف بن مانع السالمي ، من (١٢٨٤ -١٣٤٦ هـ) ابن عم العلامة المحقق الإمام نورالدين السالمي ، برع في علم اللسان ونبغ في الشعر ، له ديوان مطبوع ، انظر محمد بن راشد الخصيبي، شقائق النعمان ج١ /١٨٩ .

١. مقابلة الباحث مكتوبة للشاعر ١٩٩٣/٦/١٥ م.

٢. مقابلة الباحث مكتوبة للشاعر ١٩٩٤/١/١٥ م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ٢ -

يشكل القرآن الكريم لبنة أساسية عند الشاعر في تكوينه الثقافي ، ذلك أنه قرأ القرآن الكريم - وحفظ كثيراً منه ، ودرس شيئا مما يتعلق به من تفسير وفقه ومعاملات . وظل بألفاظه ومعانيه وأعلامه وقصصه موردا هاما ، ومجالا رحبا يلجأ إليه الشاعر بعد أن تشرب معانيه واستلهمها وجسدها في فكره وأدبه . وكانت بداية الشاعر لرحلته التعليمية بالقرآن الكريم ودراسة ما يتصل به من علوم أخرى ، ركيزة ثقافية ظهرت في مدائحه النبوية ، وحديثه عن المناسبات الدينية ، وإشاراته إلى معارك المسلمين وانتصاراتهم التاريخية ، وإسقاطه الكثير من الصفات القرآنية كالصبر والجهاد والاخلاص والعدل ، وصفات النفاق والكفر من مثل الجور وانتهاك المحارم وأحوال الطغاة والظالمين ، وغير ذلك من الصور القرآنية التي تأثر بها الشاعر .

وللشاعر معرفة بكثير من مصطلحات الفقه والحديث والأصول شكلت لدية قاموسا لغويا استخدمه في شعره ، وحمله دلالات أخرى ، وألبسه معاني جديدة وذلك مثل : وضوء وحج وعمرة ، وإفراد وقران وصلاة ومساجد ومحاريب واستغفار وغيرها (١) .

- ٣ -

وقد اطلع الشاعر على كثير من كتب التاريخ لا سيما التاريخ الاسلامي، وقصص العرب ، لا سيما كتاب " السيرة النبوية لابن هشام " إذ تشرب معانيها ، وعبر عن مضمون هذه السيرة العطرة في قصيدة أبرز فيها مهارته في صياغة الأفكار والمعاني بطريقة أدبية شعرية بعنوان " سيد الكونين " وما فتىء يزيد في عدد أبياتها حتى أوصلها إلى ما يزيد على سبعمائة بيت (٢) .

كما أن للشاعر معرفة بتاريخ العرب في الجاهلية والإسلام ، وأسماء وأعلام العرب ومشاهيرهم فيها . وقد استخدم هذه الثقافة في شعره بما تحدث عنه من أحداث تاريخية ، وأعلام وشخصيات ، وبما كان يضربه من الأمثال والحكم ، وبما كان يسقطه ويستدعيه من شخصيات على واقعنا المعاصر . التي

---

١. (أبو سرور) الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ، ص ١٤٩ - قصيدة " ضوء الصبابة " .

٢. صورة من مخطوطة القصيدة كاملة لدى الباحث بخط المؤلف تبلغ ثلاثا وثمانين صفحة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يناديها الشاعر لتظهر في صورة المخلص ، فيهيب بصلاح الدين أن يعود إليها ، ويخاطب عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ، ناشدا العدل ورفع راية الجهاد . وكثيرا ما كان يورد الشخصيات التاريخية ، ويسقط كثيرا من القضايا المعاصرة على هذه الوقائع والشخصيات ، بغية إيجاد نموذج مخلص لهذه الأمة .

فالتاريخ لدى الشاعر يشكل مصدرا مهما من مصادره الثقافية ، وله معرفة من خلال قراءته التاريخ بأحداثه وشخصياته ومدنه ، تنبىء عن استيعاب لهذا التاريخ ، سنجده فيما بعد يفيد منه في تجربته الشعرية .

- ٤ -

ولأبي سرور مهارة لغوية ، فهو يحفظ كتابي " شرح ملحة الاعراب للحريري " وشرح ألفية ابن مالك " لابن عقيل حفظا وفهما . وله في النحو باع بحيث ألف فيه ، إذ أن له قصيدة ميمية شرحها شرحا لطيفا مستخرجا أمثلتها من الواقع والبيئة ، وقد اعتمدها منهجا للتدريس في أحد مساجد بلده سمائل .

وله اطلاع على المعاجم اللغوية ، ويمتلك عددا منها في مكتبته الخاصة، وللشاعر ثقافة عروضية تظهر لنا من خلال ذلك التنوع الذي نظم به شعره من البحور والقوافي المتميزة بكثرة أوازنها وتعدد قوافيها .

وله اطلاع على الدواوين الشعرية وأعلامها ، إذ قرأ لشعراء سابقين مثل عنترة وعمرو بن كلثوم وحسان بن ثابت وأبي فراس الحمداني والمتنبي وأحمد بن النظر وأبي مسلم الرواجي وأبي وسيم * وغيرهم . وقارىء شعره يلحظ مدى تأثره بالشعراء السابقين في مجاراتهم في كثير من قصائده ، ومعارضتهم والاقتباس من شعرهم ، والاستفادة من طرائقهم ، وهذا ما سوف تكشفه لنا هذه الدراسة .

---

* هو الأديب الفصيح خميس بن سليم بن خميس الازكاني السموئلي من شعراء القرن الثالث عشر الهجري من شعره الرائق قوله :

لساني مملوء من القول جوهرا ... على أن في قلبي لذا الدر أبحرا
ولكن دهري اصبح الصمت عنده ... بكل فصيح فيه أولى وأجدرا

انظر : شقائق النعمان ، مصدر سابق ، ج١ /١٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا يتضح لنا أن الشاعر قد تلقى معارفه الأولى عبر الكتاب والحلقات المنظمة نسبيا ، وغذاها بمطالعاته الخاصة وقراءاته الخارجية ، ونمت لديه بشكل واسع ، حين قضى صدرا من حياته في مجلسين مهمين من مجالس العلم والأدب، وهما مجلس الشيخ العالم حمد بن عبيد السليمي ، والشيخ العالم خلفان بن جميل السيابي • وهناك كان يتاح للشاعر الالتقاء بعدد كبير من مرتادي مجلس الشيخين من الشخصيات الأدبية والعلمية التي كانت تتردد على هذين المجلسين • فهناك تمرس الشاعر بنظم الشعر الفقهي ، لا سيما الطريقة التقليدية في طرح الأسئلة الفقهية والأدبية شعرا •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ٥ -

أثر المجالس الأدبية في ثقافتـــه :

تمتاز مدينة " سمائل " بمجالسها الأدبية كما ذكرت ، وقد اختلف أبو سرور إلى هذه المجالس بحكم الرغبة في تحقيق ذاته . فكان يتنقل بين هذه المجالس الأدبية ، ولعل أشهرها مجلس الشيخ خلفان بن ناصر السعدي *، الذي كان يجتمع لديه كبار أدباء سمائل وشعرائها . ففي مثل هذه المجالس التي عادة ما تكون وسط بساتين النخيل وعلى مقربة من جداول الأنهار " الأفلاج " ، وتدار فيها فناجين القهوة – رمز الكرم في عمان – بعد أن يتناولوا حبات من الرطب في وقت الصيف أو التمر في الشتاء فتقوم المساجلات الشعرية ، وتطرح القصائد الجديدة ، وتظهر المواهب الحديثة .

وكان الشاعر أبو سرور حريصا على حضور هذه المجالس فبالإضافة إلى المجلس المذكور وحضوره أيضا مجالس الشيخين أبي عبيد السليمي ، وخلفان بن جميل السيابي والتقائه هناك عددا من الأدباء والشعراء واحتكاكه بكبار منشئي الأدب كان أيضا يحضر مجلس الشاعر العماني الكبير عبدالله بن علي الخليلي .

هذه المجالس وغيرها كانت بمثابة الرافد الذي يرفد الشاعر بمكونات ثقافية وأدبية وتاريخية ، بما كان يدور في جنباتها من مطالعات ومحاورات وطرح لقصائد جديدة ، ومناقشة لقضايا أدبية ، وهناك بدأ أبو سرور يفتح عينيه على القراءات النافعة ، والتعليقات المفيدة ، ويستمع إلى القصائد القديمة والحديثة، والمسائل الفقهية والعقائدية ، ومناقشة الأحداث المعاصرة . مما كان لها أثر في تشكيل ثقافته . فكان هذا الجو الفكري الذي أحاط بالشاعر له أثره ، في صقل موهبته ، وتكوينه الثقافي ، حيث بدأت بواكير شعره في هذه المجالس ، لا سيما مجلس حاتم زمانه الشيخ خلفان بن ناصر السعدي (١).

---

* هو خلفان بن ناصر بن عبدالله السعدي السمولي ، كان محبا للادب ، هاويا لقراءة الشعر ، متذوقا له ، اشتهر بكرمه ، وظرافته ، توفي عام ١٣٨٦هـ وممن رثاه الشيخ عبدالله الخليلي ، ومن قصيدته قوله :

ما فقدنا فيك شخصا واحدا ... بل فقدنا جيل مجد واهب

ما رزئنا بك لحما ودما ... بل رزينا بسليب سالب

انظر ،محمد بن راشد : شقائق النعمان : ج١،ص٢٨٥ .

١. مقابلة الباحث مكتوبة مع الشاعر بتاريخ ١٩٩٤/١/١٥ ، ص ٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ثم مجلس الشيخ عبدالله بن علي الخليلي ٠ الذي يعده الشاعر أستاذه الذي شجعه وأخذ بيده في طريق الأدب ٠ فكان له موجها (١) هذا فضلا عن المجالس الأخرى التي أروت ظمأه ، وأشفت غليله ، فاخذت بيده ، وشحذت قريحته ، التي بدأت طلائعها تظهر عبر نزعته العاطفية ، والوطنية والقومية ٠

٦- رحلاتـــه

وكانت الأسفار والرحلات التي قام بها الشاعر إلى بلدان متعددة رافدا مهما في تكوينه الثقافي واطلاعه الفكري ٠ حيث أتاحت له التعرف على أنماط جديدة في الحياة ، وتجربة واسعة في فهمها ٠ وصارت لديه مصدرا مهما من المصادر التي يستوحي منها أشعاره في الغربة والحنين الى الوطن والأهل ٠ كما كانت فرصة للتبادل الشعري والمراسلات الأخوية ، والمشاركة الثقافية ، والتعرف على الشخصيات العلمية والأدبية في تلك البلدان ٠

والشاعر – كما أشرت – رجل كابد كثيرا في حياته ، وعانى الكثير في سبيل تحقيق أمانيه وطموحاته ، وقد كان خروجه الأول من بلده نتيجة ظروف عاناها ، وبسبب آرائه السياسية والأيديولوجية الخاصة التي ينطلق منها ، في فهمه لبعض الأحداث الواقعة في عمان آنذاك ٠ وإن كنا لا نجد الشاعر يصرح في قصائده بشيء من ذلك وإنما كان حسبه أن يرمز إليها ويشير ، مراعاة للظروف السياسية والاجتماعية ، والمعاناة الذاتية ، وهي أمور لا تخفى على القارىء النابه الذي يستشفها من وراء الكلمات ٠

ولعل هجرته إلى دمشق تعد من أولى رحلاته ، وهي مرتبطة بالأحداث التاريخية – وقتها – في عمان ، وكان ذلك بين سنة ١٩٥٤ وسنة ١٩٦٤م (٢) ٠ ومن المؤكد أن الشاعر كان خلال تلك الفترة يجتمع بالأدباء والشعراء ويلقي عليهم قصائده التي من بينها قصيدته المعروفة " روضة الألباب" والتي ألقاها هناك عام ١٩٦٤ (٣) ٠

---

٠١ مقابلة الباحث مكتوبة مع الشاعر بتاريخ ١٩٩٤/١/١٥ ص ٥ ٠
٠٢ محمد علي الزرقا – عمان قديما وحديثا ، ص ٢٤٨ ٠
٠٣ (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي – ديوان : باقات الأدب ص ١٩ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن بين الشخصيات التي التقاها خلال تلك الرحلة ، العالم اللغوي الشيخ " عزالدين التنوخي " عضو المجمع اللغوي في دمشق ، وعدد من الشعراء والأدباء الذين كانت تجمعه وإياهم أمسيات وجلسات أدبية (١) .

ولما عاد إلى عمان بقيت صلته بالعالم العربي قائمة ، إذ زار مصر مرات متعددة والتقى هناك عددا من الأدباء والشعراء ، وأقيمت له الأمسيات الأدبية في نواديها ، وشارك في المسابقات الشعرية والمنتديات الأدبية فيها . ويذكر إن احدى الطالبات فازت بالمركز الأول على مستوى الجمهورية في الإلقاء عندما ألقت قصيدة من نظمه في عيد المعلم ومنها :

أين المعلم كي أقبل راحـــة" منه تخط محامدا وجنودا (٢)

كما زار العراق وألقى عدة قصائد بالمربد هناك عام ١٩٨٩ ومنها قصيدة مطلعها :

أتينا نمخر السبع الطباقـــا نؤم عريقة المجد العراقا (٣)

إن تطواف الشاعر في بلدان كثيرة بما فيها بلدان الخليج والجزيرة العربية ، جعله يرتبط بالقضايا العربية والإسلامية ، ويندمج في الحياة الثقافية ، ويشارك في المنتديات الأدبية بفاعلية ملحوظة . ولا شك أنه أفاد من حضوره ومشاركاته وأسفاره التي رفدت ثقافته ، وساهمت في تشكليها .

٧- أطوار حياتـــه

مرت حياة الشاعر بظروف متعددة ، وعاصرت تغيرات سياسية مختلفة، وبحقب متتالية الحلقات في عمان . ولا ريب أن الأوضاع السياسية التي كانت تعيشها عمان تركت أثرها على حياة الشاعر الفكرية والأدبية والشعورية .

كما كان لحالة الصراع السياسي بين نظامي السلطنة والإمامة فيما بين عامـــي ١٩٥٤ -١٩٥٧ م (٤) وما قبلها ، أثر على حياته ، بحكم أن الشاعر كان

---

١. مقابلة الباحث مكتوبة مع الشاعر ١٩٩٤/١/١٥ ص ١٠ .
٢. (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ص ٢ .
٣. (أبو سرور) الديوان المخطوط - القوميات - ص ٧٧ .
٤. محمد علي الزرقا - عمان قديما وحديثا - ص ٢٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعيش في ظل نظام الإمامة التي كانت في أواخر عهدها في صراع مع نظام السلطنة في ذلك الوقت ، وبحكم نشأته الأولى وتكوينه الفكري ، أثرت هذه الأحداث عليه ، وتركت طابعا واضحا انعكس على نتاجه الشعري تراوح بين الحماسة والغضب وبين اليأس والحزن ٠

والشاعر وإن لم يكن قد انغمس في دوامة هذا الصراع بشكل مباشر ، إلا أن تأثيرات الصراع المذكور بدت واضحة على قسمات حياته الأولى ، بما تركته من نتائج على مجرياتها ٠ ومن هنا نستطيع القول أن الشاعر ، عاش ثلاث حقب تاريخية كان لها أثرها على نتاجه بما تشكل لديه من رؤى خاصة عنها ٠

ففي الحقبة الأولى كانت عمان مقسمة الى دولتين ، إمامة عمان وسلطنة مسقط ، وانتهت هذه الحقبةعام ١٩٥٦ (١) بتوحيد سلطنة مسقط وإمامة عمان في ظل دولة واحدة سميت " سلطنة مسقط وعمان " وهو ما يمثل الحقبة الثانية التي عاش الشاعر أحداثها ، وتابع مجرياتها ، وعاصر أطماع الأجانب في النيل منها ، لا سيما في الثورات المتعاقبة إبان حكم السلطان سعيد بن تيمور ، أبرزها ثورة ظفار ، ويتجلى موقفه منها في قصيدة له بعنوان " حداة الوغى " (٢) والتي لم يخف فيها معارضته لهذه الحركة ، ودعوته إلى مقاومتها لاعتقاده أنها تبتعد فكريا عن تطلعات الشعب العماني ٠

أما الحقبة الثالثة فهي تبدأ عام ١٩٧٠م بتولي السلطان قابوس مقاليد الحكم في عمان ، وهي فترة تمثل بداية عصر النفط والانفتاح والرخاء فيها ٠ وذلك يعني أن أبا سرور شهد الاختلاف الكيفي بين هذه الحقب ، وعبر في كل منها عن موقفه ، تشده في ذلك همة عالية ، ورغبة جموح في تحقيق أمنية طالما وقف الدهر حائطا وسدا منيعا في سبيلها ، تستشف من خلال ما كتبه ضمن معاناة وتجربة شخصية انطبعت على شعره ، وظهرت في نتاجه على شكل ومضات أدبية ٠

---

٠١ محمد علي الزرقا ، عمان قديما وحديثا ، ط ٢ دون تاريخ ص ٢٦١ ٠

٠٢ (أبو سرور) حميد عبدالله الجامعي ، ديوان - باقات الأدب ، ص ٥٢ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- كفاحه في الحياة

أ ٠ بدأ أبو سرور رحلته الحياتية رجلا كادحا ، يعمل ما يتسنى له من أعمال يحصل من ورائها على أجر يعينه على مطالب الحياة ، عله يستطيع أن يوفق بين مطالب الحد الأدنى من المعيشة والحد الأعلى من طلب العلم ٠ فكان يقوم بأعمال الفلاحة وما يتعلق بها من سقي النخيل وحراثتها وإنباتها وإصلاحها كما عمل في بناء الجدران والسواقي والبيوت ، وبالجملة فإنه لم يكن يتأفف من أي عمل حر يجلب له أجرا يعينه على تحمل تكاليف الحياة وضنك العيش ٠

والمهم عنده أن يوفر ما يسد الرمق مع عدم الاستغناء عن مواصلة العلم، ويؤكد ذلك الشيخ عبدالله بن علي الخليلي في قوله " وهو من الطبقة الكادحة، فتجده عند منجله ومحراثه والكتاب بين يديه "٠(١)

ب ٠ بعد أن ظهرت موهبته وقدراته العلمية طلب ليكون معلما لعلوم العربية والفقه في إحدى بلدان المنطقة الشرقية من عمان وهي " المضيبي " ، فعمل مدرسا بمسجد الصوار منها (٢) وبقي هناك ما يقرب من عام ٠

ج ٠ الا أن أهل سمائل لم يستغنوا عنه فطلبوه ليقوم بمهمة التدريس فأقام مدرسا بمسجد " رجب " من علاية سمائل في النحو والفقه والحديث الشريف (٣) ٠

د ٠ ولما تولى السلطان قابوس الحكم في عمان عام ١٩٧٠م ، وسعى لتعميم نظام التعليم فيها ، وافتتحت المدارس في جميع مناطق السلطنة ، حيث كانت سمائل من أولى البلدان التي افتتحت فيها المدارس ، دعي الشاعر للتدريس في هذه المدرسة ، وهو الذي أطلق عليها اسم " مازن بن غضوبة " نسبة إلى أحد أعلام سمائل المعروفين (٤) حيث درّس شاعرنا فيها مادة التربية الاسلامية حتى عام ١٩٧٣/٧٢م ٠

---

١٠ عبدالله بن علي الخليلي ، مقالة عند " ابي سرور: جريدة عمان ، السبت ٨ أغسطس أب ، ١٩٧٣م ٠

٢٠ مقدمة كتاب :" رياض الحكماء " للشاعر - مخطوط - ص ٣ ٠

٣٠ المصدر نفسه ص ٣ ٠

٤٠ المصدر نفسه ص ٣ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ ٠ في عام ١٩٧٣ م استدعي ليعين قاضيا بجزيرة مصيرة ، إحدى الجزر العمانية على بحر العرب ، ثم بقى شاعرنا متنقلا بين عدد من البلدان العمانية ، من مصيرة إلى ولاية الكامل والوافي بعد ثلاث سنوات ، ثم إلى صور وبعدها إلى صحار ، ثم إلى بدبد ، ثم انتدب عاما واحدا مدرسا في معهد القضاء الشرعي ثم عاد الى بدبد ، بعدها نقل الى قريات ثم صحم ، وبعد عشرين سنة عاشها قاضيا متنقلا بين الولايات ، نقل ليكون قاضيا بمحكمة الاستئناف عام ١٩٩٣م وهي من مراحل القضاء العليا ٠ وما زال قاضيا في هذه المحكمة حتى الآن ٠

٩- أخلاقـــه وشمائلـــه :

" أبو سرور " وفي إلى أبعد حدود الوفاء لأمه وأساتذته وأصدقائه بل وتلاميذه ويتجلى هذا الوفاء في صور شتى في شعره ٠ يكره الرياء والنفاق وينفر منه ، يحب الصراحة ، ويمقت الكذب ٠ يحافظ على الشعائر الدينية ، يتردد الى المساجد ، يحب اللقاء بطلبة العلم ، كثير التشجيع لهم ٠ إذا اطمأن الى صاحبه أباح له بما تكنه نفسه ٠ ذو جرأة ، لا يحسب للمداهنة حسابا ، كثيرا ما كان يصطدم في علاقاته الرسمية بالمسئولين ، لا سيما وهو قاض شرعي يود أن يرى أثر التطبيق الكامل للحدود ، ويرى أنها المخرج الوحيد لانتشال المجتمع من مشاكله التي تردى فيها ، والتي باتت تهدد كيانه ٠ وله في ذلك مواقف لا سبيل إلى ذكرها ٠

وهو رجل شديد الحرص ألا تخدش كرامته ولا ينال من قدره ، صاحب إباء وعزة نفس ، كثير الحديث عن نفسه مخلصة لدينه ، وفي لبني وطنه ، معتز بعروبته ، يذوب في وطنه حبا ، كثير التشوق إلى بلده سمائل ٠

وهو يترفع عن طلب المال والتكسب بشعره ، ولا أدل على ذلك من ترفعه عن المديح حتى عن علية القوم وأصحاب المناصب الرفيعة ، لما فيه من أنفة ، إذ لم يقم على باب وال أو أمير مادحا ٠ وفيا لأخلائه يلقاهم بكل بشر وترحاب ، حافظا لعهدهم ، ذاكرا لمودتهم ، ولا أدل على ذلك من مراسلاته لأصحابه الذين تعرف عليهم في بلده ، ثم هاجروا عنه ٠ فلم ينس أيامهم معه ، ولم يتناس مودتهم له ، فراح يبادلهم تباريح شوقه أينما حلوا ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتضح لنا ذلك من خلال مراسلاته وقصائده الأخوية المتبادلة ٠ وهو مع ذلك رجل جلد يتحمل الشدائد ، صبور على نوائب الدهر ، ما فتىء يشيد بالصبر ويلجأ إليه ، كلما ألمت به نائبة ٠

ومع الإطلالة على شعره نجد فيه ذلك الشاعر الثوري الذي يلتزم بقضايا الإنسان وهمومه ، ومعاركه وانتصاراته وهزائمه ٠ فهو أن تغزل ، تغزل في حدود ، دون أن يطلق لنفسه العنان ٠ يحمل في أعماقه ثورة لا تستكين ولا تهدأ ، ضد الفساد والميوعة ، يحب أن يكون الشباب فتيا ، لا يتشبه بالنساء ، فالشباب كما يرى ليس بإطالة الشعر والانغماس في الملذات بين الكأس والهوى :

ليس الشباب تخنفسا وتغنجا | وسلاسل الأيدي وخمر فساد (١)

ولكنه يحب أن يكون كل شيء بقدر ، داعيا إلى الوسطية ، فهو يعشق الرجولة والتقاليد والعادات الموروثة ، يرتدي عمامته ، ويلبس خنجره كلما خرج ٠ يكره في المرء التكبر والجبر ٠

ومن هنا فان أبا سرور - شاعر أديب ، قاض فقيه ومعلم في آن واحد، قربه من مجتمعه وعدم ترفعه عليه ، جعله قريبا من القلوب ، محببا الى النفوس٠ ولذلك فإنه حاز من الإعجاب والشهرة في عمان وخارجها ما لم يحزه غيره ٠ لطيب شمائله ، وكثرة مشاركاته وسرعة حضوره لمعظم الدعوات الموجهة إليه ٠ وقلما تجد فردا أو مهتما بالأدب في عمان لا يعرف أبا سرور الشاعر أوالتقى به أو زاره ٠ ولكن ذلك لا يعني أن إعجاب الناس بشعر أبي سرور نابع من إعجاب الناس بشخصه ، فقط ، إذ يكاد شعره يكون أظهر لشخصيته وأبين ، وهو رجل اجتماعي يكره العزلة ويحب الاختلاط بالناس ، يزور أخاه وصديقه ، مجلسه عامر بالضيوف ، قلبه ينبض رقة وعذوبة، ينوع الحديث لمجالسه ، فلا يحس بالسأم والملل ، بين مسالة نحوية ،أوأخرى فقهية ، وثالثة عقائدية ، ورابعة تهذيبية ، وكثيرا ما كان يعمد إلى قص القصص والأخبار ، والنوادر الهادفة ، التي تعين السامع وتفيده ، وتثير فيه كوامن نفسه ٠ يذكر بماضي الأمة ، ويشير إلى حاضرها ، ثم يتناول قصيدة من قصائده ليقرأها بصوتة المعبر ٠

وقد شهد له كثير من أصدقائه الذين ارتبط معهم بعلائق المودة والصداقة، ، سواء من كان منهم داخل عمان أم خارجها ٠

والذين سنتعرف عليهم أثناء دراستنا لإخوانيات أبي سرور ٠

---

١٠ أبو سرور : قصيدة مخطوطة ، ص ١ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مؤلفاتـــــــه

١- أعماله الشعريـــة

بدأ أبو سرور نظم الشعر في فترة مبكرة من عمره ، وهو لم يتجاوز العشرين ، وكانت قضايا الوطن - وهي كلمة يضيق ويتسع مفهومها - بمحنه ومآسيه ، فضلا عن معاناته الذاتية ، من أهم الأسباب التي فجرت شاعريته.وكان ديوان الشاعر " باقات الأدب " (١) أول ما طبع من شعره ، ويتوزع بين القصائد الوطنية، والشعر الوجداني ، والإخوانيات ، والرثاء ، والوصف ، دون ترتيب ، ومعظم قصائد الديوان تنشر لأول مرة . وفي عام ١٩٧٥م أصدر ديوانه الثاني " إلى أيكة الملتقى "(٢) ويحمل عنوان إحدى القصائد فيه ، ولعله امتداد للديوان الأول، إلا أنه جاء أدق ترتيبا ، حيث رتبه على الموضوعات بدأها بالوطنيات ، ثم الغزل ، فالعتاب ، فالرسائل الاخوانية ، وفي الفترة الأخيرة ، أنهى الشاعر ترتيب ديوانه الأخير وتبويبه ، ويقع في ثلاثة مجلدات من القطع الكبير . ويلاحظ أن الشاعر قد كرر في هذا الديوان كثيرا من القصائد ، التي نشرها في الديوانين السابقين . وقد رتبه ترتيبا موضوعيا حسب الأغراض الشعرية ، وإن لم يخل من تداخل في تلك الأغراض .

وقد بدأ ديوانه هذا بالشعر الوطني ثم القومي ، فالإخوانيات القومية ، ثم الغزل . أما القسم الثاني فخصصه لإخوانياته ، مراسلاته الأخوية . أما القسم الثالث فأطلق عليه " الاجتماعيات " ويضم قصائده الاجتماعية ، ونصائحه التربوية، وبعض آرائه السياسية ، ووصفا لبعض المدن العمانية ، واجتماعياته الأسرية ، وقصائده القصصية الإجتماعية ، ويختمه بقصائد الرثاء ، تلك هي باختصار أعماله الشعرية .

٢- الأعمال الأخـــرى :

قد ينشغل الشاعر - أي شاعر - بموضوعات الشعر ، بما لايتيح له الفرصة ، لممارسة الجوانب الأخرى من الحياة العلمية والأدبية ، ولكنه قد يسهم بتلك الجوانـــب من خلال تجربتـــه الإبداعيـــة ذاتها ، أي قد يكون الشعر وسيلة

---

١. صدر عن دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
٢. صدر عن دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصدية، للتعبير عن جانب علمي ، يعتقد الشاعر أن إيصاله بطريقة الشعر هو أكثر جدوى ، واقصر سبيلا ٠

ومعروف أن الشعر التعليمي ، فن قديم ، سعى إليه الشعراء ، بفعل إحساسهم ، بأنه يشكل وسيلة مشوقة ، يسهل الحفظ فاستعانوا به ٠

وكان ذلك الشعر - بحكم الموضوع الذي يتبناه - يخلو من العاطفة ، ومن اللمسات الفنية اللافتة ، غير أننا نلاحظ شاعرنا يمارس الشعر التعليمي على طريقة أسلافه ، في الإطار العام لتلك الطريقة ، لكنه يخرج عنها محكوما بخبرته في مهنة التعليم ، التي مارسها طويلا ، والتي أغنت تجربته الحياتية والشعرية ، موظفا الشعر لابراز جوانب علمه وبسط ثقافته ٠ فهو حين يعالج موضوعا نحويا في كتابه المسمى " إبهاج الصدور شرح ألفية أبي سرور " يستقي شواهده وأمثلته من واقعه وبيئته ، فلا يعود لتكرار الشواهد القديمة ، التي اعتدنا عليها في كتب النحو إلا نادرا ٠ ذلك أنه يعتقد - بحكم خبرته - أن الشواهد الحديثة، تعين أكثر من غيرها ، على استيعاب المادة المطروحة للدرس ، وتجذب الدارسين إليها ٠

وكتاب الشاعر " الفقه في إطار الأدب " كتاب فقهي في معناه ، أدبي في مبناه ، يقع في أجزاء أربعة ، موزعة على مجلدين ، وهو وإن انتظم الموضوعات الفقهية الا أن طبيعة طرق الموضوع ، تسهم في تدخل الحالة الشعورية أو العاطفية ، فموضوع (النكاح) هو غير الكلام على " المفعوله به " إذ أن الأول يحتمل بث الأحاسيس والعواطف ، مما يجعل القصيدة فيه ، تحمل الجانب الغنائي ، والتعليمي في آن معا ٠

وللشاعر ميزة أخرى وهو يمارس هذا النوع من الشعر ، ففي الوقت الذي كان فيه بحر الرجز ، عنوان الدلالة على الشعر التعليمي ، كتب صاحبنا شعره هذا على بحور عديدة منها الكامل والبسيط والطويل والوافر والخفيف وغيرها ٠ وهو بذلك أثبت مقدرته على تطويع الشعر للمادة العلمية ، بغير مطية الشعراء المعروفة " الرجز" ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا ريب أن مؤلفات الشاعر وأعماله ، تبرز لنا ثقافته التراثية التي تواصل معها ، لا سيما ثقافته الدينية واللغوية ، التي شكلت عمود تواصله بهذا التراث ، بفعل ما أنتجه من أعمال إبداعية ، كان التداخل في التأثير بين المعارف الدينية واللغوية واضحا فيها ، ولنا أن نجمل أهم أعمال الشاعر الأخرى كما يلي :

١. الفقه في إطار الأدب - ٤ أجزاء - وقامت وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان بنشره (١) .
٢. بغية الطلاب في الأركان الخمسة نظما - مطبوع (٢) .
٣. قصيدة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بعنوان " محمد صلى الله عليه وسلم داعيا الى الله ومهاجرا وغازيا ومودعا - مخطوط .
٤. إبهاج الصدور - شرح ألفية أبي سرور ، قصيدة في النحو قام الشاعر بشرحها - مخطوط .

ومن الطريف ، أن الشاعر يحيل - وهو ينظم شعره التعليمي - إلى مصادر ومراجع تخص الموضوع الذي ينظم فيه ، وتلك حسنة تسجل له في هذا المجال وتنبىء عن ثقافة متنوعة امتاز بها .

---

١. المطبعة الشرقية ومكتبتها - سلطنة عمان - مسقط ، ط١ ، ١٩٩٠م .
٢. مكتبة الضامري للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩١م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

أغراضـه الشعريـة ، دراسة موضوعيـة

- ☐ الغـــزل
- ☐ الشعر القومي الإسلامـي
- ☐ الشعـــر الوطنـــــــي
- ☐ الرثـــــــــــاء
- ☐ الإخوانيـــــــــات
- ☐ أغراض أخـــــــرى
  - * الفخـــــــر
  - * الشكـــــوى
  - * الزهـــــد
  - * الحكمـــــة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا" : الغـــــزل

- ١ -

الغزل من أقدم الموضوعات وأشهرها وأكثرها تناولا في الشعر العربي قديمه وحديثه . ومن نافلة القول التأكيد على أن شعراء الإحياء في العصر الحديث طرقوا هذا الجانب من الشعر ، ولكنهم ساروا فيه على سنن من التقليد حين جعلوا الغزل مدخلا للقصيدة في شتى أغراضها .

ولما انتشر الشعر الرومانسي في العالم العربي ، وبدا شعراء الإحياء متأثرين بهذا المنهج ، جعلوا للغزل بابا خصوه به ، دون أن يكون مدخلا لغرض آخر . وشاعرنا أبو سرور واحد من الشعراء المعاصرين الذين نستطيع أن نعدهم امتدادا" طبيعيا لتراث شعر الغزل العربي ، من حيث أسلوب التعامل مع الموضوع وأدواته الفنية ، ومن حيث المؤثرات الاجتماعية القائمة على التقاليد العربية والإسلامية ، الذي يعد من أهم المؤثرات في أسلوب الشاعر الغزلي .

ولنا أن نتساءل بادىء ذي بدء ، هل نعد أبا سرور في زمرة الفقهاء الذين حملوا لواء العلوم الشرعية ، أم أنه أديب يتغزل ويصف الجمال ويصرح بالحب ويصور الأحاسيس ويصب ذلك في قالب شعري ؟

وأين نضع أبا سرور ، ذا العمامة البيضاء والخنجر وصاحب الهيئة الوقور ؟ لا شك أن مثل هذا التساؤل يبدو طبيعيا وضروريا حين نتعرض إلى غزل الشاعر ، فمن خلاله نستطيع أن نحدد موقع الشاعر وموقفه بين هذا الحشد من التصورات .

وقصائد أبي سرور الغزلية تمثل مرحلة من مراحل النضج في حياته ، بحيث تبدي لنا فعلا استرجاعيا لتجارب هذه الحياة ، بما فيها من مسرات وأحزان، ونجاح وإخفاق ، كما تشكل معلما واضحا من معالم شخصيته وعلاقاته الحميمة وانتماءاته ، وإن بدت لنا من خلال لحظات آنية ، وذكريات وقتية ، بابتساماتها ودموعها ، ومن هنا شكل الشعر لديه المتنفس الذي يعبر من خلاله عن أحاسيسه ، فيميل إليه ميلا فطريا ، يجد فيه نفسه ، فالقصيدة " تنفيس عن أزمة نفسية يحسها الفنان ، وهو يحاول التكيف مع المجتمع "(١) إن الشاعر لا يعيش

---

١. د. ماهر حسن فهمي - نزار قباني وعمر بن أبي ربيعة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ديسمبر ١٩٧١ ، ص ٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منعزلا عن المجتمع ، فهو يؤثر ويتأثر ويحاكي من خلال عمق تجربته الشعورية وارتباطها مع المجتمع . وما دام الشعر صياغة فنية لتجربة شعورية ، فالشاعر إنما ينفس عن خلجاته بفيض من أسي دفين يعاني آثاره فيظهر في فنه .

إن نشأة أبي سرور في إحدى أجمل مناطق عمان جعلته مأخوذا" بطبيعتها الساحرة ، وأسلمته إلى المرأة بمفاتنها وجمالها ، فاجتمع جمال المرأة إلى جمال الطبيعة متكاملين يذكيان قريحته الشعرية فتفيض غزلا .

ونستطيع القول أن أبا سرور من الشعراء العمانيين القلائل ، الذين جعلوا الشعر صناعة وفنا ينظمه ويلجأ إليه ، لم تشغله عنه ملابسات الحياة ومشاكلها ، بل كانت الدافع للاستمرار فيه . ذلك أننا وجدنا كثيرا من الشعراء العمانيين – حتى المعاصرين لأبي سرور – ينظم الواحد منهم قصيدة أو اثنتين لإثبات مهارته في قرض الشعر ، ثم ينصرف عنه بحكم مشاغل الحياة وظروفها. وإن زاد على ذلك فإنه لا يتعدى نظم المتون والشعر التعليمي والمسائل الفقهية ، فإذا تجاوزنا ذلك وبحثنا عن شعر الوجدان والعاطفة وجدناه قليلا جدا إن لم يكن نادرا ، لا يتعدى أبياتا في الغزل والرثاء والمديح . بينما لم تحجب شاعرنا اهتماماته الوطنية وهمومه القومية ودعوته الاجتماعية إلى النهضة واليقظة والأخذ بأسباب التقدم العلمي من أن يتجه إلى ذاته ، معبرا" عن عواطفه ، متحدثا عن مشاكله ، وهمومه الاجتماعية والأسرية . ومن هنا فقد أخذ أبو سرور بوعيه الشخصي ، وحسه الذاتي يربط بين همومه الفردية والقومية والوطنية .

وهذا يؤكد لنا أن أبا سرور استطاع أن يشمل بحبه المرأة كما أحب الوطن ، أحب المرأة بجمالها وعفتها مثلما أحب وطنه وانصرف إليه ، يعدد مآثره ويتغنى بأمجاده ، بل نراه في كثير من الأوقات يمزج هذين الحبين فيتقاسمان قصيدته ، وهذان الحبان – إن جاز التعبير – يتمثلان في كثير من قصائده ، وأشهرها قصيدته " روضة الألباب "(١) التي امتزج فيها حبه العاطفي بحبه الوطني، وأرسل طيفه وتعلل به حينما كان بدمشق عام ١٩٦٤(٢) .

---

١. (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الادب ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٥م، دون ط – ص ١٩ .

٢. المصدر السابق ، ص ١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يتصف بجرأة وصراحة في التعبير ، ومن ثم فهو لا ينكر حبه للمرأة والجمال ، في إدراك حقيقي للمرأة التي تمثل الحياة بسعادتها وشقائها ، فالمرأة رمز الحياة ، ومن ثم لولاها لما كان الوجود ، بل لما كان وجوده هو "ولولا غرامك لم أخلق "(١) .

إن الشاعر ينطلق في وصفه للمرأة والتغزل بجمالها من " نموذج مثالي " رسمه لها مسبقا في ذهنه ، فللمرأة ـ أية أمرأة – صورة في ذهنه يبحث عنها ، ولذلك فإن قصيدة الغزل في لحظة الولادة ، وإن كانت ترتبط بامرأة مجسمة مسماة لكنها في الحقيقة تمثل الصفات المرسومة في الذهن سلفا ، إذ منح الشاعر تلك الصفات ، هذه المرأة التي وقعت عليها عيناه في هذه اللحظة ، وإن كانت أحيانا لا تتوافر فيها حقيقة .

وهو في حديثه عن المرأة يوزع الحديث بين صفات العفاف والحياء والنقاء ، وبين حديثه عنها بوصفها رمزا جماليا ، يتطلع إلى لقياه والتمتع بجماله ونقائه ، ويتلهف إلى ملاقاته في شوق عارم يذوب فيه الشاعر ويتماهى ، حتى أنه يتمنى اللقاء بأي شكل كان ، وفي أي وقت تختاره الحبيبة ، ليجعل حبه خالدا حتى بعد أن يصبح في عالم الأموات (٢) .

هذه النغمة ، نغمة الحب ، نغمة اللقاء ، نغمة التماهي والانصهار في بوتقة المحبوب ، المتنقلة في أحضان الجمال ، التي لا تثبت إلا لتنتقل ، إنما تتم عن تجربة تحمل في طياتها صورة لتلك العلاقة القائمة بين الشاعر من جهة ، وبين عموم النساء اللاتي ارتبط بهن في تجربته الخاصة وفشله في أن يجد عالم المثال بينهن من جهة أخرى .ذلك العالم الذي ما زال يحلم به وهو على مشارف السبعين . ومع ذلك فإن أبا سرور ينظر إلى المرأة نظرة الشاعر الذي يحمل في مخيلته صورة فنية تجمع بين الذات والروح .

---

١. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي – ديوان باقات الأدب – دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٥م – دون ط – ص ٥٥ .

٢. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، انظر الديوان المخطوط – الغزليات من الجزء الأول ص ١٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو لنا أبو سرور ، وهو ينشد شعره العاطفي وكانه قد نسي همومه ، ونسي معها مجتمعه ومآسيه ، إذ ينصرف إلى نفسه ، ويطلق العنان لوجدانه ، في ألفاظ تعكس رقته وأحاسيسه ، ولكن الظاهر أن الشاعر وقتها يحاول - بشكل أو بآخر - أن يتناسى هذه الهموم ليلجأ الى الشعر كمتنفس له بعد أن أرهقته مشاكل الحياة بوطأتها .

الباحث أمام شاعر ملتزم قاض وفقيه وعارف بأمور الشريعة ، يعلم أن الإسلام لم ينكر الحب ولم يدع إلى الرهبنة ، وإنما أباحه في حدود الحلال وضمن لباس التقوى والعفة . ومن هذا المنطلق فإن قيام الشاعر في حد ذاته بنظم شعر الغزل وهو الفقيه القاضي المتدين ، يدل على موقف إيجابي للشاعر في نظرته إلى المرأة والحب والغزل على وجه الخصوص ، ويفضي بنا إلى القول أن الشاعر رأى في الغزل غرضا لا يجد حرجا من الخوض فيه .

وإذا كنا رأينا الشعراء السابقين في معظم حالاتهم يبدون رأيهم في الغزل والحب في مقطوعات محدودة ، وضمن مقدمة لقصيدة يستهلون بها موضوعات أخرى ، فإن القارىء لشعر أبي سرور يلحظ استقلالية هذا الغرض لديه ، إذ حظي بكم وافر من شعره ، وبنصيب كبير من اهتماماته الوجدانية ، ونجد لديه قصائد استقلت في موضوعها وتوقف سياقها على معالجة المشاعر الوجدانية ، تدفقت بها عاطفته في موقف من مواقف المعاناة الذاتية ، التي تدل القارىء على تجربة حقيقية خاضها الشاعر غمارها ، وعانى تداعياتها فأودعها قصائده الشعرية .

إن التكوين الثقافي للشاعر الذي يتمحور حول الدين ، وعمله في سلك القضاء ، وضلوعه بالقضايا الشرعية ، وما ينبغي أن يكون عليه - من في موقعه هذا - من وقار وهيبة ، جعلت الكثيرين يوجهون له النقد لاتجاهه نحو الغزل ، إذ أن ذلك في نظرهم من الممنوعات على مثل هذه الفئة . غير أن الشاعر كان يضيق بهؤلاء ذرعا ، ويرد عليهم بالتمسك بالغزل ، والإمعان في إماطة اللثام عن مشاعره وعواطفه بما يشبه أن يكون تحديا لهؤلاء من جهة ، وتأكيدا" منه على أن الغزل لا يسقط الهيبة ولا يتنافى مع الدين . ومن هنا تشكل عنده الموقف الإيجابي من الغزل باعتباره طبيعة إنسانية ، وغزل الشاعر يشي بموقف واضح له من الحب ، فهو ممن لا يرى للحياة معنى بدون الحب :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هل حياة بدون حب حيـــاة لا وربي بل المضاضـــة حزنا (١)*

بل أصبح مفتيا في مجال الحب كما نرى في إحدى إجاباته على سؤال وجه إليـه ، ويرد فيه على من يلوم عليه :

أيلومه إلاغبي جاهـــــــل لم يدر ما شأن الهوى وعواذل
حسدو الهوى فيما به يتعامل حب حقيق زانـــــــه وشمائل
ما لامـــه واللـــه إلا أحمـــــق (٢)

وفي الحب لذة الحياة وسعادة العشاق بعد أن بذلوا أنفسهم في اجتناء لذته

من ذل في الحب ما فاتته لذته ما أعذب الحب في ذل لمن شرفا
ما أسعد العشاق إن ماتوا على من عشقوا مخلدين الشرفـــــا (٣)

وللحب إيجابياته في الحياة التي لا يكون لها معنى بدونه :

كيف تهنا الحياة إلا لخال ما درى الحب والهوى والفرندا (٤)**

وليس كل من يدعـي الحب صادقا في قوله :

ما كل من يدعي في الحب مرتبة صب ولا كل حلو في الهوى عسل (٥)

وهو غدير يشرب فيه كل بقدح :

قم عننا فغدير الحب موردنا كل له قدح ما زال يسقينا (٦)

---

١. أبو سرور ، حميد بن عبدالله الجامعي ، باقات الأدب ص ١٣٤ .
٢. المصدر السابق ص ٦٤ .
٣. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط، الاخوانيات من الجزء الأول ص ١١٦ .
٤. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط الاجتماعيات، ص٩٧ .
٥. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي، إلى أيكة الملتقى ، دارالاتحاد العربي للطباعة ، مصر ، ١٩٧٨ ، ص ٦١ .
٦. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، باقات الأدب ص ١٤٢ .
* المضاضة مـــن المض وهو الحرقة ووجع المصيبة ، انظر لسان ، لابن منظور الافريقي مادة (مضض) المجلد السابع، ص٢٣٣ ، دار صادر بيروت .
** الفرند ، السيف لا نظير لـه ، انظر مجدالدين ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٧ ، ص ٣٩ مادة (فرد) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحديث حوله فاكهـــــة :

إن التساؤل حول الحب فاكهة فما السفرجل والتفاح يغنينا (١)

ومن الأمثلة الشعرية التي أشرت اليها يتمثل لنا موقفه من الحب ، وهو موقف يتسم بالإيجابية واحترام العواطف والمشاعر الإنسانية ، طالما أنها في حدودها الطبيعة التي لا تتعارض مع القيم .

- ٢ -

وقد أبرز الشاعر في شعره الغزلي مجموعة من الصفات المعنويـة التي تصور حبه ، وأثر هذا الحب على نفسيته ، فهو عاشق وفي مخلص لمحبوبته ، متذلل خاضع لها ، إلى درجة الاستكانة ، ملتزم لها بنقاء حبه ، فمن صور اهتمامه يقول :

أأسلوك ؟ لا أسلوك في لحظة عمري فإنك في سري وإنك في جهري(٢)

وإن سلته وتلاهت عنه فإنه لا يقابلها بمثل ذلك :

ما هنا القلب دونها ما سلاها لو تلاهت عن وصله ما تلاهى (٣)

حيث تظهر هذه الأبيات مدى إخلاصه ووفائه وعدم نسيانه لمحبوبته . يتحمل في سبيل حبه المشاق والصعاب ، فيحن إلى محبوبته ويئن ، يقول :

لم لا أحن وأنت روح حياتي هذا الخليج درى مدى أناتـــي

هلا سمعت شهيقه وزفيـــره أمسى يعبر عن أسى حالاتـــي (٤)

ويستعذب هذه المشاق في سبيل حبه ، فالغرام لا يحلو دونها :

ليس يحلو الغرام دون اضطرام ذا هو العشق إن أردت لماها (٥)

ويعاني من جراء أشواقه :

واطول شوقاه في لقياك يا أملي ما أتعس البعد إلا في رضى الباقي (٦)

---

١. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، باقات الأدب ص ١٤٢ .
٢. المصدر السابق ص ١٧٥ .
٣. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ص١٦٠ .
٤. المصدر السابق ، ص ١٥٧ .
٥. المصدر السابق ، ص ١٦١ .
٦. المصدر السابق ، ١٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصل به إحساسه في الحب إلى أنه يضارع في حبه مشاهير العشاق العرب فيتشبه بقيس حيث يقول :

هذا هو الحب أولاني صبابته ماذ تقولون في قيس وليلاه (١)

ومن هنا فإنه حين يصف أشواقه وحبه ، تشيع لديه المبالغات في تصوير آلامه وأماله وحبه . نجد تعابيره تمتلىء بالألفاظ القائمة على التضخيم والتجسيد في شرح حالاته وتشكيل غرامياته ، يقول في إحدى مبالغاته :

خلقت لروحي فيا فرحتي ولولا غرامك لم أخلق (٢)

ويتفنن في تصوير دموعه وهي تجراي سخينة على فراق محبوبته :

إن تسألي النيل عن شوقي إليك لما أراك عني إلا وجه مشتاق

كأنه وهو يجرى في جداوله يجري بدمعي ووجداني وأشواقي(٣)

ويصور أشواقه وانفعالاته ودموعه المنسكبة بغزارة ، حتى أصبحت البحار جزءا من جوارف سيلان دموعه ، وملوحة البحر نتيجة لتفجر مرارته هو :

ما البحر إلا من جوارف أدمعي لولاي لم يك ذا الخضم العاتي

والبحر عذبا كان لولا أن جرات فيه مرارة لوعتي ورفاتي (٤)

ويرتبط الحديث عن الحب في غزل الشاعر بالفروسية ، فالشاعر لا يتغزل بمحاسن نفسه وإنما يمزج بين الشجاعة والإقدام ، وبين الحب والإخلاص للحبيبة على نحو ما كنا نراه في شعر الأقدمين من أمثال عنترة وأبي فراس الحمداني والشريف الرضي وغيرهم ، الذين لم يكن الغزل يلهيهم عن طلب المعالي من الأمور ، ولم يشغلهم عن مقارعة العدو ، بل كان دافعا لهم لإظهار فروسيتهم أمام محبوباتهم لنيل الرضى والاحترام ، فهو كمن حمل السيف في يد والحب في اليد الأخرى غير مفرط بواجب هذا أو ذاك :

---

١. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ص ١٤٣ .
٢. (ابوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، باقات الأدب ، ص ٥٥ .
٣. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ص ١٥١ .
٤. المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبتنا الغانيات وما سبتنـــــا عن العلياء والأمر الرشيد (١)

أو قوله : فللحسان نصيب ليس نبخسه وللمدافع حظ غير محتقر (٢)

وتشيع ألفاظ الحرب في شعره وهو يدعو حبيبته لزيارته والالتقاء به والمخاطرة في سبيل الوصول إليه ، وكأن الأمر معركة بين جيوش الغرام والمتربصين به ، لذا فهو يصور نفسه على رأس جيش الغرام واثقا كل الثقة بالنصر يقول :

إن تجودي بلا جناح حياتـــي فطريق الوصول عندي معلـــم
فرماحي إلى وصولك روحي أوسع الطرق في الغرام وأكـرم
كل شيء أرومه فهو سهـــل دونه الرمح أو صواريخ تضرم
سوف آتي ولا أخاف جيوشا فجيوش الغرام ثق ليس تهـــزم
وسآتي عشية أو ضحاهـــا عندي الرمح والغرام غشمشـــم (٣)

والشاعر رغم شجاعته وفروسيته هذه لكنه يعترف بهزيمته أمام الحسان ، ولا تشم من شعره رائحة المرارة التي تتعلق بالهزيمة ، بل لعل هذه الهزيمة مقبولة عنده :

إنا صرعنا المعتـــدي جهرا أتصرعنا الحســـان
ذاب الحديد ببأسنـــا أتنيبنا بيض البنـــــان (٤)

وإذا كان الشعراء الفرسان تحملوا المشاق في سبيل الوصول إلى غاياتهم ، وسهروا الليالي في سرواتهم إلى محبوباتهم ، فإنه ليس صعبا أن يجد الباحث علاقة بين غزل الشاعر في وصف المحبوبة والمجاهدة في سبيل الوصول إليها وبين غزل أقرانه القدامى من أمثال أمرىء القيس وعمر بن أبي ربيعة ، لا سيما في قصيدة الشاعر " عذوبة الحب " هذه القصيدة التي نتلمس فيها موقف الشاعر وحركته العجيبة حين اشتط به النوى وآلمه الفراق ، ليبلغ حالة نفسية تشتد أزمتها وتبلغ ذروتها أمام رغبته التي تؤجج ضرامها أشواقه الداخلية ، فيتمثل فيها حبه العارم إلى اللقاء وساعته ، فيخرج دون أن يلتفت إلى العواقب التي قد تنجم عن سرواته إليها حين يقول :

وليل سريت ولم التفـــت إلى ما ألاقي ولم أتـــق
أتيت وقد نام عنا الرقيب وقام المشوق الى الشيق (٥)

---

١. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، باقات الأدب ، ص ١٧٠ .
٢. المصدر السابق ص ١٣٧ .
٣. المصدر السابق ص ١٩٠ .
٤. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ص ١٨٦ .
٥. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، باقات الأدب ، ص ٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ٣ -

الحديث عن المحبوبة يجرنا إلى الحديث عما استخدمه الشاعر من أسماء ورموز ودلالات على اسم محبوبته التي امتلكت عليه قلبه ٠ ففي تلك المرحلة كان صعبا عليه أن يصرح باسم المرأة التي يتغزل بها لظروف اجتماعية معروفة٠ لذلك كان يلجأ إلى مخاطبتها بضمير الغائب أو المخاطب تحاشيا لما يثيره ذكر الاسم الصريح من تشهير ، عواقبه غير محمودة على الشاعر وصاحبة الاسم معا كقوله :

أسواك أعلق في الغرام ملاكي وأنا القتيل وقاتلي عيناك (١)

ثم بعد الفترة الأولى نجد له قصائد ، يصرح فيها باسم محبوبته ، أو يرمز إليها باسم مستعار في أغلب الأحيان ، وقد جاءت في قصائده الغزلية أسماء مستمدة من التراث من مثل : لمياء ، ليلي ، أروى ، وبعضها أسماء حديثة مثل لواحظ ، حنان ، عفاف ، نوال ، نجوى وهي غير متداولة في البيئة العمانية ، وإن طرقت المسامع بعد ذلك ، فإنما هي أسماء دخلت عمان بعد السبعينات ، إذ أطلقت على فتيات من بنات الجيل الحاضر ، بعد انفتاح البلاد في العصر الحديث ٠ هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن الشاعر كانت له خبرة خارج البيئة العمانية ولا سيما الشام ومصر ٠ فيمكن للباحث تبرير ذكر مثل هذه الأسماء لديه ، بأن تكون أسماء فتيات حقيقيات غير عمانيات ، تعرف عليهن الشاعر في هذه البلدان ، أو سمع عنهن ، فاستبدل الأسماء التراثية في غزله بأسماء ترددت أصداؤها خارج القطر العماني ، ظنا منه أن ذلك يشكل محاولة تجديدية بهذا الصدد ٠

أما الإشارة إلى مكان الحبيبة ، فإن الشاعر يصرح في كثير من قصائده بموطنها الذي تعيش فيه ، إذ لم ير حرجا في ذكره لهذه الأماكن ، والملاحظ أن الشاعر لم يردد الأماكن التقليدية التي دأب الشعراء على ترديدها في أشعارهم مثل " العقيق ،حاجر ، نجد ، المنحنى ، ونعمان " التي كان يستخدمها الشعراء السابقون، وينسبون حبيباتهم إليها ، بغية التغطية على الموطن الحقيقي لهن ٠ والأماكن التي ذكرها الشاعر تتراوح بين وجودها في القطر العماني وبين وجودها خارجه ٠

---

١٠ (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات ،الجزء الأول ، ص ١٣٨ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمن الأماكن العمانية التي أشار اليها الشاعر ، وهي قسمان أيضا ، أسماء محلات أو بلدان بذاتها ، فمن ذكر المحلات قوله :

فيا أزاهير بالبستان ناعسة منك الأمان لأحباب أناديها
إني أوجه طيفا من هواي لها يدري لبانات أشواقي فيوحيها *
يا طيف عفوا على اسم الله سحرا لنحو طيبة** واستأذن فواغيها (١)

ومن ذكر البلدان قوله :

جسمي بجلق والصبابة والهوى بربا سمائل رغم ما أنا لاق (٢)

ومن المدن العربية " مرج عفيف " وهي في دمشق :

وتائهة تمشي بمرج عفيف أظلت جمالا فيه كل عفيف (٣)

وقد يتساءل عنها في أي مكان تحل :

يا بر يا بحر يا دنيا ويا أفقي أفيكم من به الأحباب قد تاهوا
أصور شحت به فالشح شيمتها بمن علت قدرا فيها مزاياه (٤)

ولكن هل يتغزل الشاعر في زوجته ؟ فتصبح الزوجة الحبيبة بعد أن أظلهما سقف واحد ؟ إذا تمكنت المرأة الزوجة من كسب ود زوجها وتقربت من قلبه ، واستطاعت إثارة مشاعره ، والولوج إلى كيانه ، فإنه لا غرابة بعد ذلك أن تسري فيه نغمة الشوق ، بعد أن يغيب عنها ردحا من الزمن . وهكذا كانت حالة أبي سرور . نظم الشاعر قصيدة غزلية عتابية يرد بها على رسالة سماها سمائلية " من بيته فهي من زوجته ، مطلعها " عتابك أحلى من الفستق "(٥) كما تغزل في " لواحظ " زوجته المصرية التي أجبر على طلاقها في مصر حين حال القانون بينهما ، بعد أن منته نفسه بأن تكون المرأة المثال التي يبحث عنها -

---

١. (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، باقات الأدب ، ص ٢٢ .
٢. المصدر السابق ، ص ٦٠ .
٣. المصدر السابق ، ص ٨٣ .
٤. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ، ص ١٥٥ .
٥. أنظر(أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، باقات الأدب ، ص ٥٥ .

* لبانات :اللبانة الحاجة من غير فاقة ، ولكن من همة ،انظر ، لسان العرب مجلد ١٣ ، ص ٣٣٧ ، مادة (لبن) .

** طيبة : اسم محلة من محلات سمائل ، مدينة الشاعر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فسكب في عنائه أحلى قصائد حبه ، الصادر عن المعاناة ، ويظهر ذلك في قصيدته التي مثل فيها محبوبته بالأسير ، وأي أسير ؟ إنه بلال بن رباح الذي بات يرجو أبابكر الصديق ليكون المخلص له من رقه ، وأكثر الشاعر فيها من تصوير حاله، وأفاض من عبراته ، فسكب الدموع في أبيات تفيض لوعة وندما وحسرة ، يندب فيها حظه ويستعطف فيها محبوبته وينعى فيها زمانه . ولا يملك القارىء لهذه القصيدة إلا أن يشارك الشاعر آلامه وأحاسيسه ، فالقصيدة تتسم بالسهولة والمباشرة والألفاظ الموحية والموسيقى الحزينة والنداء المتقطع الدال على صدوره من نفس موجعة . شبه الشاعر نفسه بقيس وهي ليلى غرامه ، وهو يعقوب في معاناته ، وهي يوسف في إمكانية رد الروح إليه :

أصبحت عندكم يعقوب يوسفكم هل ريح يوسفكم تأتي أحباه (١)

كما كان الشاعر أكثر صراحة حين صرح بمحبوبته " زوجته " في قصيدة قالها وهو يهم بمغادرة مصر ، عائدا إلى عمان تاركا وراءه زوجته المصرية وتخيل نفسه في المطار ، وهو يودعها فقال فيها قصيدة من أشهر قصائده الغزلية ، حشد فيها من الصور الشعرية والمبالغات الكثير ، وهي على سهولة ألفاظها ، ورقة عباراتها ، تحمل بعدا فنيا ، نجح الشاعر في رأيي في إيصال أفكاره وصياغة مشاعره والتعبير عنها بصدق يقول :

أما بكيتم بكائي حين حلق بـــــي فوق السما طائر لم يرع آماقي
أسلت دمعي وهل وادي العقيق جرى إلا بدمعي سلوه إنه باقي بدمعي(٢)

- ٤ -

ولا نعدم أن نجد للشاعر قصائد في التصوير المادي والوصف الجمالي للمرأة ، وإن كان معظمه يتصل بالغزل العذري الذي يتجه إلى وصف الجمال المعنوي ، والذي تشيع فيه حرارة العاطفة ، ويظهر فيه أشواقه ، ويصور خلجات نفسه ، إثر فرح بلقاء أو حزن لفراق ووداع . وفي مثل هذه القصائد لا يحفل بذكر محبوبته ، مفصلا جمالها الجسدي ، وإنما أكثر ما يعنى بما أوتيت هذه

---

١. (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ، ص ١٤٥ .

٢. المصدر السابق ، ص ١٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحبوبة من القدرة على الجاذبية ، وبما تتمتع به من سحر نظراتها ، وحسن حديثها ، وطيب رائحتها ، وهو في هذا اللون من الغزل ، يرق القول ويلين الخطاب ، ويستعذب الحب .

وعلى الرغم من أن الشاعر لم يسرف في الوصف المادي ولم يهتم بجمال المرأة الجسدي كثيرا ، إلا أننا لا نعدم إشارات وصفية مادية غير فاحشة ، ولا نجد في هذا التصوير خروجا عن المألوف ، بقدر ما كان ينظر إليها من مفهوم إنساني وحضاري متصل بالتراث .

وبدلا من أن يكون جسد المرأة وجزئياته نقاط الانجذاب لدى الشاعر ، كانت العفة والثقافة والأصل العريق هي الدواعي الرئيسة لا نجذابه إلى المرأة كما في قوله :

إني وربك بعت نفسي في الهوى عربية محمودة الأوصاف
إني فتنت بحبها وجمالها وبأصلها وثقافة وعفاف (١)

لنر الشاعر قد خرج نوعا ما عن الصورة العامة التي رسمها الكلاسيكيون التقليديون الذين يستمدون وصفهم للحبيبة من التراث حيث ثقافتها وعفافها من دواعي إغرائها له .ووصفه للمرأة من جهة جمالها العام يتركز في أنها جمعت صفات الحسن العامة ، فمحاسنها وجمالها لا يتساوى مع محاسن غيرها ، يقول :

محاسن غيرك لم تسبني وغير جمالك لم أعلق (٢)
ويقول / فأنا المتيم بالجمال وأنت يا ذات الجمال رئيسة الأفلاك (٣)

وقد وصلت به المثالية في وصف جمال الحبيبة إلى تنزيه جمالها عن أن يشابه ، فالفرق بين حبيبته وغيرها ، كالصلة بين الحقيقي والمزيف يقول :

---

١. (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الى إيكة الملتقى ص ٥٦ .
٢. (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، باقات الأدب ص ٥٥ .
٣. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ص ١٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شتان ما بين محبوبي وزيفكم أين الثرى في غرامي من ثرياه (١)

بل وصل به الأمر في وصف جمال محبوبته ، بأن جعلها ملكة ملكات الحسن والجمال ، ويتعجب من هذا الجمال الذي صار فتنة للناس لا يستطيع الوصف إدراكه:

فما ملكات الحسن إلا وصائف لديك ومن ذايعتني بالوصائـــف

فسبحان من سواك للناس فتنة جمال تعالى عن تصانيف واصف (٢)

ولئن درج عدد من الشعراء التقليديين في وصفهم للجمال الجسدي للمرأة على الإيغال في هذا التصوير ، وإيراد جزئيات من جسدها ، حتى صار ذلك الوصف نمطا يحتذى من أغلب الشعراء ، فإن أبا سرور في معظم قصائده الغزلية، لم يكن يتبع الصور التقليدية المشار إليها ، وإن كنا نرى له أحيانا بعض صورهم إلا أنها تنحصر في تشبيه طلعة الحبيبة بالبدر والشمس التي كانت سمة مسجلة للشعراء التقلديين ، كقوله :

أبدر جديد منه قد أخجل خجل البدر أتاني يحييني به الليل والفجر

أم الشمس من أبراجها وسمائهـــا تقدم لي شيئا عظيما له قدر (٣)

أما وصف مفاتن المرأة الدالة على محاسنها وجمالها ، فإن الشاعرلم يكن يرسمها رسما واقعيا ، بقدر ما كان ذكرها دالا على أثرها عليه ، فالعينان ذكرهما الشاعر في ضوء أثرهما على نفسه مهملا ما كان يخلع عليها من السمات والتشبيهات التقليدية ، إذ شغله أثر اللحاظ عليه ، والإيحاءات التي توقعها عيون الحبيبة ، وما فيها من سحر جذاب ، فعيون الحبيبة تسيبه بنظراتها حتى تترك أعصابه منهارة ، يقول :

تسبي بنظرتها العقول بلا رقـــى فإذا بأعصاب الفتى تتهـــار (٤)

---

٠١ (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ص ١٤٤ .

٠٢ (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط الاخوانيات من الجزء الثاني ص ٥٨ .

٠٣ المصدر السابق ، الغزليات من الجزء الأول ص ٢٠٧ .

٠٤ (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، باقات الأدب ص ١٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونظرتها إليه ترد عليه نفسه بعد أن كادت تهلك :

ماذا يضرك لو سمحت بنظرة معسولة منها يرد هلاكـــي (١)

ويصور نظرة العين بأن لها فعل السهم القاتل يقول :

فسهام جفنك أرسلت لصبابتي عشقا وأورى مهجتي خداك (٢)

وهو هنا يشير أيضا الى ما تفعله الخدود المشربة بالحمرة التي أورت مهجته ، كما يشبه الخد أحيانا بالورد تشبيها تقليديا ، من ذلك ما ذكره مازجا بين وصف التقبيل والعناق يقول :

على شفتيك حقي أن أذوبا وكيف وفيك عانقت الحبيبا

وقبلت الهوى وردا طريـا على خديك ذاوله طروبـــا (٣)

ويتساءل عن حال الأحبة بعد لثمها :

كيف الأحبة بعد لثمي وردة حمراء في غصن الجمال الناقي (٤)

ويدعوها الشاعر أن تذوب على شفته ، ويصرح بالعناق والضم فيقول :

على شفتي ذوبي نعيما وسكني بضلعي آهات تذيب وقوفـــي

أضمك ضمات تبرد لوعتـــي وتحميك من برد الشتا بمصيف (٥)

ويشبه اللثم من ثغرها بالخمر المسكر فيقول :

فللورد آمال يقبل مبسمـــا وللغصن آمال يضم من الخصر

وللثغر أشواق يوافى بلثمة فيدفع شهد الحب فـي لذة السكر (٦)

وهو يرى أن القبلة تهدىء من روع العشـاق ، وتبرد لوعتهم ، ويدعوها إلـى أن تمكنه ، في تصوير مادي بحت يقول :

تعالي تعالي ولا ترهبي وقري عيونا فكلـــي عيون

---

١. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الاول ص ١٣٩ .
٢. المصدر السابق ، ص ١٣٨ .
٣. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الأدب ، ص٣٠ .
٤. المصدر السابق ، ص ٥٩ .
٥. المصدر السابق ، ص ٨٤ .
٦. المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما تأذني لي في قبلـــــة تبرد لوعة من يعشقـــــون
تعالي أضمك ضم اشتياق فيلمس ضلعك ضلعي الحنون(١)

وأحيانا هي التي تدعوه الى ذلك وتبين محاسنها ولوعة اشتياقها إليه بما يذكرنا بالغزل العمري حين يكون الرجل مطلوبا" لا طالبا" يقول :

أنا قبلة بالله لم أخلق ســـــــوى لجلال حبك يا حبيبي الصافـــــــي
من ذا يضاحك بسمتي من ذا يقبـــل وجنتي من ذا يلبب خصري المهياف مدور(٢)

وهو يرى أن شرعة الحب تحل للمحبوب أن يشرب من كوثر الحب :

أنهليه من كوثر الحب كأســـا شرعة الحب والهوى حللتـــــــه (٣)

بل أن قبلاته تزيده عطشا نحوها ، فكلما أخذ منها قبلة تشوق إلى أخرى :

وكلما ازددت منها قبلة أخذت مني لأخرى بأقصى الشوق تشجيني (٤)

وهكذا مضى الشاعر في أوصافه وتصويراته يعدد جمال المحبوبة وعوامل تأثيراتها عليه من الخد الوردي والثغر الذي يحمل " شهد الحب " والعيون الفتاكة.

ولا نعدم في هذه الأمثلة ما يدل على إيغال الشاعر – أحيانا – في المعاني المادية ، والخروج عن مثالية الحب الى شواطىء الرغبة الجسدية ، لا سيما في ذكره " الضم والتقبيل والعناق " فكل ذلك من الأمور المادية التي تعبر عن اعتمال الرغبة الجسدية في نفس الشاعر . بل إن الشاعر عمد إلى الإيغال أكثر من خلال وصفه للنهد والصدر . فنجده يصف هذا العضو وصفا فيه من الحركة والحيوية ، بحيث أصبح يفتك بالقلوب ويوحي بالحتوف يقول :

وبرعمك الجبار أصبح فاتكا بحبات قلبي موميا لحتوفـــي (٥)

وأطلق عليه براعم الرمان وهو تشبيه تقليدي كقوله :

وإن قيل للرمان قامت براعم تتدد بالمحبوب أعطيتها عمري (٦)

---

١. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان الى إيكة الملتقى ص ٥٤ .
٢. المصدر السابق ، ص ٥٨ .
٣. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ص ١٦٩ .
٤. المصدر السابق ، ص ١٨٣ .
٥. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الأدب ، ص ٨٣ .
٦. المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولذلك فإن الغانيات كان لهن من التأثير بحيث صرعن كبار القوم فسجدوا لهن ، وأين ؟

صرعن الغانيات كرام قـــوم وقد سجدوا لها بين النهود (١)

ويقول كنايـــــة :

واطرحيه على ضفاف التهاني هضبة الواديين قد أسرتـــه

إن قضاها هناك فهو شهيـــدا سعد رمانة هنا قتلتـــــــه (٢)

وذكره لهذا كان ذكرا عابرا وهو يتحدث عن الحب والجمال الذي يحلق به في تصوير المحبوبة وتشوقه إليها .

ومن احتذائه للقدماء وصفه للخصر وتشبيهه له بالغصن والقضيب كقوله :

وكم قبلت منك يد الأماني مشوقا أهصر الغصن الرطيبا (٣)

من خلال هذا العرض يتبين لنا أن التصوير المادي الذي حفل به شعر أبي سرور الغزلي لم يكن كبيرا بالقياس مع التصوير المعنوي ، وذلك ينبيء عن تأثر الشاعر بالمعاني الدينية ، حين لم يحفل بالصور المادية كثيرا ، وإن تحدث عن جسد المحبوبة من العين والقد والخصر والنهد والتي حفل بتأثيرها أكثر من تصويرها ، حين كان يمر عليها مرورا خاطفا بحيث لا يستقر في الصورة إلا لينتقل عنها ، بينما نجده على العكس من ذلك يقف وقفة متأنية عند الحديث عن معاني الحب السامية ، متعمقا في البحث الروحي عن صلة المحب بالمحبوب ، وتدلله أمامه وسجوده بين يديه .

إنه لا ينظر إلى المرأة باعتبارها جسدا" يشتهى ، بل ينظر إليها نظرة سامية يمتزج فيها الحب بإجلال يصل إلى حد العبادة في نظرة روحية عميقة ، تجعل الباحث يقف عند هذه المعاني التي لا تبعد عن الرموز الصوفية التي تعبر عن شدة وجدهم وولههم بالمحبوب لا سيما ما كان متصلا بالغزل العذري العفيف الذي " كان إرهاصا ومدخلا لرمز المرأة في الشعر الصوفي "(٤) .

---

١. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٧٠ .
٢. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ص ١٦٩ .
٣. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الأدب ص ٣٠ .
٤. د. عاطف جودة نصر - الرمز الشعري عند الصوفية ، دار الاندلس ، بيروت ، ط١ /١٩٧٨م ، ص ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ٥ -

أما احتفاء الشاعر بالجمال النفسي والذي لا يقل أثره عن الجمال الجسدي فقد أكد على ابتسامتها ونظراتها التي تحمل في طياتها تجاوبها معه ، فبسمتها تنسيه آلامه يقول :

أليس لي بسمة أنسى بها ألمي من ثغرك الحلو في غنج الكواعيب (١)

وفي ابتسامتها عنوان اغراء لمحبوبها :

إذا بها ابتسمت في الحال قائلة أغرى دلالي لعتبي قلب محبوبي

إني أنا البسمة الحسناء من شفتي خمر الصبابة لا خمر من الحوب (٢)

وبسمتها تنسيه همومه ، وطيب رائحتها تفوح بشذا العبير :

أنا بسمة إن جئتني أنسيك ما عانيت من هم بأنس شاف

أنافلة أري المراشف خمرها وشذا العبير يفوح من أفواهي (٣)

أما حديثها والذي هو أحد ينابيع جاذبيتها فقال عنه :

كم وقفة معها وقفت تدير لي كأس الحديث هوى ولا كسلاف (٤)

ولا بد للمجتمع في أحيان كثيرة أن يفرض على الفرد نوعا من القيود . والعلاقات الغرامية أكثر ما تكون انتقادا في مجتمع ما زال في بداية الانفتاح ، وله رصيد من التقاليد تقيد مسيرة الحب ، وتنظم العلاقات الاجتماعية في إطار من الشرعية . ولا بد للعاشق من متاعب يواجهها ، فيتغلب عليها أو تبقى حجرة أمام حبه .

- ٦ -

وكثيرا ما تناول الشعراء العذال والوشاة والرقباء الذين يجهدون أنفسهم في إفساد مسيرة الحب والتفريق بين المحبين ، لتتناثر حبات انتظامهم.فالوقيعة بين المحب وحبيبته يسعى إليها بعض المغرضين ، الذين تمتلىء قلوبهم بالغيرة والحسد . والوشاة يحاولون بث الفرقة بين المتحابين بمختلف الأكاذيب

---

١. (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط الغزليات الجزء الأول ص١٦٤ .

٢. المصدر السابق ، ص ١٦٥ .

٣. المصدر السابق - الديوان المخطوط - الاجتماعيات ، ص ١٣٤ .

٤. (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيزورون الحقائق بغية نيل مرادهم ، لكن محبوبة شاعرنا وقد تمكن الحب منها لم تعوده إلا على الرضا مهما نشط الوشاة :

أنا لم أعود منك إلا بالرضا لو جد واش واختفت أقماري (١)

ولذلك فهي تزوره ليلا لتبادله شكوى الحب والهوى خشية الوشاة والرقباء لتفادي وشايتهم وتشهيرهم بها ، وهي " صورة تقليدية " ساقها الشاعر ضمن نص غزلي أشبه بالقصة الغزلية " يقول :

وهل يشتكي المحبوب في الحب والهوى سوى إن دجى الداجي وجن وأسحرا
هنالك لا واش ولا عين حارس كلاذين بالنوم العميق تدثرا(٢)

ويدعو على هؤلاء الوشاة الذين يمدون يد الفرقة بقوله :

شلت يد تسعى مفرقة شلت وأردفها يد الشل (٣)

والعاذل يلوم في الحب ليثني المحب عن محبوبه ، ويكثر من لومه ، مما يجعل العاشق يتشبث بمحبوبه تحديا للواقع ، والنفس البشرية مغرمة بالعناد ،وأبو سرور لقي من العنت واللوم الكثير، مما جعله يتحدى الموقف ويصرح بالحب ، ويظهر عشقه في أسلوب من الصراحة ، وحين لم يقبل منه هذا التوجه ، رد على ذلك بأن العاذل حينما لام على الحب فعل ذلك لجهله به ، إذ لم يمر بتجربة مماثلة :

من لم يذق حلو الغرام ومره لا غرو إن أبدى الملامة فيه (٤)

ولذلك فإنه يصرح بأن محاولة العذال لم تزده إلا عنادا ، في قوله :

وما زادني العذال إلا محبة عليك فآبوا بالقلى والحرائق (٥)

ويخاطب العذال الذين يلومونه لفرط جهلهم بمزايا محبوبه على طريقة الصوفية في تنزيههم لمحبوبهم من أن يماثل أو يضارع :

يا عاذلي على حبي وقد جهلوا منه مزايا وقد جلت مزاياه
أتخدعوني أن أبغي به بدلا هل مثله في الورى إلا محياه

---

١. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط الغزليات من الجزء الاول ص ١٥٠ .
٢. المصدر السابق ، الديوان المخطوط ، قسم الاجتماعيات ص ١٢٧ .
٣. المصدر السابق ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ص ١٥٣ .
٤. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الأدب ص ٣٥ .
٥. المصدر السابق ص ١٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شتان ما بين محبوبي وزيفكم أين الثرى في غرامي من ثرياه(١)

وحين شاع خبر حبه بين الناس انقسموا إلى ثلاث فرق ، فريق يلومه ، وآخر ترحم عليه ، وثالث يخفي نفسه مع الوشاة يقول :

قد فشا الحب بيننا في البرايا وغدا الناس منطقا يتكلم
ففريق لامني دون رحمى وفريق درى الهوى فترحم
وفريق وراء ظل أراك يشرب الدم رمحه ليس يكلم
كيف حالي يكون مع كل هذا وحبيبي قد صد عني وصمم (٢)

أما الرقيب وهو من آفات الحب (٣) فقد عبر الشاعر في قصيدة له بعنوان " إلى أيكة الملتقى " وهو يدعو الحبيبة إلى زيارته ، في عالم هيأه لها في مكان آمن بعيد عن أعين الرقباء :

تعالى بجنبي حول الغدير على نغمات طيور الغصون
تغنى الطيور وقد حفنا من النرجس الزهر حفظا عيون
عيون تعودن كتم الهوى وفي الحب أكرم من يكتمون
تعالى إلى أيكة الملتقى وفي ظل سر الغرام المصون
وإن شئت ظهرا فلا تخشين رماح الرقيب فرمحي منون
فعين الأحبة يقظانة وعين الرقيب هنا في سكون (٤)

وكتمان الحب أمر يتصل بالوشاة والرقباء والعذال بغية أخفائه عنهم ، فيحاول المحب أن يكتم حبه ، ولكن محاولة شاعرنا في ذلك باءت بالفشل الذريع، نظرا لما شكله هذا الكتمان عليه من وطأة أحس بثقلها ، فأصبح هذا الكتمان عامل إرهاق له بعد أن فضحته الدموع ، يقول :

تصبرت في كتم الصبابة برهة وأهنا الهوى ما كان وهو صريح
ولما بدا أن التكتم مرهقي وأن جمان المقلتين فضوح

---

١. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ، ص ١٤٤ .
٢. (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٨٩ .
٣. ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والألاق ، تحقيق صلاح الدين القاسمي . دار الشؤون الثقافية بغداد ، الدار التونسية للنشر – ١٩٨٦ ، ص ١٢٢ .
٤. (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلعت عذاري في الغرام متيما أغني بأغصان الهوى وأنوح * (١)

ويصور الشاعر كتمان الحب وصعوبته حين تعرب الدموع فتبوح بالحب :

ويظل يكتتم الهوى في قلبـــه فاذا مدامعه تبوح وتعـــرب

نطق المدامع والذي فطر الهوى نطق به يصمى الهوى ويعذب **(٢)

وقد يأتي كتمان الحب غيرة على المحبوب كيلا يفتضح أمره ويشتهر حاله ، يقول:

يا من أغار عليه أن أبوح به ومن هو الحب لا ليلى ولميـــاه (٣)

ومن هنا فإنه يشيد بمن يكتم الحـــب :

عيون تعودن كتم الهـــوى وفي الحب أكرم بمن يكتمـــون (٤)

---

١. (أبو سرور) حميد بـن عبدالله الجامعـــي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ص ١٤١ .

٢. (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٨٩

٣. (ابوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ص ١٤٥ .

٤. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص٥٣

* (عذاري) خلع العذار أي الحياء، وهذا مثل للشاب المنهمك في غيه ، ويقال للمنهمك في الغي خلع عذاره ، لسان العرب المجلد الرابع ص ٥٥٠ (مادة عذر) .

** صما – يصمـــي – الصميان : الجريء على المعاصي – لسان العرب ، ج١٤ ، ص ٤٦٩ مادة (صما) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ٧ -

وحين يصور الشاعر مشاعره وأشواقه يضع نفسه في صورة المحب البائس الذليل ، فيصور لنا وجده بمحبوبته وهيامه بها ، ويقدس محبوبته ، متعلقا بأهداب العفة ٠ وعذرية الشاعر تبدو واضحة حين يبلغ به الحب حدود العبودية لمحبوبه ، الذي يقنع منه أن يكون له عبدا مطيعا ذليلا يفعل به ما يشاء ، متمثلا علاقاته العاطفية في ألوان نتاجه الشعري تمثلا فيه خضوع واستكانة واستمالة لقلب الحبيبة ، علها تعطف عليه ، وتحن إليه ٠ مع أننا عرفنا أبا سرور - أيضا - الشاعر الحماسي الذي يجلجل صوته الوطني القومي مليئا" بالقوة والفتوة ٠ وليس من باب الغرابة أو التناقض أن نلاحظ مثل هذا الموقف اذ أن بالحب " يعود شرس الطباع لينا ، وصعب الشكيمة سهلا "(١) والتذلل للمحبوب أمر مستساغ في الحب ، والشاعر يفتخر بعبوديته للمرأة التي يحبها ، وحرمانه منها يزيده تشوقا إليها ٠(٢) كما أن أبا سرور ليس الشاعر الأوحد الذي تميزت قصائده بالخضوع إلى المحبوب ، بل يكاد يكون جميع الشعراء العاشقين على هذه الشاكلة ، يقول الشاعر :

تملكني الهوى عبدا مطيعا ... فهل من واجبي أبغي الهروبا (٣)

والخضوع " العبودية " التي تتصف بها قصائده الغزلية ليست منفلتة أو مفتوحة الحدود ، وإنما يقيدها التزام الشاعر بكرامته وسمو مكانته يقول :

وإني عبد حبك كيف شئـــت ... سوى عرضي فلا أعطيك هامه (٤)*

وقوله: فأنا أسيرك فافعلي ما شئت بي ... إلا سمـــــو مكانتـــي إياك (٥)

---

١٠ ابن حزم الاندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والألاف، مطبعة الاستقامة ، القاهرة دون ط ، ت ، ص ٦٨ ٠

٢٠ انظر د٠عبدالحميد جيده ، مقدمة لقصيدة الغزل العربية ، دار العلوم العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م، ص ٢٠٢ ٠

٣٠ (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان : باقات الأدب ص ٣٠ ٠

٤٠ المصدر السابق ، ص ٥١ ٠

٥٠ (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات مـــن الجزء الاول ، ص ١٣٨ ٠

* هامة القوم سيدهم ورئيسهم ،والهامة رأس كل شيء والمعنى يكون "سوى عرضي فلا أعطيك انقياده " انظر لسان العرب المجلد ١٢- ص٦٢٤ مادة " هوم "٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولذلك فإن الشاعر يوغل بمعنى الرق ، هذا :

وهبت حياتي في هواك رقيقة فلا تعتقيها رقها في الهوى شرف(١)

بل لعله يفخر بمثل هذه العبودية ، ما دامت مقبولة ضمن حدودها :

وكنت فخورا أنني عبد أسرها وهل تأسر الحسناء غير البطارق(٢)

والحب جهاد نتيجته الحتمية الاستشهاد في سبيله ، إذ أن معاناة الحب والعفة فيه ، تؤدي بالمحب إلى طلب الموت في سبيل حبه ، وقد يعد نفسه شهيدا . من ذلك ما يخاطب الشاعر به محبوبته التي جرحت فؤاده ، جراحا لا يرجى برؤه ، ليصبح العاشق المقتول ، شهيدا ، ولكن لا كأي شهادة ، بل من شهداء الإمامة ، يقول :

جرحتيني بموسى من غرام جراح الحب من يرجو التئامه

أيقتل عاشق صب عفيف قتيل الحب من شهدا الإمامة

خذي مالي وروحي واستزيدي ودادي إنه أصل الدعامه (٣)*

ويدعوها أن ترق لحاله ، ويسألها إن كان قتله حلالا عندها :

رقي لحالي يا حبيبة مهجتي رقي وإلا للمات أوافي

إن كنت مسلمة فإني مؤمن أيحل قتلي ؟ أين ذو الإنصاف؟ (٤)

وهو إن مات في سبيل حبها فشهيد نال مراده ، ويقنع منها أن تمر على قبره ، فتبادله السلام لتحييها زواياه :

نادوا الحبيبة إني إن مت ولها بحبها فشهيد نال مغزاه

نادوا الحبيبة إن مرت على جدثي تهدي السلام تحييها زواياه

إن فاتني في حياتي من أحب فيا حظي إذا مر من قبري وحياه(٥)

وينكر على من يرى أن الحب قد انتهى ولم يبق له أثر ، يقول :

---

١. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الاول ص ١٦٨ .

٢. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، باقات الأدب ص ١٦٤ .

٣. المصدر السابق ، ص ٥١ .

٤. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان إلى أيكة الملتقى ص ٥٦ .

٥. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الاول ص ١٤٦ .

** الدعامه ، سيد العشيرة ، والدعامة : عماد البيت الذي يقوم عليه ، ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد ١٢ ص ٢٠٢ ، مادة (دعم)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترى مات حب الناس فالحب لم يزل له كل يوم قاتل وقتيل (١)

ويستنفذ الشاعر جميع الطرق فيلجأ إلى الصبر فينفد عنده ، وحينذاك لم يبق لـه إلا الموت والانتحار ، فيقول :

صبرت زمانا وقد خاننـــي زمام من الصبر ما إن يخـــون
وجئت التصبر أشكـــولـــه فلم ألف صبرا فماذا يكـــــون
فلم يبق لي من حمى مانـع وراء التصبر إلا المنـــــون
أحل بأن أقصد الانتحـــار؟ أجرعة صاب الردى لي تهـــون ؟(٢)

ويسأل محبوبته عن انتحاره في سبيل الحب والـذي يشكل لديـه معنـى جديدا ، ثم يتساءل عن حال محبوبته بعده :

أحل انتحاري يا فلتـــــي وكيف حياتك بعدي تكون (٣)

وتجيء سمة الجنون عند العذريين نهاية حتمية للعاشق ، نتيجة حرمانه لقاء الحبيبة ، فيذهب عقله ، وحينئذ يضارع مجنون ليلى ، يقول :

جننت ولا مجنون ليلى من الهوى ولا شك مجنون الهوى عاقل معي
وليس جنون الحب إلا خلاصـــة ومن لم يمت بالحب لا شك مدعى(٤)

فأصدق الحب ما انتهى بصاحبه إلى الجنون :

جننت بحبك بين الورى وأصدق حب أتى بالجنون (٥)

وفي النهاية ، ماالذي يجنيه العاشق من وراء عشقه غير حسرة وجنون أو انتحار:

أندرك من عشق المها غير حسرة وغير جنون وانتحار مشارف (٦)

وقد صرح الشاعر بتلذذه بالآم الحب التي تملأ عليه فراغه النفسي ، وقد ورد عنده شيء مما يصرح بترحيبه بالآم الحب ، حين يحس بغليان أحاسيسه وتضرم وجدانه فيقول :

يا لطف سكين الهوى مغروزة في نحر صب لا يرى العفووفا
يا حبذا مدى الهوى لمن درى ما كل رام قد أصاب الهدفـــا (٧)

---

١. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الاخوانيات ص١٢٩ .
٢. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان إلى أيكة الملتقى ص ٥٤ .
٣. المصدر السابق ، ص ٥٤ .
٤. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الأدب ص ١٣١ .
٥. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان إلى أيكة الملتقى ص ٥٣ .
٦. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الاخوانيات ص٦٥ .
٧. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الأخوانيات القوميـــة من الجزء الاول ، ص ١١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما إن كانت الحبيبة تستعذب شقاءه ويرضيها عذابه فلا يبخل بذلك :

يا مهاة الوداد إن كان يرضي أن اعيش الشقي عشت شقاها (١)

ويتلذذ بمتاعب محبوبه فتنقلب المعادلات ليصبح المر حلوا والملح عذبا :

مر الأحبة لو جفوا أبـــــدا حلو وملح شرابهم عـــــذب (٢)

وتأتي العفة في الحب مظهرا من مظاهر الغزل العذري الذي يعبر عنه الشاعر كثيرا ، فهو يرى أن العفة والتقوى والحب أساس متين لبقاء زخمه في القلب ، إذ يصور الشاعر أحاسيسه ، ويؤكد في أكثر من مناسبة هذا المعنى ويلح عليه ، فيظهر نفسه ومحبوبته خليين من كل فاحشة وسوء ، مصحوبا بعاطفة الكبرياء فيقول :

فعرضي لم يزل حرا كريمـــا أصون عرينه شرفا أسامـــة

وأي هوى يدنس ثوب عرضي أضع نعلي عليه بلا احترامه (٣)

ويشبه التقوى في الحب بحالة محسوسة تسكب في أباريق من التقوى ، فهو لا يرى من بأس في الحب العفيف الذي يتعلق بتلك الأهداب :

اقتطف من رياض أنسك باقـه كـــل نفس إلى الشذا تواقه

واسكب الحب في أباريق تقوى ما لنفس عن التقى من طاقه

كل عيش وإن تـــزاخر أنسا ليس يحلو إذا عصى خلاقـه (٤)

وتتمثل سيكولوجية الحب لديه في قوله :

دار المحبة لا أنسى عفيفتهـــا دمنا وعفتنا للحب أقمـــار

فليعلم الناس ليس الحب جوهره جسما تلامسه إن تطف أنوار (٥)

والحب إن افتقد العفة انقلب الى جب :

كل حب عنه العفاف تولـــى هو جب وقيته وبليـــــة (٦)

---

١. المصدر السابق ، ص ١٨٤ .
٢. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الإخوانيات من الجزء الثاني ، ص ٥٦ .
٣. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الأدب ، ص ٥٢ .
٤. (ابوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ص ١٣٣ .
٥. المصدر السابق ، ص ١٥٩ .
٦. المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو رجل لم يغره الحاضر بخلاعاته ، يقول :

فإن وددت جناحي إنني رجـــــل لم يسبني حاضر قد ساء مسراه
عصر الخلاعة عصر ليس يعشقه إلا الخليع وقانا الله بلـــــــواه (١)

وهو إن مات فإنه يموت شريفا نقي الجيب لا يقربه العار :

وإن نمت لم نخلف في حقائبنـــا إلا الثنا ما هناك الـــدن والعـار (٢)

والمحب العذري ينفرد بحب واحدة ، يحبها حبا روحيا ، حينما لا يتسع القلب إلا لها ، ولا يحس إلا بها ، من ذلك قوله ، نافيا أن تكون له حبيبة غيرها :

فما لي غير حبك لي حبيب صليني أو قفي دون انتقامـــه
وما لي غير تلسيمي إليهـا مقاليد الهوى فخذي زمامـــه (٣)

وبذلك ، لا يمكنه أن يسلوها لحظة من لحظات العمر ، فهي منه كنور العين ، يقول :

أأسلوك ؟ لا أسلوك في لحظة عمري فإنك في سري وإنك في جهري
وإنك مني نور عين بصائـــــري وإنك حبي دونك الحب لا أدري(٤)

وهو إن تغزل في غيرها فإن مقرها في سويداء القلب ومركزها سري لا يدري به غيرها :

فلا تغضبي روحي وإنك نعمتي إذا رمت أخرى خلة واقبلي عذري
وأنت على كل حبيبة مهجتـــي وغيرك لم يحتل مركزك الســـري (٥)

وهي وحدها غرامه وشجونه ، وما عداها مجون وعبث لاه ، يقول :

أفي غير حبك لي من شجون فأنت الغرام وأنت الشجـــون
وأنت الصبابة أنت الهـــوى وهل غير حبك إلا مجـــون (٦)

---

١. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الاول ، ص ١٨٤ .
٢. المصدر السابق ، ص ١٥٩ .
٣. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الأدب ، ص ٥١ .
٤. المصدر السابق ، ص ١٧٥ .
٥. المصدر السابق ، ص ١٧٦ .
٦. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان إلى أيكة الملتقى ص ٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو ينفي عن قلبه قدرته على حب سواها " حاشا لقلبي أن يروم سواك " (١)
وعلى الرغم من أنه يقول ؛ أن الحب واحد لا يتكرر كما في قوله :

فما الحب إلا واحد ليس غيره وطالب ثان شاكه ما يساوره (٢)

إلا أن الواقع عنده يشهد بغير ذلك ،فقد تغزل في غير واحدة ، لكنه ربما كان ينظر إلى المرأة المثال في قلبه ، ولم تكن بحال من الأحوال امرأة بذاتها .

وقد يتخذ الشاعر المرأة رمزا لمعنى آخر يرمز اليه ، كقوله من قصيدة بعنوان " أخت الوفاء " :

رفقا بعاشقك الطريح صليـــــه فلطالما قال البعاد اصليـــه
نظرته عين الكيد من حســـاده ووشت به الرقبا إلى قاليـــه
فتآمروا ليجرعوه حتفـــــــه فأبت أيادي السعد من باريه
أوحت إلى روح السعادة رحلـة ألقيه في يم الرجا القيـــــه
بصرت به جنبا وبات حســوده حيران يعمه في خيال التيه
فإذا الذي تركته في سجن النوى ونأت وعين حبيبه تحميـــه
تلقاه باسمة على مهد الرضـــى وعلى التوكل ثم ما تبنيـــــه (٣)

فهو هنا يتحدث عن قضية تعتلج فؤاده ، اتخذ الغزل مطية للتعبير عنه ، حتى يبعد عن المباشرة في الخطاب مداراة للواقع الذي يعيشه الشاعر .

والأمثلة السابقة تذكرنا بما عاناه الصوفيون ، من لوعة العذاب في الحب والتلذذ بالآمه ، والاستكانة للمحبوب والتذلل له والموت في سبيله ، استشهادا، أو الوصول إلى حد الجنون . وكذلك حديثه عن العفة وتركيزه عليها والتوحد في الحب من مثل قوله :

نحن اثنان في الجسوم صحيح لكن الروح واحد ليس قسما (٤)

---

٠١ (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ، ص ١٣٨ .
٠٢ (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الأخوانيات من الجزء الثاني ص ٤٦ .
٠٣ (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الأدب ص ٣٤ .
٠٤ المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك اعتبار المرأة رمزا من رموز التعبير عن الحياة ، والإغراق في وصف شدة أسر المعشوقة ، وإظهار المرأة بمظهر مثالي في جمالها ، كل ذلك من لغة الشعراء الصوفيين ، أو قريبة منها . غير أن ذلك لا يعطينا قدرة على الجزم بأن الشاعر كان يصدر عن فلسفة صوفية في غزله ، بقدر ما كانت خطرات صوفية أتت عفو الخاطر ، بحكم ثقافته ، وتأثير الدين عليه .

وأخيرا" فإذا بدا لنا أبوسرور مقلدا في غزله في العديد من قصائده ، فإنه أيضا قد أوحى لنا ومن خلال نماذج جلية ، بأنه يصدر في غزله عن تجربة صادقة عاشها وعانى منها واكتوى بنارها ، فصبها في أبيات اتسمت بالصدق والرقة والعذوبة ، أسعفه في ذلك شيء من الخيال وشى به الحقيقة ، تترك في النفوس أثرا " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا" : الشعر القومي الإسلامي

تناول الشعراء العرب المعاصرون قضية الأمة ومعاناتها ، والآمها وآمالها وطموحاتها . في قصائد مشحونة بالإحساس بالانتماء إلى هذه الأمة ، والسعي للحفاظ على تراثها وحفز أبنائها من أجل تحقيق ما تصبو إليه .

وشاعرنا أحد الشعراء الذين أسهموا في رفد الشعر القومي بقصائد كثيرة تناولت مختلف جوانب القضية القومية .

وفي هذا المبحث نتناول جهود شاعرنا في هذا المجال ومرجعيات هذه القصائد ومدى ارتباطها بالواقع العربي .

- ١ -

تضمنت قصائد الشاعر في عدد كبير منها ، الإشادة بالعرب وأمجادهم وشجاعتهم وصفاتهم الحميدة من مثل قوله :

فدولتنا أبناء يعرب قـــــوة ... وإن وقفت يوما فلا برحت تعدو
لقد سجل التاريخ سالف مجدنا ... وحاضرنا والكل في شوطه حد (١)

والعرب فيهم بسالة وإقدام ، ولكن عليهم أن يتنبهوا حتى لا يقعوا فريسة للخديعة والمكر ، فيقول :

يا عالم العرب البواسل في الوغى ... اربأ بنفسك أن تصاد بمخدع (٢) *

ولذلك فإننا نجد الشاعر في كثير من المواضع يخاطب العرب والمسلمين ويحملهم المسئولية في مثل قوله :

يا أمة الإسلام يا عرب القنا ... قد خلتموا ما تفعل الأشـرار
لا تجعلوا الأعداء أحبابا لكم ... إياكم وصاكم القهـــــار (٣)

إنه يصهر العرب والمسلمين في بوتقة واحدة ، فالعربي قوته في الدين الإسلامي، والمسلمون قوتهم في العرب الموحدين . والعرب يواجهون مخططات وحروبا ، وعليهم أن يثبتوا للعالم أنهم - وهم أصحاب رسالة - قادرون على مواجهة الصعاب والوقوف في وجه التحديات ، يقول :

---

١. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان بقايا الأدب . ص ٤٦ .
٢. المصدر السابق ، ص ٥٠ .
٣. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، قسم القوميات، ص ٩٣ .
* الخدع والمخدع (بكسر الميم) إخفاءا لشيء والخداع : الحيلة ، ابن منظور ، لسان العرب المجلد الثامن - ص ٦٤ ، مادة (خدع) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أفيقوا بني القرآن يا قـــــادة الإبا وإلا لبسنا العار أو يصل الحشر
فلا قاد شعب المسلمين سوى الهدى ولا بات إلا في مكامنه الشـــر(١)

الشعور الديني عند الشاعر رافد مهم لمنازع شعوره القومي ، ذلك لأن فكر الشاعر – وما ساد في وطنه عموما – لا يقوم على التمييز بين تيار إسلامي مستقل وتيار قومي يواجهه ٠ وإنما وجد الشاعر في القومية جسدا روحه الإسلام، وإن هي نزعت نحو التقدم فعليها بمبادىء الإسلام ٠

فالعامل الديني ، كما هو واضح في قصائد الشاعر أهم مقومات الأمة العربية ، الذي يمثل مكانة كبيرة في إلهاب المشاعر الوطنية للأمة ٠ ومن هنا كان نداء الشاعر للأمة من أجل العمل على استرجاع ما ضاع من الأوطان ، حين يناديها الإسلام ، يقول :

ألا يا بني الإسلام في كل موطـن يناديكم الإسلام في كل بقعـــــة
فهبوا لنصر الله أسدا" غطارفـــا وذودوا عن الأوطان يا أهل نجدتي (٢)

وفي أحيان أخرى ، لا يكون حديث الشاعر عن الأمة انطلاقا من التعبير عن الإحساس بالفخر ، وإنما يوظف هذا الإحساس لتوليد شعور مرير مشوب بالسخرية ، لدفع الأمة نحو تجاوز أخطائها ومحنتها ، حين يقول :

نحن أبناء يعرب نخوات فارغات على الجدود آرتسامـا
كانت العرب قادة للبرايا فادعينا ميراثها أوهامـــــا
ندعي قادة وربك إنـــا قادة القهقـرى ورهط الأيامـي (٣)

ومن الطبيعي أنه لا يتطاول على الأمة هنا ، ولا يقلل من شأنها ، لكنه يضعها بالاتجاه الذي تدرك فيه دورها ، وضآلة حاضرها فتسعى إلى تغييره ٠ وكثيرا ما كان الشاعر يدعو لرفع شأن الأمة التي ذلت واستسلمت لعدوها ، بأنهم سيفكون القيود ويكسرون الأغلال ، يقول :

---

١٠ (أبو سرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، قسم القوميات، ص ٨٣
٢٠ المصدر السابق ، ص ٨٨
٣٠ المصدر السابق ، ص ٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بلى إننا والأسد تعرف حالها لو اضطرها دهر وأورى بها زند
نفك قيود الأسر عنا بهمة تناطح قرن الفرقدين لها حد
سنكسر أغلال العدو بلاونى وإن بني الآساد لو حلموا أسد (١)

- ٢ -

تشكل الدعوة إلى الوحدة العربية قضية نضالية ، باعتبارها سلاحا يواجه به الإنسان العربي أطماع الغزاة . وقد تبلورت نظرة الشاعر إلى الوحدة من خلال قصائده ذات الاتجاه الوطني والقومي ، فكانت تلك القصائد ترسم أبعاد تلك النظرة . فهو يرى أن الوحدة قوة ، وفي اتحاد العرب فائدة كبيرة . إضافة إلى أن شبح التجزئة الذي يخيم على الأمة يفقدها أهم مقومات استمراريتها في مواجهة التحديات التي تحيط بها ، يقول الشاعر في هذا المعنى :

للاتحاد كيان لا تقاومه قوى العدو وإن جدت له أبدا
لم تتحد أمة إلا وقد قويت وامتد سلطانها واستفحلت عضدا (٢)

والشاعر - رغم شعور العرب بأهمية الوحدة - يعاني من مرارة الإحساس باستمرار الخلافات العربية العربية ، التي تقلل من قدرتهم على مواجهة الأعداء ، فهو ينعى على العرب هذه الخلافات التي لن تفيد إلا أعداءهم فيقول :

ما بالنا نحن والأيام قاسية نجر ذيل الهوى خلفا بغير هدى
تنمر الخصم فينا واستهان بنا وظل يكشر عن أنيابه أسدا (٣)

ويصور الحالة التي آلت إليها الأمة نتيجة هذه الفرقة فيقول :

ونحن نضرع حوليه وليس لنا إلا التمسكن نرجو رحمة ويدا (٤)

ويشدد على أن السبب - كل السبب - في هذه الخلافات ، ومع تشديده تتصاعد مرارته فيقول :

ما كان ما كان إلا من تفرقنا إن التخالف تلفي غبه النكدا (٥)

وهكذا تتفجر إثر هذه المرارة دعوته لنبذ الاحقاد ، وتنقية السرائر باتجاه المستقبل، وفق رؤى واضحة ، حين يقول :

---

١. (أبوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الأدب ، ص ٤٦ .
٢. المصدر السابق ، ص ٤٤ .
٣. المصدر السابق ، ص ٤٤ .
٤. المصدر السابق ، ص ٤٤ .
٥. المصدر السابق ، ص ٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلنطرح الحقد ولنأسف لفائتنا ولنبن مستقبلا لله قد صمـــدا
إمامنا الوحي والمختار قائدنا والحق وجهتنا عشنا بذا سعـدا (١)

غير أن المرارة قد تنطبق عليه أحيانا ، فيتلبس نظرة تشاؤمية ، تبتعد كثيرا عن التفاؤل ، وتستسلم لليأس الذي تولد بفعل التجارب السابقة المريرة :

أين التآلف هل رأيت من الملا إلا صحائف سودت بالأدمـــع
كم قمة رمنا بها عرش السما فإذا بنا من عرشها في مصرع (٢)

والشاعر يكره هذه الحدود المصطنعة التي تقسم البلدان ، ويعبر عن ذلك من خلال مخاطبته لحمامة " روض المطار" التي تطير حيث شاءت بكامل حريتها ، لا تخضع للرقابة ولا لقوانين السفر ، منشدا هذه الحرية التي يمتلكها ذلك الطائر في تنقلاته من بلد الى آخر فيقول مخاطبا" هذه الحمامة :

وأمي لإلفك طيري لـــــه جنـــــاح الحمامة حر أمون
طليق يطير إلى حيث شـــا ولا من رقيب ولا من عيون
ولا من قوانين ضد الســرى تعـوق المطار ولا من شجون
فصبحا على النيل يشدو الغنا وبالعصر صنعا وظهرا مزون *
فدان الطبيعة فيما يشـــا وغنى لها كيف شاءت فنـون (٣)

ويشتد به الحزن ويهيمن عليه الأسف لما آل إليه أمر هؤلاء العرب والمسلمين من الفرقة والتطاحن فيما بينهم . والأدهى من ذلك أنهم تركوا عدوهم ، وأشعلوا فيما بينهم حروبا مزقت شملهم فيقول :

أسفى إلام المسلمون وعـربهم لـم يعلموا أن المآل رهيب
تركوا العدو وأشعلوا ما بينهم حربا تمزق شملهم وتذيب (٤)

وتبقى دعوة الشاعر إلى الوحدة وتحذيره من الفرقة هاجسا قوميا وواجبا دينيا ، يهتف بها ، ويحرض عليها ، فهي بالنسبة إليه ، لا تشكل موقفا سياسيا بقدر ما يراها حقيقة حتمية لوجود الإنسان العربي المسلم واستمرارية بقائه .

---

١. (أبوسرور) حميد عبدالله الجامعي ، باقات الأدب ، ص ٤٤ .
٢. المصدر السابق ، ص ٤٨ .
٣. المصدر السابق ، ص ٧٦ .
٤. (ابوسرور) حميد بن عبدالله الجامعي ، إلى أيكة الملتقى ، ص ٤٦ .
* مزون : اسم أطلقـــه الفرس على عمان ، انظر - الإمام عبدالله بن حميد السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، ١٩٩٣ م ، المطابع الذهبية ، سلطنة عمان ، ج١ ، ص ٧ وابن منظور لسان العرب ، مجلد ١٣ - ص٤٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ٣ -

وإحساس الشاعر القومي الإسلامي ، جعله يرتبط بالتراث التاريخي ، فيتغنى بتاريخ الأمة ، رافعا شعار مجدها ورصيدها الحضاري الواسع ، إذ لا نكاد نجد له قصيدة قومية وإسلامية ، إلا وتمتح من هذا التاريخ ، فيتمثل كثيرا من أحداثه ، ويسقط كثيرا من وقائعه على الواقع المعاصر ، منتفعا بكثير من شخوصه وأعلامه وموظفا لها .

ويبدو ذلك جليا من خلال اتصاله بشخصيات أصبحت تحمل دلالات ورموزا خاصة ، وهي في عمومها إما أن تكون شخصيات قيادية وعسكرية فاتحة، خاضت معارك ضد قوى الظلم والاستبداد ، من أمثال خالد بن الوليد وأبو عبيدة عامر بن الجراح وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي . أو أن يورد شخصيات الخلفاء والأمراء والأئمة الذين أرسوا دعائم العدالة ومثلوا الوجه المضيء من تاريخ الأمة ، من أمثال شخصية عمر بن الخطاب والإمام الصلت بن مالك الخروصي * .

وكان كثيرا ما يولد نوعا من المفارقة التصويرية - وهو يستوحي هذه الشخصيات - حين يبرز التناقض الهائل ، بين ما ترمز إليه هذه الشخصيات وبالتالي الماضي المتألق ، والحاضر المنغمس في ظلام الفساد وتدهور الأوضاع وتغير المفاهيم ، وبالتالي فإن هذه الشخصيات عبارة عن أجراس مدوية تقرع للحاضر ، لكونه قد تباعد عن ذلك الماضي المشرق . فالارتداد لهذا الماضي ليس هروبا من الواقع ، بقدر ما هو محاولة لتغييره . نجد ذلك حين يستدعي الشاعر هذه الشخصيات ويتواصل معها وينايها ويهيب بها في قوله :

فأين خالد نادوه لينقذنا ... يا ابن الوليد غدونا أمة لعبا
فأين سيفك يمحو العار من دمنا ... لا عار أنكأ من هون بنا ركبا
يا طارق بن زياد كيف تتركنا ... أسرى لأسراك بالأمس الذي ذهبا
لو كنت فينا لما كان الهوان بنا ... لكن لو عرفت لم تبعث الرطبا
يا شهم أنت صلاح الدين هب تجد ... تلك الفتوحات تبغي منك حدشبا
تمزقت بين ذي شرك وذي وثن ... بكاؤها ياصلاح الدين هب أبا
يا صلت يا قائد العليا ومنقذها ... لما اشتكت ضرها قد أنقذ الحقبا

---

* هو الإمام الصلت بن مالك الخروصي الأزدي ، أحد أئمة القرن الثالث الهجري في عمان ، بويع بالإمامة سنة سبع وثلاثين ومائتين للهجرة - انظر - السالمي ، تحفة الأعيان - ج١ - ص ١٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جرد أساطيلك اللائي عرفت بهـا نقذا يمزق من للبغي قد ركبـا
هذي سقطرية الإسلام قد أسـرت أغير سيفك يمحو العار والكربا (١)

غير أن ذلك لا يعني أنه لم يرتد إلى التراث بقصد الهروب ، والتعبير عن المرارة بصوت صارخ بائس كما في قوله :

يا فلسطين خالد قد تقضـى لم يخلف والله إلا حطامـا
أين عنا صديقنا ومضـاه لم يقلد أخا اليهود وسامـا
أين فاروقنا مجلي الرزايـا أين عنا جراحنا أين عاما (٢)

وأحيانا يربط الشاعر مأساة المسلمين في فلسطين بمأساتهم في الأندلس ، منكرا ذلك التباعد المكاني والزماني بين الحدثين ، محركا سكون الماضي للحالة الشعورية الراهنة ، يذكر قرطبة ومسجدها ، ويعرج على القضية المعاصرة في فلسطين فيقول :

وأين مسجدك المشهور وا أملـي قد بات في يد أهل الشرك يشكونا
يشكو إلينا ولكن من يناصـره مات المناصر إلا من يغنونـا
وذا هو الآخر الثاني يناديـنا هذا هو القدس في الأغلال يأسينا
طغت يهود ومن أرسى دعائمها ولا نصير سوى رقص السفيهينا
متى ترى يولد الأحرار يا أملـي مجاهدين لنصر الله يدعونـا (٣)

والعودة إلى الماضي من الركائز المهمة في شعر أبي سرور القومي ، حين اتخذ من ذكر الماضي وما يثيره في النفس منطلقا للتعبير عن موافقه . فالشاعر يتحدث كثيرا عن التاريخ ، ويدعو إلى مساءلته ، لرؤية مدى العمق التاريخي والرصيد الحضاري والشاهد النضالي في تاريخ الأمة فيقول :

نحن من دوخوا الزمان قديمـا سائل الدهر نحن سدنا الأنامـا
نحن أبناء سادة وأسـود أترى لأسد انجبتنا يمامـا؟! (٤)

ويسير اتكاء الشاعر على الماضي وجذوره في اتجاهين ، اتجاه يخاطب من خلاله أعداء الأمة ، لتذكيرهم بحضارة هذه الأمة وقوتها من مثل قوله :

يا غاشيا أرضنا حربا ومغتصبـا ظلما ألم تغنك الآيات والنـذر
أما قرأت على الماضي صحائفنا بأنها الموت لا برد ولا خـور (٥)

---

١. (أبو سرور) ، الديوان المخطوط ، القوميات ، ص١٢١ .
٢. المصدر السابق ، ص ٧٧ .
٣. (أبوسرور) الديوان المخطوط ، الاخوانيات ، ص ١٢٢ .
٤. (أبوسرور) الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٨٠ .
٥. (أبوسرور) ديوان باقات الأدب ، ص ١٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واتجاه يخاطب به الشاعر أبناء الأمة ، ليذكرهم بماضيهم العريق ، وصلابة آبائهم وأجدادهم ، وعدم استكانتهم لعدوهم ، متخذا في ذلك صورا مختلفة ، كأن يكون اللوم والتقريع وسيلته ، حين يجعل السلف ينكر على هؤلاء أن يكونوا أبناءه ، لما يرى من صغارهم وذلهم ، يقول :

أيها القدس كم تنادي ولكن | لا حياة فمن ينادي الرماما
لو رأتنا الجدود قد أنكرونا | أن يكونوا أجدادنا فابك داما
شيدوا المجد والمعالي تراثا | فقضى جيلنا عليها وخاما (١)

وتارة يستثيرهم بدينهم وعروبتهم ، فيقول :

يا بني الدين والعروبة أنتم | قادة الحرب من قديم الزمان
قد أبى دينكم عليكم وعز | أن تهونوا لسافل خوان
إنه العار أن تعيشوا أسارى | في يهود ورجسها الكفراني (٢)

ولذلك فإن السلف وإن ضمه الثرى فهو خالد بأعماله ، والجيل الحاضر وإن سرت فيه نبضات الحياة إلا أنه ميت بأوضاعه ، يقول :

فأمواتنا الماضون أحياء يقظ | وأحياؤنا موتى ولا حي ناجم *
أسارى على بحر المعاصي رمي بهم | وهل لأخي العصيان رمح وصارم (٣)

فهو قد خلق مفارقة معنوية بين ذلك الماضي المشرق والحاضر المؤلم ، وقصده في ذلك استثارة هذا الحاضر ودفعه نحو المستقبل .

وصفوة القول في توظيف الشاعر للتاريخ ، أنه كان يبتعد عن النظرة السكونية في التعامل مع شخصياته وأحداثه ، بل كان يستحضرهم أحياء فتقوم بينهم وبين أحفادهم مقابلات ، تشبه أن تكون مقاضاة السلف للخلف ، لإهمال ذلك الخلف لمنجزات السلف .

---

١. (أبوسرور) الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٧٨ .
٢. المصدر السابق ، ص ١٠٥ .
٣. المصدر السابق ، ص ٨٣ .
* نجم الشيء ينجم بالضم نجوما : طلع وظهر لسان العرب ، مجلد ١٢ ، ص ٥٦٨ مادة (نجم) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ٤ -

وفي الوقت الذي كان للتاريخ بشخصياته وأحداثه حضور بين في قصائده ، فإن للقيم الروحية المستقاة من الدين والقرآن الكريم بشكل خاص ، حضورها الواضح أيضا ، فقد امتزجت عنده القيم الدينية بالقيم العربية ، نظرا لما أسلفنا من أن الشاعر لا يميز بين القومية والدين ، حين ينظر إليهما نظرة الروح والجسد .

لذلك فهاجس الشاعر الذي يمده بالنسغ الاستقلالي ، يقوم على المعطيات الإسلامية ، باعتبار أن الدين الإسلامي هو العمق الذي نستمد منه قوتنا ، وأن معطيات هذا الدين بروحها خير علاج لأوضاعنا وواقعنا فيقول :

هل كالتمسك بالكتاب ونوره ... نصر إذا ما صالت الأيام
والله لو أنا أخذنا بالهدى ... ما بات في أوطاننا الظلام (١)

ويلخص الشاعر أسباب النصر وعوامله بالالتزام بالدين ، المتمثل بتقوى الله والأخذ بالهدى والحق ، والابتعاد عن الضلالة ، فبغير ذلك سوف يكون الذل بديلا لهذا النصر ، يقول :

أنرجو من الله نصرا لنا ... ونحن بعصياننا المستمر
فهنى المصر بذل الدنا ... وعار مشين ومأوى سقر
وناد اليهود وأنصارها ... يعيثوا فسادا فلا من بتر (٢)

وتنتقل دعوة الشاعر من التمنيات العامة إلى التشخيص حين يجعل الأداة المغيرة في الجيل الجديد ، كقوله :

فيا نشء فيكم رجاء الوفا ... فشنوا الحروب على من بطر
أبيدوا اليهود وشيطانها ... بتقوى الإله وسام الحجر
فلا نصر إلا لأهل التقى ... ومن يعص - حاشاك - رغما أسر (٣)

وخلاصة القول أن الشاعر استلهم القيم الدينية وجعلها في صميم مضامين شعره ، وتعامل معها فنيا على نحو ما سيأتي ذكره لاحقا .

---

١. (أبوسرور) ديوان باقات الأدب ، ص ٥٧ .
٢. (أبوسرور) ديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ٢٥ .
٣. المصدر السابق ، ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ ٥ ـ

ومعالجة أمور الأمة ، ونتائج هذه المعالجة سلبا أو إيجابا ، هي في ذمة القائمين على أمرها من حكام وقادة ، ولذلك نجد الشاعر يستخدم ، أسلوب التقريع والسخرية حين يخاطبهم ، إذ يحملهم كل المسئولية ، في ما آلت إليه أوضاع الأمة، لأن أعمالهم خالفت أقوالهم في قوله :

ليس السياسة أن تقول وتدعي | كذبا ولكن فطنة لسميدع (١)

فكان دورهم عند وقوع العدوان منحصرا في الشجب والتنديد ، ثم رفع القضية لمجلس الأمن الذي سماه الشاعر بمجلس البهتان " يقول :

كلما كسرت يهود قناة | قد شكوتم لأمها في الحنان
وملأنا الأرجاء قول شجبنا | وسعينا لمجلس البهتان
ثم نلوي لراقصات عرايا | بعد بث الآلام والأحزان (٢)

ويشير إلى ما يرتكبه العدو من هدم الديار وقتل الأطفال ، وإذلال الشيوخ والنساء ، وكل هذه النكبات تعرض عبر شاشة التلفاز ، على مرأى ومسمع من العرب والمسلمين كلهم ، يقول مصورا هذه الحالة :

نخال عدو الله يحتل قدسنا | ونلفي أسود العرب عن حربه كسلى
نراه على التلفاز يهدم دورها | يعللها أسرا ويوسعها قتلا
ونعرض هذا والمآسي جميعها | وترقص بعد العرض عارية ثملى
كأن الذي خلناه عيدا ومرقصا | يهش إليه لا مصائب قد تصلى
أسنتنا ملء الإذاعات دائما | مقال شجبنا والعدى أوسعوا الأكلا
أباحوا لكم أن تنتجوا الرقص والعرى | وإنتاجها الصاروخ يقتلكم قتلا(٣)

والشاعر في نظره يرى أن القائمين على أمر الأمة هم المسؤلون عن انطفاء جذوة البطولات والفداء حين كبلوا شعوبهم وأذلوهم ، فيقول :

كبلوا الشعب بالقيود وقالوا | قاتل الخصم واسترد الذماما (٤)

هذه الأمثلة الشعرية وغيرها مما لم نذكر (٥) يفهم منها ضيق الشاعر وتذمره من موقف القادة والحكام ، وشعوره بأنهم لم يكونوا بمستوى القضية وعظم المسئولية ، لذا فقد اتسم خطابه الشعري بالتوتر والتهجم والحدة أحيانا .

---

١. (أبوسرور) ديوان باقات الأدب ، ص ٤٨ .
٢. المصدر السابق ، ص ١٠٤ .
٣. المصدر السابق ، ص ٩٧ .
٤. المصدر السابق ، ص ٧٩ .
٥. المصدر السابق ، ص ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٧، ٨١، ٨٥ ....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ٦ -

والشاعر شديد الإيمان بالقوة والإعداد ، لا بالكلام والصراخ الذي لا يجدي ، فهو يقول :

بين القنابل والقنا والمدفع نيل المنى من غاصب متسبع (١)

فالشاعر لا يتواني عن أن يدعو صراحة لحمل السلاح في مواجهة العدو ، يخاطب الأمة ويدعوها إلى اليقظة وحشد القوى ، حين أصبح الجهاد أمرا لا مفر منه ، للحفاظ على ما تبقى واستعادة ما اغتصب ، يقول مشيرا إلى المآسي التي تتعرض لها بلدان الأمة ، والسبب كما يراه : هو " إضاعة جوهر الاسلام ":-

لبنان تقصف والباقي معرضة والقدس محتلة يبكي لها الحرم
إنا أضعنا من الإسلام جوهره فضاع موقفنا وانهارت العزم (٢)

فالنضال وحده هو طريق الحرية ، يقول :

ما أطلق الحر من أغلال من ظلموا إلا النضال وإلا فالرجال هبا (٣)

ولذلك فالفخر بجهاد الكفار لا بالميوعة والترف :

ما الفخر ما بين المراقص والغنا لكن جهاد إن طغى الكفار (٤)

ودنس الأعداء لا تغسله إلا الدماء :

لا تغسلن دنس الأعداء من بلد إلا دماء رجال الله في الطرق (٥)

والشاعر نفسه يتمنى الجهاد ، ولكن ليس أي جهاد ، يقول :

عاهدت ربي لم أبخل بنزف دمي إن قام سوق جهاد يقتدي السورا(٦)

ولكنه في تمنيه للجهاد لا يرى له أنصارا :

وياليت الجهاد يكون حظي ولكن أين أنصار القيام (٧)

ومن هنا فإن الشاعر يتضايق مما يراه :

إلهي ضاق بي ذرعا زماني جرائم من ورائي والأمام (٨)

فتظل مرارة اليأس تغلف قصائده في هذا الإطار لشعوره بأن الأمة لا تزال مستكينة ، لا تسعى إلى تحرير نفسها .

---

١. (أبوسرور) ديوان باقات الأدب ، ص ٤٧ .
٢. (أبوسرور) ديوان : الى أيكة الملتقى ص ٤٤ .
٣. (أبو سرور) الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ١٤٤ .
٤. المصدر السابق ، ص ١٤٤ .
٥. (أبوسرور) ديوان باقات الأدب ، ص ١٠٥ .
٦. (أبوسرور) الديوان المخطوط - القوميات - ص ٥٣ .
٧. (أبوسرور) صورة لقصيدة مخطوطة لدى الباحث ، ص ١٣ .
٨. المصدر السابق ، ص ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعالج الشاعر موضوع الحرية من خلال نظرته وموقفه من أنظمة الحكم ، وتقويمه لنظرة الناس إلى هذه الأنظمة . وقد اتسم شعره بالكشف والتوضيح في هذا الجانب حيث نجد له بعض النقدات السياسية اللاذعة ، والنبرة الساخطة المعبرة عن موقفه إزاء القيادات المعاصرة في عالمه العربي ، الذين أهملوا شعوبهم واختفت العدالة بينهم ، ينم عن ذلك قوله :

مضى عمر والمجد ولى وراءه مع العدل أما الغي قاض وحاكم (١)

وقد رأى الشاعر مدى عمق التغلغل الأجنبي في عالمنا المعاصر ، بحيث لا تملك الشعوب إرادة اتخاذ أي قرار ، حتى ولو أرادوا أن يزرعوا علفا وقمحا ، فإن السياسة الخاضعة في كل قراراتها لمشيئة الاستعمار وهيمنته تفرض عليهم أخذ الإذن بذلك يقول :

تملكت الأعداء كل أموركم فما نلتموا عقدا سواها ولاحلا
ولو شئتموا استمثار بعض حقولكم ولو علفا سقتم إلى إذنها البذلا (٢)

فحرية التصرف في ممتلكات هذه الشعوب أصبحت موكولة إلى غير أهلها ، والمهين في الأمر أن الزعامات أصبحت تتسابق في إرضاء أعداء الأمة ، ومن ثم اصبحت تحكم حكما – دكتاتوريا – لا تحسب للأمة حسابا ، بل كل همها أن يكون الشعب عبدا لها يأتمر بأمرها ، ولسان الحال كما عبر عنه الشاعر :-

كل يقول أنا فرعون فانتظموا تحتي عبيدا وإلا سمتكم نكدا (٣)

ومن هنا فالحل في رأي الشاعر العودة إلى الشورى ، باعتبارها نهجا سياسيا أصيلا للأمة يقول :

وأفضل ملك ما تشاور حاكم عليه ومحكوم لبيب وحازم
على الشعب فرضا نصح من قاد أمرهم مقالا وفعلا لم تخنه العزائم (٤)

والشاعر هنا لم يكل اللوم والتقريع على الزعامات وحدها ، بل أودع جزءا منه على الشعوب التي تفقد الخيرية إذا والت زعيمها على غير حق :

---

١. (أبوسرور) الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٩٤ .
٢. المصدر السابق ، ص ٩٨ .
٣. (أبوسرور) ديوان باقات الأدب ، ص ٤٤ .
٤. (أبوسرور) الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلا خير في شعب يوالي زعيمـــه على باطل لو قطعته الصوارم (١)

ويمدح الحكام الذين يتقبلون النصح ويصيخون إليه ، فلهم في سيرة الفاروق أسوة، يقول :

فلله در الحاكمين إذا هـــــــم أصاخوا لنصح أن يتبهم الكبـر *

ألم يقل الفاروق للناس قومـــوا إذا خلتموا شيئا يخالفه الذكـــــر(٢)

---

١. (أبوسرور) الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٨٢ .

٢. المصدر السابق ، ص ٨٦ .

* التب ، والتباب : الخسران والهلاك ، انظر ابن منظور لسان العرب – المجلد الأول ص ٢٢٦ مادة (تبب) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلسطين في شعره القومي والإســـلامي

ظلت مأساة فلسطين تنبض في قلب كل مسلم ، وتستقر في وجدان كل عربي ، فجرحها لايزال سائلا ، والدمع عليها لا يزال جاريا ، والأمل في استرجاعها لا يزال موصولا ، لها قدسية خاصة في نفس كل مسلم ، ففيها المسجد الأقصى ، أولى القبلتين وثالث الحرمين ، وفيها قبة الصخرة مرقى رسول الله صلى عليه وسلم . ابتليت باغتصاب الصهيونية لها ، وتآمر الاستعمار المعاصر عليها ووقوف قوى الظلم والطغيان مع هذا المغتصب .

وقد عبر أبوسرور عن هذه القضية باعتبارها قضية عربية إسلامية . والشاعر يعد قضية فلسطين قضيته المركزية ، ومعاناته الأساسية التي عبر عنها في إحدى مقدمات قصائده (١) ولم يترك فرصة للتعبير عن آلامها وأحزانها ، إلا وأرسل فيها الخطاب داعيا الأمة إلى الجهاد في سبيل إعادتها .

فلم يكد يسمع بتشكيل قوات التحرير الفلسطينية ، ومباشرتها الكفاح ضد الدخيل حتى أنشأ قصيدته الموسومة " صرخة الفدائي " والتي مطلعها :

لقن الدرس للعدو اللدود يا فدائي وانسفن باليهود (٢)

وهو عبارة عن نداء حماسي غنائي يوجهه الشاعر إلى الجندي الفدائي يحثه فيه على القتال ، مستثيرا حفيظته وحميته ، متحدثا عن دفاعه لصيانة شرف الأمة التي تبارك مسعاه ، يشد من أزر الفدائي ويرفع معنوياته حين يخاطبه بقوله :

عله ظن خالدا قد توفـــــي أنت بالفعل خالد بن الوليد
إنما الابن قطعة من أبيـــه فالهب الحرب ياكمي وزيد (٣)

ثم مضى الشاعر يصور إصرار الفدائي على استعادة حقوقه ، حين رأى فيه بصيصا من الأمل ، مخاطبا إياه :

يا فدائي هل وهى منك زند لاوربي فأنت زند الوجود (٤)

ويقول متحدثا باسم الفدائي المصر على مواصلة كفاحه حتى استرجاع الأقصى ، متقمصا شخصيته :

ليس للحرب عندنا قط أقصى أو نرد الأقصى بعون المجيد

---

١. (أبوسرور) الديوان المخطوط ، الإخوانيات ، ص ٦٨ .
٢. المصدر السابق ، ص ٧٤ .
٣. المصدر السابق ، ص ٧٤ .
٤. المصدر السابق ، ص ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس إن مت مات حقي وسيفي إن ابني وابن ابني جنـودي
ليس شيء أعز عندي وأحلـى من قيامي بمدفعي وقعودي (١)

إذ أخذت هذه القضية بعدا عربيا إسلاميا عند الشاعر ، ورأى فرقة العرب واختلافاتهم سببا في ضياع فلسطين ، لذلك ظلت الوحدة هاجسه ، فكأنها الطريق إلى تحرير فلسطين . مثلما كان يرى أن المسلمين يعيشون هذه الفرقة ، لذلك فالخطاب الشعري عنده عربي إسلامي ، يدعو إلى توحيد المواقف والتوجهات ، كقوله :

قد بات شعب المسلمين مفرقـــا كل بسيف شقيقه مضـــــروب
ضلت بصائرنا وضل سبيلنـــــا فغدا السبيل مصائب وذنـــوب*
يا أمة الإسلام طال خلافكـــــم عودوا إلى الـدين الحنيف تصيبوا
لبوا نداء المسجد الأقصى انهضوا عار إذا لم تنهضوا وتجيبـــوا (٢)

كما جسد الشاعر ما تعانيه فلسطين أرضا وشعبا من مآس على أيدي المغتصبين ، فرسم تلك الصورة ممزوجة بمرارة النداء الذي لم يسمع كقوله :

تلكم فلسطين كم نادت وكم صرخت وكم بكـــت ألما واستنجدت شهبـا
تقول لي وعلى أحضانها بقـــرت بطـــون أبنائها لا ذنب لا سببـــا
أيرتضي الحر والإسلام يملكنـــي رجس اليهود ويوليني الأسى نصبـــا(٣)

وتبلغ درجة الرفض حالة يقول فيها على لسان فلسطين بعد أن تساءلت قائلة :

فأين خالدي المنصور فيلقـــه ألم يلد لي إلا من خوى وكبا
ياليتني لم أكن من يعرب نسبا لو يشترى نسبي لبعته بهبـــا (٤)

ومثلما مر بنا هذا الموقف سابقا فإن هذا الرفض يمثل غضبة (ردة فعل) وليس انسلاخا عن الأمـــة .

---

١. (أبوسرور) ديوان باقات الأدب ط ٢٠٢ .
٢. (أبوسرور) الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٧١ .
٣. المصدر السابق ، ص ١٣٥ .
٤. المصدر السابق ، ص ١٢١ .
* يوم ذنوب : طويل الشر لا ينقضي - ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد١، ص ٣٩٢ ، مادة (ذنب) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستيحاء الشاعر للماضى جعله يرى أن القوة هي الصوت الذي يمكن من خلاله التخاطب مع العدو ، وهي الوسيلة الحقيقية لاستعادة الحقوق ، لا سيما أنها أصبحت لغة العصر .

ولذلك فإنه لما قامت حرب تشرين " أكتوبر " عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة وألف ، أكد الشاعر هذا المبدأ ، أو اللغة التي يمكن أن يتخاطب من خلالها مع العدو فيسمعها . فراح يرفع من شأن العرب ويؤكد شجاعتهم وإقدامهم، ويصف انتصاراتهم وجبن اليهود في مشاهد تصويرية وكأنه قد حضر أوار المعركة . وقد أوجدت هذه المعركة لديه بارقة أمل ، فخفق لها قلبه ، ورصدها بفكره وقلمه ، وكأنه محارب مشارك فيها ، يقول :

حمي الوغى وتقدم الأحرار | وتصارع الصاروخ والطيار
الله أكبر لا كسام ثلاثة | تصغي له الآذان والأحجار
درس صغير بالقنابل والقنا | خير لأن يتكرر الإنذار
نال اليهود من العروبة غرة | بالأمس والآساد سوف تغار

ثم يشير إلى الدول التي هبت تمد العدو بالعتاد والسلاح فيقول :

لم تأل أمريكا ولا أشياعها | جهدا لدعم عدونا فأغاروا
برا وجوا والبحور زواخر | بأساطل ضاقت بها الزخار (١)

إلى أن يقول واصفا المعركة واحتدام القتال فيها بشتى صنوف الأسلحة :

فكأننا بين الجنود ملائك | أما الجسوم فهيكل كرار
وتراسلت نحو السما أبطالنا | بالطائرات لها الفنا أمطار
والبحر يمخر بالقتال عبابه | ودم الوغى طوفانه والنار
والبر مما فوقه متضائق | والكون من هول الورى محتار
وصوارخ ما زال تعترك الوغى | مع طائرات يهود مهما طاروا
فإذا بدا سرب تلقى نسفه | سرب صوارخ كلهن دمار
فكأن أبواب الجحيم تفتحت | وتغيظت وعلالها إسعار
فمن الثرى حتى السماء تصاعدت | نار تلظى صوتها هدار
بحر من النيران هاج سفينه | دبابة طيارة طيار
ومدافع وصوارخ وقنابل | وفيالق ضاقت بها الأقطار(٢)

---

١. (أبوسرور) باقات الأدب ، ص ١١٧ .
٢. المصدر السابق ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تفجرت في هذه القصيدة كوامن أمنيات الشاعر بعد أن اختزن كثيرا من المرارة ، لذلك فإن شرارة حرب " تشرين " جعلت الشاعر في هذه القصيدة يعيش الأمل الذي كان يراوده في فلسطين محررة ٠ ومن هنا فلا نلاحظ في هذه القصيدة ذلك النفس اليائس الذي سار عليه في كثير من قصائده القومية ٠

غير أن الشاعر أصيب بخيبة أمل أوقفت سيل مشاعره ، حين رأى العرب قد خلدوا إلى السكون والدعة بعد هذه المعركة ، فلم يعد صوتهم مسموعا ، تركوا العدو يفعل ما يريد ويتصرف كيفما يشاء والأمة طائعة لا تحرك ساكنا :

يطوف علينا الشرك يصطاد من يشا ونحن له الصيد الجبان المسالم
ولو شاء يوما بيعنا في مزاده لنفذ ما يهوى وما خيل ناقم (١)

ورغم النظرة العربية الإسلامية التي تحملها عموم قصائد الشاعر ، فإن الانكفاء في حالة العرب وموقفهم ، وكذلك المسلمين ، يجعل الشاعر يضيق من إطار نظرته، فتتحول القضية إلى فلسطينية بحتة، لا ينهض بها إلا أبناء فلسطين ، بعد أن يئس من قادتهم وقال فيهم :

أبنا فلسطين على ساعدكم رد الحمى لا العاشقين الترفا
البائعين بالنفاق قدسكم والمشترين مقعدا مزيفا
هل تأملون النصر ممن صبحوا ذات العرى والرقص سلوى وشفا (٢)

أما موقفه من الصلح مع إسرائيل ، فهو يسخر من الدول العربية التي تسعى إلى السلام معها ، ويتساءل عن هذا السلام المزعوم بأسلوب يفضح الزعامات المتسارعة إليه ، فيقول :

يا للهفي وبالجمرة قلبي ما لوعد السلام ما زال سامـا
كلما مر عام نجوى ورجوى يا فلسطين نافقوا لك عاما
إن سمسارهم عليك ينادي من يزد في النفاق زيد احتراما (٣)

ومن ثم يرفض الشاعر هذا التوجه ، وينفذ بحديثه إلى ما تبقى من ضمائر الأمة ، فيستلهم الحالة الشعورية الثائرة ، فيقول :

يا بقايا إن كان فيكم بقايا من ضرام فأججوها ضراما
يا رجال الأمجاد قواد ديني أشعلوا الحرب نصرة وانتقاما
طهروا القدس من عدو لئيم غصب الأرض غاشما ظلاما (٤)

---

١٠ (أبوسرور) الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٨٣ ٠
٢٠ المصدر السابق ، ص ٩٤ ٠
٣٠ المصدر السابق ، ص ٧٩
٤٠ المصدر السابق ، ص ٧٩ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا" : الشعر الوطنـــــــي

- ١ -

تغنى أبوسرور في كثير من قصائده بحب الوطن ، وراح يبث لواعج هذا الحب في ثنايا شعره ٠ ولا عجب في ذلك فهو من الشعراء الذين يصدق القول فيهم أنهم أكثر الناس إحساسا بالواقع ، وأدقهم رؤية ثاقبة لما يحيط بهم ، وأوفرهم حظا في استشراف آفاق المستقبل ، وأقدرهم على تصوير الأحداث ٠ فهم مرآة العصر ، ولسان حال الجماهير في نقل معاناتها بكل صدق وأمانة ٠

ولأن شاعرنا يمتلك تلك المقومات ، فقد كانت قصائده تبلغ الأسماع ، وتلقى صدى لها في نفوس المستمعين والقراء وكأنها ترجمان لمشاعرهم وأحاسيسهم ٠

وكانت عمان بكل ما تمتلكه من إرث حضاري أصيل ، وتاريخ عريق مضمخ بأريج البطولة والفداء ، حاضرة في ضمير الشاعر ، وشاخصة في معظم قصائده ، يتحدث عنها بلسان صدق ، وكأنه شاهد عيان لمس عن كثب كل ما عانته عبر العصور ، وكل ما اختزنته ذاكرتها المتوقدة من إبداع خلاق ، وكنوز في مجال المعرفة والفكر ، ودروس في الشجاعة والإقدام ، فكان ذلك في مجموعه، وبكل جزئياته ، يشكل صورة فريدة يحلم بها الشاعر ، ويدعو قراءه ومستمعيه إلى الطواف في تفاصيل ذلك الحلم الجميل ٠

ولأنه كذلك ، يسعى بكل ما أوتي من قدرة على النظم للتغني بهذا الحب، أطلق عليه أحد النقاد لقب " عاشق عمان "(١) وتلك حقيقة نلمسها بجلاء في قصيدته " عمان المفاخر " والتي يقول فيها :

سواك سلونا لو علا النجم والبدرا فإنك مجد الدهر والفوز بالأخرى
رضعنا لبان المجد منك على القنا وطلنا على العليا وكنا لها الفخرا
بلادي لا أدري بماذا أجيبهـــا إذا ساءلتني من صحائفها نشـــرا
أنرضى لها هذي النجوم قلائـــدا ولو شئتها تعدادها لا يفي قـــدرا (٢)

إلى أن نصل معه إلى عنفوان هذا الإفتخار وهذا الحب متمثلا بقولـــه :

---

٠١ انظر مقدمة ديوان الشاعر " الى أيكة الملتقى " ص ١٠ ٠
٠٢ (أبوسرور) الديوان المخطوط ، الوطنيات ، ص ١٨ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بلادي لن ننساك قلبا وصارمـا بأرواحنا نفديك يا أمنابـــــــرا
وشعري لا يسلوك يادار عزتي على كبدي مازلت ساكنة قصـــرا
بلادي أم الماجدين وتاجهـــم أذاقت قنا كسرى منا ضلها كسرا (١)

ولعلنا نلحظ من خلال النماذج المختارة مقدار ما تثيره أبيات الشاعر من حماسة وتفاعل ، فتأخذ دورها كاملا في تأجيج المشاعر وخلق حالة من الإنسجام والتفاهم بين صوت الشاعر ومسامع الجمهور ، فحين يعلو صوته متحدثا عن مجد عمان وتاريخها المشرق ، وإرثها الغني بصنوف المعرفة وملاحم الجهاد ، يقول :

تاريخ مجدك يا عمان مجيـــد أنت العلا والكائنات شهـــود
صفحات مجدك لوكتبنا بعضها نفد المداد ومالهن نفـــــود (٢)

إلى أن يقول :

هذي عمان وهاهـــم أبطالها سلفا وفي الخلف الجديد جديـد
شم الأنوف شباب مجد شامخ بهم تصول عماننا وتســـود
وبهم سنبني ما بنى آباؤنـــا ونشيد مجدا أسسته جـــدود (٣)

ولأن مهمة الشاعر كبيرة ، ولأنه يحاول دائما أن يبعث بروح التفاؤل في النفوس التواقة إلى مستقبل وضاء ، نراه يستشرف تلك الآفاق في محاولة لإيجاد أسباب التوافق بين ماض مجيد ، ومستقبل يأمل أن يكون مشرقا ، فيه شيء من ملامح ذلك الماضي الذي امتد وهجه إلى هذه الأيام ... الشاعر يأمل بإحداث تواصل بين الماضي والحاضر ... وهو يأمل أيضا ببناء شامخ وصرح منيف كصرح الأجداد الذين أغنوا مسيرة الإبداع بذلك الكم الهائل من العطاء حين يخاطب الجمهور قائلا :

فيا شعب الإباء بني عمان بكم مجد الأوائل نستجـد
بكم نبني لحاضرنا ونبنـي تفوقنا على الأقران يبـدو (٤)

ويؤكد ذلك التواصل في العطاء بقوله :

على الحق نبني ما يشاء لك المجد فليس بنا هزل ولا خاننا جـــد
سنبني لك الأعلام والعز والهـدى كما قد بنى آباؤنا السادة والأسد (٥)

---

١. (أبوسرور) الديوان المخطوط ، الوطنيات ، ص ١٩ .
٢. (أبوسرور) ديوان : الى أيكة الملتقى ، ص ٣٩ .
٣. المصدر السابق ، ص ٤٠ .
٤. (أبوسرور) الديوان المخطوط ، الوطنيات ، ص ٣٠ .
٥. المصدر السابق ، ص ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ٢ -

وقصائده الوطنية لا سيما قصيدته الطويلة " عمان الماضي " تدل على جهد ومقدرة في الغوص في أعماق التاريخ واستلهام العبرمنه ، وإن تشعبت موضوعات هذه القصيدة ، فأخذت القارىء عبر زمان طويل ممتد لقرون عدة منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، وعبر مكان يصل إلى تخوم أفريقيا حيث الإمبراطورية العمانية . رغبة منه في الوصول إلى وجدان الأمة ، فيتوسل إلى ذلك بتوظيف مقومات تراثها ، لما يشكله من تأثير في نفوسهم لارتباط هذا التراث بما فيه من قيم روحية وفكرية ، وبما يحمله من إيحاءات يلقي بها في وجدان السامع والقارىء حين يستدعي التراث ببعده الحضاري ، من خلال نماذج تراثية يلجأ اليها الشاعر ، فيعبر من خلالها ، مستخدما شخصيات هذا التراث وأحداثه ، وإن جاءت في أسلوب تقليدي ، في حنين واضح إلى تلك العصور ومعطياتها .

ولم تكن قصيدة الشاعر هذه تسجيلا وقائعيا لأحداث وقعت مرتبة وفق زمان حدوثها كما يفعل المؤرخون ، وإنما ينتقي من الوقائع ما يؤدي دورا تعبويا، ويثير في النفس الفخر ، قائلا :

سائل فديتك عنا في مواضينـــا تلف الحقائق أمجادا لماضينـــا
سائل ترى ورقات المجد ما كتبت كمثل ما كتبت عن مجد عالينا (١)

فالسؤال إذن ذو صلة بالبطولات ، وقد صور لنا في هذه القصيدة - وهو يصدر عن عاطفة وطنية - أمجاد العمانيين وبطولاتهم ، وجاء فخره بوطنه على لسان الجميع ، حيث يلح على المشاركة ليستميل الوجدان ويستثير الأشجان ، فيقول :

عمان إن فخرت يوما وإن ذكرت تاريخها أخرست لسن المعادينا
كنا ملوكا لنا الأجيال ساجـــدة قبل النبي على الدنيا أساطينـــا (٢)

---

١. (أبوسرور) ديوان ، الى أيكة الملتقى ، ص ٣٥ .
٢. المصدر السابق ، ص ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنه ينسج هنا تاريخ بلده فيحوله إلى شعر مفعم بالأحاسيس المليئة بالفخر الذي يزدهي به الشاعر ، فيعيش في جو من الحنين إلى هذا التاريخ الذي يعج بالقوة والمنعة التي انتهت به إلى القول مزهوا :

كأنما الموت لم يكتب على أحد ... إلا بحد المنايا من مواضينا
إذا غضبنا رأيت الدهر في فزع ... وإن رضينا فما أحلى مراضينا
فالناس رهن مواضينا وإن شمخوا ... أنفا حصدناهم بالسيف مفنينا(١)

إن الشاعر هنا يعيش على أمجاد الماضي متشبثا به في محاولة منه للهروب من الحاضر بانكساراته وواقعه .

وقد استثمر الشاعر سبق أهل عمان إلى الإسلام ودخولهم فيه استجابة طبيعية دون حرب ولا إكراه ، مشيرا إلى شخصية مازن بن غضوبه لكونه أول من دخل الإسلام من أهل عمان ، فيقول :

نحن الذين أتينا المصطفى شرفا ... في ركب مازن والإيمان يحدونا
نلنا الهدى وثناء المصطفى فعلت ... قناتنا بثناء المصطفى فينا (٢)

إن الشاعريتغنى بعمان من خلال استدعاء تاريخها المشرق ، ليثبت استحقاقها لنيل الشرف في بلوغ تلك المنزلة ، ويتعمق في ذلك قائلا :

فلقد علقنا الدين دون مهند ... وله سعينا والطريق بعيد (٣)

وعليهم بالتالي أيضا أن يحافظوا على هذا الشرف بمداومة الامتثال لهذا الدين والمحافظة على أوامره حين يخاطبهم قائلا لهم " من قصيدة أخرى " :

فكنا إلى الإسلام أول داخل ... أنمسي عن الإسلام أول ناكل
علينا عهود الله نحمى عريننا ... وشرعتنا السمحا بسمر عواسل (٤)

ولا يفوته بعد ذلك في قصيدته أن ينوه بسبق العمانين وتألقهم في الفكر والخطابة والشعر ، ومشاركتهم في بناء الحضارة الإسلامية ، من مثل قوله :

ونحن رواد فكر عن منابعنا ... تدفق العلم فياضا بوادينا
شدنا الحضارة في الدنيا على شرف ... وفي عمان ودنا الهند والصينا

---

١. (أبوسرور) ديوان : إلى أيكة الملتقى ، ص ٣٥ .
٢. المصدر السابق ، ص ٣٥ .
٣. المصدر السابق ، ص ٣٩ .
٤. (أبوسرور) ديوان : باقات الأدب ، ص ٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونحن أخطب من فوق الصعيد مشى فاسمع لمصقلة أو ابنه فينـــا
ونحن للشعر تيجان وألويـــــة من ذا يناظرنا من ذا يجارينا(١)

ثم يمضي الشاعر بعد ذلك مسجلا أمجاد عمان عبر الأجيال ، في إطار منهج التزمت به ، فنجحت عندما أخذت به سلوكا عمليا وهو القرآن والسنة ، وأرست نماذج من النظم السياسية التي نالت نصيبها من النجاح والتفوق . وهنا تتوافق عند الشاعر العاطفة الحماسية مع العاطفة الدينية ، فالدين والعاطفة تؤمان متلازمان في حس الشاعر الوطني ، يقول :

نمشي على نظم القرآن يصحبنا هدي النبوة أبطالا ميامينـــا
هذا الجلندى إمام قاد دولتنـــا ميمونة تحت شرع الله ميمونا (٢) *

وهنا يقترن فخر الشاعر بوطنه في الإشادة بالشخصيات التي كان لها دور كبير في بناء هذا الوطن وإعلاء شأنه كما ورد قبلا ، وكما في قوله :

ومن كيعرب فاقوا كل ذي مثل ســـادوا فشـــادوا وزادوا المجـــد تدوينـــا
هم الألى دوخوا الدنيا كما هويـــت بيض السيوف على رغم المعادينـــا
لو لم يكن غير قيد الأرض قائدنـــا من يعرب لكفى فخرا لماضينا(٣) **

ويستحضر المكان ، بعد أن يجعله يتجاوز حدوده الجغرافية ، فيفخر به ويحاوره ، ويذكر مجده ومساهمته التاريخية ، كل ذلك يذكره ممزوجا بعاطفته تجاه ذلك المكان ، الذي يمثل في النهاية رمزا من رموز الوطن أو دالة عليه فيقول :

وانظر مراكزنا اللاتي بها انطلقـــت أبطالنا لذرى العلياء بانينـــا
هذي " صحار" على خط البحار لهـــا أمر السيادة مجدا بالظباصينا***

---

١. (أبوسرور) ديوان : الى أيكة الملتقى . ص ٣٥ ، ٣٦ .
٢. المصدر السابق . ص ٣٦ .
٣. المصدر السابق . ص ٣٧ .

* هو الإمام الجلندى بن مسعود بن جيفر – أول الأئمة العمانيين فـــي بداية القرن الثاني للهجرة ، انظر ، السالمي : تحفة الأعيان – ط ١ ، ص ٨٨ .

** قيد الأرض هو الإمام سيف بن سلطان اليعربي أحد الأئمة اليعاربة العظـــام بويـــع بالإمامة عام ١١٠٤هـ ، السالمي تحفة الأعيان ، ج ٢ ، ص ٩٧ – ١٠١ .

*** صحار : هي البلدة القديمة ، والعاصمة العظيمة قبل الإسلام ، تقع على ساحل خليـــج عمان ، استقبل فيها رسول رسول اللـــه صلـــى اللـــه عليه وسلم ، اهتمت بها الحكومة الحالية في عمـــان فقامت بتطويرها ، انظر سالم بن حمود السيابي ، العنوان – ٥٣ – بدون تاريخ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه " مسقط " قامت دعائمهـــــا على السماكين لا ترضى لها الدونـا*
وليس ننسى" لصور " ما بنته لنـــا في سالف الدهر أمجادا عناوينـا**
وقد بنينا على لبنان " صور" علـى ياصور لبنان بالعلياء حيينـــــا
وقد ركبنا عباب البحر نمخـــره لنحو أفريقيا للـــه داعينـــــا
تسعون مع مائتين مدفعا ضربـــت " ممباسة " وبها صارت بأيدينـــا
وكلوة برجال الله كيل لهـــــا صاع المعارك فانصاعت تلبينـا(١)

والشاعر بعد ذلك لا ينسى ما للقلاع والحصون والأبراج العمانية من القيمة في درء الخطر عن البلاد ، ودحض العدو ومقاتلة الغزاة ، وقد شبهها الشاعر بالمعاهد القائمة على دعائم الهدى ، لتروي للحاضر أمجاد الماضين ، فهي شاهد عيان على المجد التليد ، بما تشكله من مواقف خالدة وصور حية ، تروي للأجيال عظمة التاريخ العماني ، يقول :

وسائل الدهر عن " نزوى " وقلعتهـا وصافح المجد مزهوا بجبرينـــا ***
والحزم قلعة عزم ما وهت أبـــدا يوما لدهروكم أفنت فراعينـــا
معاهد بالهدى قامت دعائمهـــــا فعز حاضرنا فيها وماضينـــا (٢)

---

١. (أبوسرور) ديوان : الى أيكة الملتقى ، ص ٣٦ ، ٣٧ .
٢. (أبوسرور) الديوان المخطوط ، الوطنيات ص ١٥ .

* مسقط – مدينة تقع بين جبال تحيط بها ، وهي العاصمة الحالية لعمان ، السيابي ، العنوان ص ٥١ .

** صور : من أمهات القطر العماني ، تقع على ساحل بحر العرب ، اشتهر أهلها بصناعة السفن وركوب البحر ، وهي من أعمر بلدان الساحل الشرقي من عمان ، انظر السيابي ، العنوان ، ص ٥٥ .

*** نزوى : هي العاصمة القديمة للإمامة العمانية ، وإحدى أعظم المراكز العمانية في الداخل ، بها قلعة نزوى التاريخية المشهورة ، والتي هي شاهد عيان على عظمة التاريخ العماني إلى اليوم ، بنيت في القرن الثاني عشر الهجري ، تقع على سفوح الجبل الأخضر من الجنوب ، اهتمت بها الدولة فبنت بها سوقا يعد من المباني التراثية المعروفة على مستوى العالم العربي، وتعد نزوى اليوم عاصمة المنطقة الداخلية ، انظر – العنوان – للسيابي ، ص ٦٣ –٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقلعة " نزوى " و"الحزم " وحصن جبرين " أمثلة ذكرها للقلاع العمانية ، وإلا فالقلاع والحصون العمانية أكثر من تحصر في قصيدة ، حيث تنتشر في جميع مدن عمان وقراها التي يربو عددها على خمسمائة قلعة وحصن (١) فقلعة نزوى التاريخية حصن شامخ يروى للأجيال عبق التاريخ العماني فهي مركز الإمامة وعاصمة عمان التراثية ، وحصن جبرين يمتاز بروعة بنائه وجمال هندسته وضخامة حجمه وقوة إحكامه ٠ وهنا نستعيد ما قاله الشاعر في قصيدة أخرى حيث يقول :

فلا تفاخرنا مصر إذا ذكرت أهرامها وذكرنا برج طسينا (٢) *

لماذا ؟ مع أن أهرامات مصر في الحقيقة أعظم وأحكم ، إنه هنا لم ينظر إليها لعظمة بنائها ، وإتقان إحكامها ، وإنما نظر إلى مهمة كل منها ، فأهرامات مصر قبور للفراعنة ، بينما القلاع العمانية مهمتها كما يقول :

قلاعنا بنيت للمجد معلية للدين ناصرة لله تحدونا
ماذى القلاع التي قامت دعائمها على السماكين إلا فخر ماضينا
شدنا قلاعك لا من عزم واهية لكن بنينا على هامات عاصينا (٣)

إن تربية الشاعر الدينية وعمق إيمانه ، تدخل في هذه القصيدة ، فرجح كفة القلاع العمانية على الأهرامات المصرية والتي لا يشك أحد في تفوقها التاريخي على القلاع ٠

ونجد في حس الشاعر الوطني اهتماما بجيل الشباب ، لإيمانه بدوره في رفعة شأن الوطن ، والسعي إلى استقلال إرادته السياسية والاقتصادية ٠ فاتجه صوب هذه الفئة ، بعبئها بالمبادىء الوطنية ، ويسلحها بالقيم الأخلاقية ، وقد نظم في هذا الإطار عددا من القصائد التي يخاطب فيها الشباب ، ويوجههم توجيه المربي الذي يتطلع إلى المثل السامية والقيم النبيلة ، النابعة من أصالة هذه الأمة ٠

---

١٠ صادق يلي ، ٥٠٠ قلعة وحصن ثروي التاريخ في سلطنة عمان ، مجلة العربي الكويتية ، ع ٢٨٠ ، مارس ، ١٩٨٢ م ٠

٢٠ (أبوسرور) الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ٤٤ ٠

٣٠ المصدر السابق ، ص ٤٤ ٠

* برج طسين : هو برج صغير يقع بالقرب من بيت الشاعر بمحلة القديمة ، من علاية سمائل ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كانت الأحداث المتعاقبة في التاريخ العماني ، وتلاحم العمانيين وبطولاتهم التي بقيت شاهدا" على صمودهم وإقدامهم ،ونشاطهم الاقتصادي والسياسي والعسكري ، عبر بحر العرب وشرق أفريقيا ، كل ذلك شكل مصدر ثرا يستوحي منه الشاعر موضوعاته الوطنية في خطابه الشعري ، لإشعال جذوة الغيرة على الوطن وأهله ، مثل قوله :

سلوا التاريخ عنا يا بنينا ... ترونا قد رفعنا كل بند
وزلزلنا الزمان كما هوينا ... وشيبنا الرضيع بكل مهد
إذا ضحكت أسنتنا بشرق ... رأيت الغرب في فزع وجهد
ركبنا البحر يمخر بالمنايا ... وسدنا البر تحت هدى ومجد (١)

فالشاعر يدعو هنا الشباب وأبناء الوطن إلى استنطاق التاريخ وسؤاله كيف كانت بلادهم ، وكيف كان أجدادهم يركبون البحار ويجوبون البراري .

ولعل في قول الشاعر " إذا ضحكت أسنتنا بشرق " مبالغة في الأسلوب ، قد يكون ذلك ، ولكن الواقع التاريخي يبقي فيصلا في هذه المسألة ، حيث يذكر المؤرخون أن اليعاربة في عمان استطاعوا بجهودهم الذاتية ، إقصاء الغرب ومطاردته وبالذات البرتغاليين الذين لاحقهم اليعاربة في جميع مستعمراتهم ، بعد أن أجلوهم من السواحل العمانية ، وإتابعوهم إلى شرق أفريقيا فأبعدوهم عنها (٢)

وهو عندما يلجأ إلى ماضي الأمة المشرق ، يهدف من وراء ذلك إلى تأصيل الشخصية الوطنية وتذكيرها بما كان لهذه الأمة من مجد ودور رائد ، ولأجل استيحاء العبرة ، فيدعو الشباب إلى ذلك ، لعلهم يستطعيون اقتفاء أثرهم ، وقبل ذلك علهم أن يدركوا أن سلف الأمة لم يصلوا إلى ما وصلوا اليه بالسهولة والهوينا ، وإنما ركبوا في سبيل ذلك المخاطر واقتحموا الصعاب ، يقول :

ومن يدع للعليا تجبه سراتها ... ودون العلى زرق القنا والقنابل
ودون العلى كأس المنايا يسيغه ... كرام المساعي تحت ظل القساطل (٣)

---

١. (أبوسرور) الديوان المخطوط ،قسم الاجتماعيات ، ص ٧ .
٢. انظر: عائشة على السيار ، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا ، دار القدس ، بيروت ط١ / ١٩٧٥م ، ص ٧٨ ، ٧٩ .
٣. (أبوسرور) ديوان ، باقات الأدب ، ص ٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مستثيرا في الشباب النخوة ، مبينا لهم حال من يطلب المجد ، وصفات الحر الذي لا يرضى بالعيش في ذل ومهانة ، مشيرا إلى ما كانت تتعرض له عمان وقتها من ثورة لم يكن شاعرنا يتوافق مع " أيديولوجيتها "، فيقول :

بني المجد هل يرضى أخو المجد والعلى ... دنيا وإن الدون شـــأن الأراذل
أحر فتى لا يشرب الموت سلســـــلا ... ولا يسقي دهـــر السؤمر النوازل
ومن ذا الذي يرضى الحياة وحولـــــه ... كريمته بين الأذى والرانئـــــل
أيسطو الشيوعيون فينـا بكيدهـــــم ... ونحن رجال الله أسد التقاتـــل (١)

- ٣ -

وحب الوطن لا ينحصر دائما في العواطف والأحاسيس وبث الشوق ، بل يتحول الشاعر أحيانا إلى داعية من أجل بناء الوطن والدفاع عنه ، وإعداد المجتمع إعدادا ينهض بمسئولياته التاريخية ، وترسيخ القيم الأساسية التي تؤدي إلى التقدم . لذلك نجد الشاعر يحث الشباب والعمانيين جميعا فيقول :

عمان استعدي إنما المجد والعلـى ... بأيديك رغم الحادثات المعاضل
عمان على شرق البلاد وغربها ... أبيحي دماء المعتدين وناضلـي
عمان أقيمي دولة يعربيـــــة ... على منهج القرآن عذب المناهل (٢)

ومن بين ما يوجه إليه الأنظار هو الإفادة من التراث ، وتحويله إلى مادة فاعلة في الحياة ، وليس التعامل معه تعاملا سكونيا من خلال تمجيده فقط حين يقول :

تعالوا تعالوا هلموا بنـــا ... شبابا وشيبا وأشبال غيـــل
فندرس تاريخ آبائنـــــا ... بعزم قوي وسيف صقيـــل
نلقن أعداءنا في الوغـى ... أهم الدورس بهم طويـــل (٣)

ولم تقتصر دعوته للشباب من خلال الإتكاء على الماضي فقط ، بل إن الشاعر اتجه في حديثه إليهم داعيا إياهم إلى التزود بالمعارف العلميـة ، نظرا لما تشكله من أهمية في حياة الشعوب ، لذلك فهو يشيد بالعلم ويدعو إلى طلبه لكونه وسيلة لاسترجاع الفائت من المجد ، يقول :

---

١. (أبوسرور) ديوان : باقات الأدب ، ص ٥٣ .
٢. المصدر السابق ، ص ٥٣ .
٣. المصدر السابق ، ص ٢١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألا يا طامحا نحو المعالـــــــــي ورفع المستوى الوطني مجـــد
سبيلك للتقدم والمعالـــــــــي سبيل العلم منهجـك الأســـــد
ترى الأيام تأتي كل يـــــــوم بمخترع جديد لا يحـــــــــد
ترى الغواص تحت البحر يجـري وصاروخ الفضا للبدر يعـــدو
فما بال الشباب بني عمـــــــان تثاقل ماله أخـــــــذ ورد (١)

ويركز على هذه المسألة داعيا الشباب إلى طلب العلوم المختلفة ، وموضحا لهم عاقبة الجهل ، فيقول :

أغير العلم يبني كل مجـــــد ويقصم كل جبار وضـــــد
أغير العلم حقق للأمانـــــي وحاز تفوقا رغم الألـــــد
إذا ما الجهل خيم في كـــرام تجدهم راكعين ركوع عبـد
أيرضى الحر أن يحيى وضيعا يسام الخسف في غورونجد (٢)

ومن هنا فإن الشاعر يرى محاربة العدو بنفس السلاح وهو العلم ، ويراوح خطابه للشباب بين التوبيخ والعتاب والثناء والإثارة ، رغبة في وخز ضمائر الشباب واستثارتها ، ليلهب في نفوسهم الحماسة مثل قوله أيضا :

عار على المجد والدنيا نرى أمما كانوا لنا تبعا تغدو لنا كولـي (٣)

ويخاطبهم أيضا ملحا على استخدام " هيا " ومركزا على لفظة " أقلامنا " التي تكررت دلالة على أهمية ما ترمز إليه ، فيقول :

هيا بنا يا شباب المجد في أمـــم فانتمو أهله الغالون كل علـــي
هيا بنا نقتني شتى خزائننـــــا نحمي حمانا ونبني أكبر الـــدول
هيا بنا فالقوى أضحت مدارسنـــا أقلامنا الدين والدنيا بلا جـــدل
أقلامنا ثروة أقلامنـــــــا دول أقلامنا مدفع المظلوم إن تســـل
في البحر غواصة في الجو طائرة في البر دبابة في البنك كنز ملي (٤)

وأخيرا فإن الشاعر يتحسر لما يشاهده من تهافت قسم من الشباب على الملذات ،دون أن يقوموا بواجباتهم، فيحمسهم ويدعوهم إلى اليقظة ، قائلا:

---

١. (أبوسرور) ديوان : باقات الأدب ، ص ٩٧ .
٢. (أبوسرور) الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ٦ .
٣. (أبوسرور) ديوان باقات الأدب ، ص ١٧٢ .
٤. المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فوا ألمي وجدت شباب قومي وقد صرعوا بخاصرة وجيد
فإن كان الشباب كمثل هذا فلا تأمل مقاتلة اليهود
تيقظ أيها البطل المرجى لميراث الشهامة والورود
فلا أرجو تقول لي الليالي بأنك غير قسورة الجنود
تقود كتائب الهيجا جهادا لنصر الدين والوطن المجيد (١)

وما عرضناه هنا هو فيض مما جادت به قريحة أبي سرور في دعوته للشباب العماني إلى النهوض وحمل راية التقدم ، كونهم رجال الغدو بناة المستقبل. ولنا في العديد من قصائده خير شاهد على ذلك .

---

١. (أبوسرور) ديوان : باقات الأدب ، ص ، ١٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سمائل في شعـــــره

لسمائل مسقط رأس الشاعر موقع أثير في قلبه ، فهو حين يتذكر ملاعب الصبا ومجمع الصحاب وموئل الذكريات وشذا الأتراب ، يأخذه حنين دائم إلى تلك الربوع وأيامها الماضية ، فيغني لها بصوت متهدج أجمل الأغنيات . ولعلها تود من شاعرنا أكثر من ذلك ، لذا نراها تتجاوز حدودها الجغرافية لتغدو عمان برمتها ، عند ذلك تأخذ سمائل بعداً خاصا حين ، أصبحت تشكل عند أبي سرور رمزا من رموز المحبة لهذا الوطن ، بحيث إذا ذكر الشاعر سمائل ، وتغنى بجمالها وشخوصها وتراثها ، وقلاعها وأبراجها ، وقراها وأعلامها ، فإنه يصدر بالإضافة إلى حسه الذوقي والفني ، عن عاطفة وطنية جعلته ينظر إلى سمائل بكل ما فيها نظرة إعزاز وإكبار .

فسمائل جنة الدنيا وترياق الهوى ومنبع الجود ، أسرته بحبها ، وهي أحلى بقاع الدنيا ، يقول :

حبي سمائل دون شك أومـــرا ... هو آسري وسواه ليـــــس أروم
هي جنة الدنيا وترياق الهـوى ... برئ السليم بها وهام سليـــــم (١) *

وقوله: فهوى سمائل ما برحت بحبـه ... ثملا وشاهد ما أقول نماقـــــي (٢)**

ويقول :

سمائل يا جنة الكائنـــــا ... ت على حسنها سجد العاشقون
وغنت بها شعراء الوجـــو ... د ومن في الوجود بها يفتنـون (٣)

فهي فريدة الكون ، ليس لها شبيه في تاريخها وجمالها ، وفوق كل ذلك ، فهي عين الدهر التي لا تنام ، يقول :

---

١. (أبوسرور) باقات الأدب ، ص ٧٩ .
٢. المصدر السابق ، ص ٦٠ .
٣. المصدر السابق ، ص ٧٧ .

* السليم الأولى تعني اللديغ ، وإنما ذلك على التفاؤل لـه بها خلافا لما يحذرعليه ، أما السليم الثانية في قافية البيت فإنها تعني : الصحيح السالم ، انظر، ابن منظور – لسان العرب ، مجلد ١٢ ص ٢٩٢ . مادة (سلم) .

** نمق الكتاب ينمقه ، بالضم ، نمقاً : كتبه ، ونمقه : حسنه وجوده ، ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ١٠ ، ص ٣٦١ مادة (نمق) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهل لنا كسمائيل الوفـــا أبـــدا في الكائنات محال من نواحيهـــا
روح المعالي وعين الدهر شاهدة سمائل والهدى من نبع واديهـــا (١)

وكثرة تجوال الشاعر ورحلاته جعلته يدرك مواطن الجمال في بلده ، ولذلك فإن وصفه لها كان صادرا عن معاناة وشوق ، إذ شكلت عنده النافذة التي يرى الشاعر من خلالها عمان ، يقول :

ومن يغترب عن داره لسمائـــل فما بغريب فهي دار الوفا المرسي
فمن أي فج جئت تلقى بها العلـــى وتلقى بها النعماء في مجتلى الأنس
تغني لك الأطيار من فوق دوحهـا فتسبيك سبي العامرية مـن قيـــس(٢)

وحين ذهب الشاعر مسترسلا في إضاءة بعض الجوانب الجمالية في مدينته فإنه أراد أن يبرز لنا الجوانب المضيئة فيها ، بما يتناسب مع نسغ القصيدة والحالة الشعورية التي كان الشاعر يعيش أجواءها ،وكأنه قد انتقى المواطن الجميلة التي تفاعلت معها نفسه فعاش في أجواء ذكرياته فيها .

ومثلت الشخوص التاريخية أو الماضي بأحداثه وشواهده وأعلامه جانبا" مهما في تشكيل البعد الجمالي لمدينته سمائل ، فيغوص الشاعر في أعماق التاريخ وذاكرة الزمن ليبرز ، لنا أهم الشخصيات التاريخية والأدبية والعلمية التي أنجبتها سمائل ، فهي مدينة ولود قادرة على العطاء المستمر كقوله :

سمائل تنبت الأعلام ما برحت ميمونة تنجب الأبنا ميامينـــا (٣)

وكذلك قوله :

فمن تكن داره الفيحا ولم تره قاد المحامد عارا ينتمي فينـا (٤)

وللأحياء التي نشأ الشاعر في ظلالها ، وشهدت بواكير نتاجه حظ وفير من حبه ، حيث نظم عددا من قصائده ، متحدثا فيها عن " طيبة " * و " البستان " بكثير من

---

١. (أبوسرور) باقات الأدب ، ص ٢٢ .
٢. المصدر السابق ، ص ٩٢ .
٣. (أبوسرور) الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ٤٥ .
٤. المصدر السابق ، ص ٩٢ .

* طيبة * والبستان ،أسماء بساتين ترعرع فيه الشاعر وشب،تقع بالقرب من المحلة التي كان يسكن فيها وهي محلة " القديمة " من علاية سمائل ، وهي المحلة التي ذكرها الخليلي في ديوانه ، انظر عبدالله بن علي الخليلي ، وحي العبقرية ، مطابع سجل العرب ، ١٩٧٨م . ص ٣٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الود والشوق ، فهو من خلالها كأنه يقرأ دفتر طفولته ومسرح حياته الأولى ٠ ومن هنا تشكلت العلاقة الحميمة بينه وبين مدينته بأحيائها ونخيلها ورجالها ونسائها وكل شيء على ترابها ، يقول :

فيا أزاهير " بالبستان " ناعسة ... منك الأمان لأحباب أناجيهـا
إني أوجه طيفا من هواي لها ... يدري لبانات أشواقي فيوحيها (١)

كما يذكر اسم الحقل الذي تربى فيه وسكن واسمه " طيبة " فيقول :

يا طيف عفوا على اسم الله سر سحرا ... لنحو " طيبة" واستأذن فواغيها(٢)

وقد يتوغل في التخصيص حين يذكر الشجرة التي يستظل بأفيائها داخل البستان :

يا بلبل الأيك رسول المشوق ... حييت بالزهد وكأس الرحيق
رتل على " الأمباة " من طيبة ... أنغام شوقي بغناء رقيق (٣)

ولا شك أن اضطرام الشوق في نفسه هو الذي دفعه لمناجاة النسيم أو الطيف ، عله يحمل بريده إلى الأحبة يوم كان مقيما في دمشق بعيدا عن الأهل والوطن ، يقول :

يا طيف أنت بريدي بعدما عدمت ... صبابتي مهجا كانت تلبيها
ياطيف حي من الفيحا أعاليها ... حي الرياض وحي لي فواغيها (٤)

وقوله :

ما إن جرت ذكرى سمائل في الحشا ... إلا وفاض على الخدود حميم
بالله يا نسمات وادي سمائل ... وادى المنى بالعاشقين رحيم
هلا دريت بلوعتي وصبابتي ... وعرفت حالي والخلي نؤوم(٥)

وغربة الشاعر ، وهو بعيد عن وطنه ، أججت فيه مشاعر الحنين واللوعة فهو إن ابتعد عن عمان فقد ابتعد بجسمه ، أما روحه والفؤاد فهما عالقان بتلك الربوع ، يقول :

يا أسرة العلم والعليا إلام أنا ... بسوريا نازح عنكم بواديها
مفرق بين جسمي والهوى زمن ... رفاع خفض وخفاض لعاليها
جسمي بمرج عفيف دون عافية ... والروح عندكم تكلى أعانيها (٦)

إذن أجواء الغربة مهدت السبيل لأبي سرور ، ليغترف من روافدها أعذب الشعر ، فجاءت أشواقه من بلاد الغربة محملة بأريج المودة وصدق العاطفة ٠

---

١٠ (أبوسرور) ديوان باقات الأدب ، ص ٢٢ ٠
٢٠ المصدر السابق ، ص ٢٣ ٠
٣٠ المصدر السابق ، ص ٢٩ ٠
٤٠ المصدر السابق ، ص ٢٠ ٠
٥٠ المصدر السابق ، ص ٧٩ ٠
٦٠ المصدر السابق ، ص ٢٤ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأناشيد الوطنيـــة

ونجد لشاعرنا عددا وافرا من الأناشيد الوطنية تبعث في النفس العزيمة وتغرس العواطف الوطنية ، أراد منها الشاعر بث الحماسة فـي النفوس ، وإلهاب المشاعر بما تحققه كلماته من فاعلية في النفس ، وبما تحمله هذه الأناشيد من قوة إيقاعية معبرة حين تؤدى بصوت جماعي . ولا يكتفي الشاعر بذلك ، بل يقوم أحيانا بتلحين هذه الأناشيد ، بطريقة تقليدية ، محاولا في ذلك إيجاد سبل أخرى للتواصل والتخاطب والتفاعل مع مستمعيه . ولأنه يدرك أن مهمة الشاعر أوسع من مجرد النظم ، بل تقع عليه مسؤولية التوجيه والإرشاد حسب تعبيره :

شعري على جيد المدارس لم يزل عقدا لنيل العلم والارشـــاد (١)

ويرى أن مهمة الشعر :

فالشعر سام وأحكام وعاطفـــة وحكمة وإباء حقق الأربـــا
تذوي الحقول ولا تذوي خمائلـه أن شئتها أرجا أو شئتها شهبا (٢)

وهو فنان و" الفنان " يؤدي وظيفة اجتماعية لا تتحق إلا بـأن يستقبل الجمهور ما أبدع " (٣) .

ولشاعرنا ما يقرب من عشرة أناشيد وطنيـة ؛ تتوزع كلها بين تمجيد الوطن والدعوة للذود عنه بالنفس والنفيس ، والإشادة بأبنائه وبناته ، إذ مجد الوطن لكونه مهد الحضارة والعلم ، وعنوان التضحية والفداء – ولو أخذنا مثالا على ذلك نشيده " بلادي عمان "، نجد أن الشاعر صاغه في أسلوب سهل ، وعبارة جزلة ، تحكم في إشاراتها في عاطفة وطنية صادقة ملؤها الرغبة في استثارة نفوس المتلقين . وقد استهل الشاعر نشيده بكلمة " بلادي " التي كررها أكثر من عشر مرات في ثلاثة مقاطع فقط ، في محاولة للتعبير عن مكانة هذه البلاد في نفسه ، فهي روحه التي لا تكون الحياة إلا بها ، وهي ابنه وهي شيخه الكبير الذي يجب توقيره ، وهي قلعة العز ومنبع الكرامة ، يقول :

بلادي أمي وابني الصغير بلادي روحي وشيخي الكبير
بلادي أم السبيل المنيـــر وقلعة عز ومجد خطيـــــر (٤)
بلادي عمان بلـــــادي عمان

---

١. (أبوسرور) الديوان المخطوط ، الأخوانيات ، ص ١٥ .
٢. (أبوسرور) الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ١١٨ .
٣. عزالدين اسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، ص ٢٢ .
٤. (أبوسرور) ديوان باقات الأدب ، ص ٢٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويؤكد عدم قدرة العدو على تحقيق مراده لما ينتظره من أهوال فيقول :

محال ينال العدو المـــــراد فدون بلادي خرط القتـــاد
وإياك يا من يبث الفســـــاد تحاول تطمع في ذي البلاد (١)
بـــلادي عمـــان بـــــلادي عمان

ثم يخاطب العدو في أنشودته وكأنه يتعجب منه ، لأنه لا يستوعب الدروس ولا يستوحي العبر من التاريخ ، ويذكره كيلا يقع فيما وقع فيه أسلافه في مقاطع عدة من هذا النشيد :

عجيبا تجاهلت تاريخنـــــا وتنسى بوقع القضا درسنـــــا
سطور الإباء سطور الفنـــا أذقناك ذلك تحت القنـــــا
نسيت اليعاربة الماجديـــن وأسطول يحمدنا الباسليـــن
مليك البحار على الأقدميـــن أباد العدو ببطش ثخـــين
أتجهل ذاك عدو الهـــدى أتحسب أنانسينا العـــدى
وأنا نخاف القنا والـــردى ضللت السبيل جهلت المـــدى
فنحن سلالة تلك الجـــدود أسود مغاوير نعم الأســـود (٢)
ورثنا البطولة من عهد هـود فحتى نموت أمام البنـــود

ويذكره بسلسلة الأبطال العمانيين والقادة الفاتحين من اليعاربة الذين دوخو المستعمر البرتغالي وأذاقوه هزيمة منكرة في سوح الوغى وميادين الجهاد . وهكذا يستمد الشاعر في نشيده عاطفة وطنية تلهب المشاعر، وتذكي القرائح ، في مفردات توزعت بين موقع الوطن في النفس وإشارات الى أمجاده ، وتذكير المستعمرين بوقائع سابقة ، ثم استنهاض الهمم . إذ عبر عن هذه الأفكار بلغة طيعة تنفذ إلى الأعماق . ومن أناشيده الوطنية نشيد بعنوان " عمان الكفاح " وآخر بعنوان " العلم سلاح " عبر من خلالهما عن أمجاد عمان وإباء شعبها ، وتغنى بصفاتهم من كرم وشجاعة وفروسية ، داعيا إلى اعتماد العلم سلاحا في مواجهة العدو ، حيث يقول :

نحن أبناء المـــلا نحن أرباب العلى نحن أشبال الوغى نحن مجد عربي
نحن شيبنا الزمان نحن جانبنا الهوان نحن أرباب الطعان سائل الليث الأبي

---

١. (أبوسرور) ديوان باقات الأدب ، ص ٢٢٩ .
٢. المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نحن نبني المكرمات نحن أهل الطائلات نحن نمضى في ثبات للعدو الأجنبي
إنما العلم ســـلاح في أيادينا كفـــاح سوف نبني بالصفاح عرش مجد ذهبي(١)

وأحيانا نرى الشاعر يدعو عمان إلى أن تفخر بتاريخها وتعمل على استرجاع مجدها :

سابقي الكون عمان وافخـــري واستردي فائت المجد الســـري
أنت في التاريخ تاج المفخـــر فافخري طول المدى إن تفخري (٢)

ومن استعراضنا لتلك الأناشيد الوطنية ، نقف على مقدار هيام الشاعر بتصوير بطولات العمانيين وأمجادهم ، وعن وعيه لمهمة الشاعر الأصيل في تأجيج حماسة الأجيال ، وغرس روح المواطنة في نفوسهم ، ليسهموا في إعادة بناء وطنهم .

---

١. (أبوسرور) ديوان : الى أيكة الملتقى ، ص ٤٨ .
٢. (أبوسرور) ديوان : باقات الأدب ، ص ١٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعا" : شعر الرثـــاء

الرثاء أحد أغراض الشعر العربي البارزة التي كان لها حظ موفـور من اهتمام الشعراء العرب عبر عصورهم المختلفة وسبيله " أن يكون ظـاهر التفجـع ، بين الحسرة ، مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام " (١) وهـو تصويـر وجدانـي لحالة الحزن والأسى التي تنتاب الشاعر كلما فقد عزيزا ، ولا يجد ما يعبر فيه عن حزنه وجزعـه غير أبيات من الشعر يذكر فيها محاسن المتوفى ويعدد مآثره وفضله . وهي في كل الأحوال تشكل نوعا من الإخلاص والوفاء لذكرى ذلك العزيز الذي اختطفته يد المنون . والشاعر لا يستطيع إزاء عاطفته المتقدة بالأسى إلا أن يعبر عن هذا الإحساس مصورا الآلام التي اعتملت في وجدانه لفقده عزيـزا له منزلة خاصة في نفسه ، أو لأن الوطـن فقد رجـلا ذا شأن ، فمنيت الأمـة فـي موته بخسارة جسيمة ، لما كان يحظى به من منزلة رفيعة ومكانـة مرموقة جعلتـه أثيرا لدى الناس ، فما إن غادرهم حتى فجعوا بهذا الرحيل .

ولأبي سرور قصائد في رثاء الشخصيات السياسية والعلميـة والأدبيـة ، وفي رثاء الأهل والأصدقاء والمقربين ويمكن لنا أن نقسمه كما يلي :

١. **رثـــاء الأهـــل :**

وممـــن رثاهـــم الشاعـــر هنـــا أمـه وأبـاه وابنـــه " أحمد " وقد بدت لواعـج الحـــزن والنـــوى في رثائه لأمـــه حيث تطالعنا في قصيدته صور الأسى على فراقهـــا ، اذ آفتتـح الشاعـــر مرثيتـه بمطلع يعبر فيه بكل صدق عن عظم الفجيعة وجسامة المصاب على نفسه حيث يقول :

رزئت وهل رزئت بغير كرب وكسر أضالعي وسقام قلبي (٢)

إلى أن يتصاعد عنده صوت الحزن ويبلغ الأسى مداه فيتضـاعف بكـاء الشـاعر ليقول :

أصاب الدهر في سمو فخـري ومأوى رحمتي ورياض حبي
رزئت بفقد أمي خيـــــر أم عرفت على الحياة ولن أحبي
أأنسى فضلك الفياض أمـــي وهل أنسى عظيم نوال ربـــي (٣)

---

١. ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ،ج ٢ ، ص ٨٠٥ .
٢. أبوسرور، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، قسم المراثي ، ص ١٧٧ .
٣. المصدر السابق ، ص١٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تحدث في رثائه لها عن نشأته معها وكأنه ينسج أحداث قصة طفولته نسجا قصصيا ، مبينا حالته من اليتم والفقر ، بدءا بفقد والده وكفالتها له وتعليمه وتنشئته مرورا بحبها ورعايتها له حتى وهو كبير في سنه (١) إذ استعاد في هذه القصيدة الرثائية بعض أحداث طفولته وصباه بما يتلاءم وذكره لفضل أمه عليه ، وتجشمها عناء التربية والتوجيه والإرشاد في مختلف مراحل عمره ، حيث يشير الشاعر إلى ذلك بقوله :

لقد ربيتني يا أم طفـــــــلا أباهي الأغنياء بغير عجـب
إلى أن نلت ما الرحمن أســدى علي وبر جهدك لي يربـــي
فعشت لديك حتى ابيض شعري تراعيني كطفل بين زغـب (٢)

ويتأثر الشاعر بالمعاني الدينية والقيم الإسلامية التي تدعو الإنسان إلى الرضا بقضاء الله وقدره الذي هو أحد مقتضيات الإيمان ، حين يقول :

قضاء الله يا أماه حـــــق بأن يمضى الحبيب عن المحب
قضى الرحمن يفنى كل شيء ويبقى وجهه القدوس ربـــي (٣)

ويؤكد انه سيلجأ إلى الصبر على مصيبته مشيرا إلى أن الحزن والبكاء لا يجدي ، ولكنه عملا بالسنة سيقوم بتفريق الصدقات والدعاء بالمغفرة لها اعترافا بفضلها ووفاء" لها ، وهو أقرب إلى شعر العلماء في طرق تلك المعاني :

سنلجأ للتصبر وهـــو بـرء لقلب المؤمنين بكل خطـب
وميزان الكرام لـدى الرزايا فصبر لا العويل بكل جنب
ولا يشفي الذي قد مات حزن بدا من أهله أو شق قلـب
ولكن وابل الصدقات يشفـي وسيال الدعا من قلب حب (٤)

ولا يفوت الشاعر بعد ذلك أن يعدد مزايا فقيدته ، كرمها وورعها ، حيث كانت ذات برو صلاح وفضل ، عاشت عيشة الصلحاء ، محافظة على الفرائض والنوافل والعلاقات الاجتماعية ، فلم تقطع رحما ، ولم توغر صدرا (٥) .

---

١. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، قسم المراثي ، ص ١٧٨ .
٢. المصدر السابق ، ص ١٨٠ .
٣. المصدر السابق ، ص ١٨٢ .
٤. المصدر السابق ، ص ١٨٣ .
٥. المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا نلاحظ أن مرثية الشاعر لأمه يمكن أن نقسمها الى أربعة أقسام ، في الأول تحدث عن عاطفته المتقدة بالحزن لفقدها ، وأثر هذا المصاب على نفسه ويتجلى ذلك في الأبيات الأربعة الأولى ، في القسم الثاني تحدث عن فضل أمه عليه ، وذلك يأخذ الجانب الأكبر من المرثية أما القسم الثالث فإنه يتحدث فيه عن صبره ، وجلده وما الذي سيفعله برا بها ، والقسم الرابع والأخير ، وصف عام للفقيدة وعرض لخصالها الحميدة ، وفيها نلحظ عزوف الشاعر عن البكاء والعويل، ولجوئه إلى الرضا بحكم الله وقضائه مما يدل أن أثرا لمصاب كان معنويا أكثر منه ماديا عليه .

ويعود الشاعر بعد سنوات لبكائها ، وكأنها فارقته بالأمس ، ففي رسالة وجدانية بعثها إلى زوجه ، يتذكر مرأة أخرى فجيعته بأمه حين يقول :

أتى المنون على أمي فأفجعني ... بفقدها ومصاب الأم ذو لهب
من ذا يعوضني أمي ويؤنسني ... عز المعوض عن أم ولو كأب
أرخى علي الأسى شتى كلاكله ... تهمي علي مآسي الحزن والتعب *
سألت جفني إمساكا لأدمعه ... لكن أبى غير قان منه منسكب (١)

علما بأنه قد مرت فترة طويلة على وفاة أمه ، وكان من المفترض أن تكون قد بردت فيه مسحة الحزن والألم .

وعلى الرغم من فقد الشاعر لأبيه في سن مبكرة ، إلا أنه لم يترك مناسبة إلا وعدد فيها مآثر أبيه وصفاته ، فإذا جادت قريحته بقصيدة في وصف بلده " سمائل " هاجت أشجانه على أبيه فبكاه بلوعة وحزن وراح يذكر ويتذكر ، ما كان يتصف به أبوه من نبوغ وتوقد ذهن ، مشيرا إلى فراقه عنه وهو صغير ، يقول الشاعر :

أبي أبا يوسف خلفتني حرضا ... أبكي عليك رعى المولى مربينا **
قبضت عني في سن قصير مدى ... فعشت بين يتامي الحي مسكينا (٢)

---

١. أبوسرور، الديوان المخطوط ، الغزليات ، ص ١٨١ .
٢. أبوسرور، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ٥٧ .
* الكلكل : الصدر من كل شيء ، وقد استخدمه الشاعر هنا من باب الاستعارة قالت أعرابية ترثي ابنها :

ألقى علي الدهر كلكله ... من ذا يقوم بكلكل الدهر

انظر ، ابن منظور لسان العرب ، مجلد ١١ ، ص ٥٩٧ (مادة كلل) .
** الحِرض الذي أذابه الحزن أو العشق، ابن منظور، لسان العرب، مجلد٧ ص ١٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما رثى أحد أصدقاء والده تفجرت آلامه وتجددت أحزانه ، حين لاحت أمام عينيه ملامح والده الفقيد ، ومما ورد في قصيدته هذه قوله :

يا سيدي يا والدي أنا متعـــب | ببكاء فقدك ساكني وحراكـــــي
قدمت عني فـــي شبابك زاهدا | وتركتني في اليتم والإمســـــاك
طفل صغير لا ريـاش ولا أب | يكوى الأسى لاحيلة لفكاكـــــي
لو خلتني من بعد موتك والدي | حتى رثائك ما برحت بباكـــــي
يا ليت أمي لم تلدني قالهـــا | عمـــر فحسبي قائـــد النســـاك
ماذا أقول لكم جميعا يا أبـــي | والحزن في بحر العزا أفلاكـــي (١)

فكأن هذه المناسبة أعادته إلـى لحظـات المصـاب الأول ، يـوم فقد أبيـه ، فأثـارت مواجعه ، فكانت قصيدة رثاء لوالده وصديق والده في آن معا .

رثـــاء ولده : لا شك أن رثاء الأبناء أبلغ حزنا وأشد حرقـة ، حيث يـذوب الآبـاء أسى ولوعة على فراق فلذات أكبادهم . وتطالعنا في مرثاة أبي سرور لابنه أحمـد الذي فقده في حادث سيارة مفجـع ، وهـو لمـا يـزل فـي ريعـان الشـباب . استهل الشاعر قصيدته بالتعبير عن عجزه كتمان عبراته ، وحبـس دموعـه التـي انهمـرت غزيرة أمام هذا المصـاب الأليـم . والشـاعر المفجـوع لا يجـد رؤيتـه لبقيـة أبنائـه ستخفف من آلامه ، بل على العكس من ذلك فان رؤيته لهم تجدد أحزانه ، يقول :

أعليك لا أبكي وأنـــت سليلـــي | وفلـــــذة أكبادي وحد صقيلـي
أعليك لا أبكي نهاري والدجـى | ألـم يفضح الباكين كبح عويلي
أعليك لا أبكي تراك بصائـري | وعيني لم تبصرك بين نسولـي
أعليك لا أبكي وأنت بمهجتـي | مقيم ولا يعنيك أي رحيـــــل (٢)

إن تكرار عبارة " أعليك لا أبكـي " تؤكـد أن بكـاء الشـاعر علـى ولـده سيتواصل ليله بنهاره . ثم ذهب بعـد ذلك يستعيد تفـاصيل حيـاة فقيـده ويسـترجع شـريط نشـأة ولـده ، فيقلـب صـفحاتـه ليؤبـن كـل صـفحـة فيهـا . وبـالفعل يمضـى الشاعـر في تفصيل مراحل حياة الفقيد ، مشيرا إلـى ذكرياته معه ، منذ كان يحبو ،

---

١. (أبوسرور)،الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، قسم المراثي ، ص ٢١٤ .
٢. (أبوسرور)، قصيدة مخطوطه في رثاء ولده (أحمد) ، ص ١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصورا كيف كانت تطعمه أمه ، وكيف كان يستقبل أباه بالفرحة والسرور ، حينما كان يغيب عنه ساعة وكأنه عام بكامله إلى أن تعلم وكبر ، وكيف كان يعقد عليه الآمال ، كل هذه التفصيلات الدقيقة في القصيدة جاءت في صورة معايشة حقيقية ، ومعاناة فعلية ، فيها من الصدق الفني الذي يعد أساسا متينا من أسس التجربة الشعرية الأصيلة ، صادرة عن شاعر اكتوى بنار الفجيعة ، وذاق مرارة الفقد ، فأكسبه ذلك صدقا في تصوير مشاعره وترجمة أحاسيسه .

وبعد هذه التفصيلات لوقائع حياة الفقيد والرسم المحسوس لنشأته منذ ولادته وإلى أن كبر ، نجد الشاعر يصور لنا لحظات فقده ووداعه ، حينما أصيب في حادث سيارة وبقي في المستشفى وأهله عاكفون حوله ، ليس لهم من حيلة يستطيعون بها إنقاذه أو رد الموت عنه ، سوى دموعهم التي تجري وهم ذاهلون :

بقينا عليه عاكفين ومالنـــــا ... سوى أدمع تجرى ومس ذهول (١)

ويصف لنا الشاعر وقع الخبر على نفسه حينما أعلن الطبيب موت ابنه، وكيفية تصرفه بعد ذلك ، يقول :

فأعلن جهرا بالممات طبيبـــــه ... وداعا بلا رجعى لأي خليل

فكان أشد الرزء عندي ها هنـــا ... ولكن عزمي لم يكن بضئيل

رفضت هنا الإسعاف جهرا لحمله ... وقمت ولا من سائق وزميل(٢)

لاشك أنها لحظة صعبة برهن فيها الشاعر على مقدرته على الصبر والجلد حين أصر على حمل جثمان ولده بنفسه ، في سيارة يقودها وحده ، إلى أن أوصله بنفسه إلى " سمائل " ليجد الناس قد تجمعوا للمشاركة في مواساة الشاعر أحزانه . ويحدثنا عن تفاصيل الوداع الأخير لولده إلى أن واره الثرى ، بعدها يناديه شاعرنا في ثلاثة أبيات متتالية مصورا لحظات ذلك الوداع وأثرها على نفسه (٣) ويختتم الشاعر مرثيته بالحكمة والموعظة والدعوة لأخذ العبرة من هذا الموقف الذي يتجلى فيه صبر الرجال وجلدهم على المصائب والمحن ، داعيا إلى الاستفادة من هذه الدروس ، في معان متشبعة بالقيم الدينية ، يقول :

---

١. أبوسرور ، قصيدة مخطوطة في رثاء ولده (احمد) ص ٤ .
٢. المصدر السابق ، ص ٥ .
٣. المصدر السابق ، ص ٥ ، ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فوا أسفا لم ندكر من مواعـــظ تمر بنا كم واعظ لنبيـــل
ألم نك زرع الموت يحصدنا الفنا سواء هنا من خامل وجليـل
فكم سائر يوما يعزي أخالـــه يعزى عليه قبل يوم وصول (١)

وتجمع هذه القصيدة بين مسحة الحزن العميق ، وصلابة الموقف وثبات العزيمة ، ومع أن فيها توجعا وتأثرا ، ولكن فيها أيضا إيمان بقضاء الله وقدره ، ولا أدل عليه من رباطة جأشه وهو يتلقى خبر موت ولده دون أن يشكل ذلك صدمة عنيفة على نفسه ، بل افتخر بعزيمته وقدرته على الصبر الذي صاحبه، وبقى معه يؤازره في محنته .

١. ابوسرور، قصيدة مخطوطة ، في رثاء ولده (احمد) ص ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢: رثـاء الأصدقـــاء

الحزن على الأصدقاء ورثاؤهم يجمع بين صدق العاطفة ، وحرارة الانفعال . ومن وفاء شاعرنا لأصدقائه التغني بمكارمهم والثناء على مآثرهم وجميل صفاتهم ونبل أخلاقهم في حياتهم ، وحين افتقدهم أكمل الشاعرصورة هذا الوفاء لهم ، فرثاهم مستذكرا مناقبهم وفضائلهم ، مشيرا إلى أثر فراقهم . ومن أفضل قصائده في هذا الجانب ، ما رثى به صديقه الأديب " علي بن منصور الشامسي " بقصيدة أبدى فيها حسرته على فراقه ، مشيرا إلى أن موته قد جدد أحزانه لمن سلفوا من إخوانه ، حين يقول مخاطبا البريد الذي نقل له نبأ وفاة صاحبه :

يا ساري البرق باللاسلك يدفعه | كالبرق يدفع أمواجا من الشهب
كاتمتني مرضا للشامسي كما | كاتمتني موته الله من تعبي (١)

ويشير إلى علاقته بالفقيد وأثر فقده على نفسه وما جدده من أحزان فيقول :

لو كنت أعلم خلي بات في ألم | لم تحل لي تمرات النخل والعنب
يا موت جددت أحزاني لمن سلفوا | بالأمس ما بين ذي علم وذي قضب
كسرت ظهري يا موت الكرام فهل | من جابر الكسر غير الصبر للنجب(٢)

ولاشتهار الفقيد بالأدب والقدرة على الخطابة ، فقد نعى الشاعرفي ثنايا قصيدته هذه " الصفات حين عده فقيد المجد والأدب (٣) ، ويبكي أبوسرور صديقه راشد بن عزيز السيابي الذي صاحبه في سفره وحضره حيث كانت الأماكن المقدسة مسرحا للقائهما واجتماعهما ، وقد نعى الشاعر في فقيده صفات الزهد والصلاح ، فيخاطب صاحبه الفقيد بقوله :

أعليك راشد أدمعي لم ألفها | إلا جوارف من لظى الأشواك
صاحبت فيك مناقبا محمودة | حضرا وفي سفر سمت عن حاك
كم مرة طفنا العتيق بمكة | فرضا ومسنونا وزرنا الزاكي
ولكم أسلنا الدمع في تلك الذرا | نحدو الرجاء لفاطر الأفلاك
قد كنت في تلك الرياض إمامنا | إن قيل أين أئمة النساك(٤)

---

١. (أبوسرور)،الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، قسم المراثي ، ص ١٧٥ .
٢. المصدر السابق ، ص ١٧٥ .
٣. المصدر السابق ، ص ١٧٤ .
٤. المصدر السابق ، ص ١١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما رثى الشاعر صديقه الشاعر الأديب الشيخ صقر بن سلطان القاسمي المتوفى في صيف عام ثلاثة وتسعين وتسعمائة وألف للميلاد ، والذي كان الشاعر يتردد عليه في مصر ، ولما مات افتقد فيه سماحة خلقه وكرمه وأدبه ، وبفقده رزىء الدهر والأدب والمجد . ومطلع القصيدة ينبىء عن الألم والحسرة ، حين يقول :

رزء به قد يتم الدهـــــــر | والمجد والآداب والفخـــــر
رزء أتى الأمجاد شامخـــــة | شما أطاح بها له القـــــدر (١)

ويقول في وصفه :

أين التواضع في شمائلـــه | أين الوفا واللطف والبشر
أين الندى والجود من يده | لم يدن في أحيائه الفقـــر(٢)

ويكرر في القصيدة المعاني التي طرقها في مراثيه الأخرى من التركيز على شمائل الفقيد وصفاته وعد موته خسارة للأدب والمجد والبطولات .

٣: رثاء الأعيـــــان

رثى الشاعر الأعيان الذين اتصفوا بالكرم والسماحة والتقوى والعفة والنزاهة ، واشتهروا بالشجاعة والإقدام وحسن السياسة ، بمعنى أنهم كانوا يتصفون بصفات مثالية من نبل الأخلاق وصدق المروءة . فكان موتهم خسارة كبيرة على عامة الناس وخاصتهم . وفي هذا الجانب رثى الشاعر غير واحد من هذه الفئة لما تمتعوا به من مكانة سامية ، وموقع خاص في نفوس الناس . علما أن الشاعر عندما رثى هؤلاء لم يكن ينطلق من موقف المجاملة أو أداء الواجب الاجتماعي ، بل كانت تربطه بمعظم هذه الشخصيات علاقة معرفة ومودة تركت أثرا على أسلوب الرثاء لها .

من ذلك مارثى به شاعرنا الفقيد الشيخ صالح بن عيسى الحارثي وهي من مراثي الشاعر الطوال إذ بلغت ثمانية وثمانين بيتا : يبرز لنا أبوسرور - ومن مستهلها - صورة الحزن والأسى المسيطرة على الجو العام للقصيدة ، وإن كانت بدايتها تحمل سمة تقليدية حين عمد إلى استخدام ضمير المخاطب ، دعوة للتعبير عن مشاركة الجموع في تأبين هذه الشخصية ، فيقول :

---

١. (أبوسرور) ، قصيدة مخطوطة للشاعر ، ص ٩ .
٢. المصدر السابق ، ص ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ذا يلومك إن بكيت عيونـــا ... وندبت من برج السعود قرونـا
وشققت قلب الصبر منك رزية ... وملأت أرجاء الوجـــود أنينا (١)

وهنا يصور لنا الشاعر مظاهر الفجيعة ووقع المصاب ، ويخيل إليه أن الطبيعة قد تجاوبت مع جسامة الحدث ، حتى تزلزلت الجبال والأرض ، وكأن القيامة قد قامت ، فأصبح الوجود ذاهلا حزينا (٢) .

وانتماء الفقيد إلى جماعة كان لها دورها الوطني الخاص ، جعل الشاعر ينقل مشاعره الحزينة لفقدان هذه الشخصية إلى جو عام ، بحيث تصور أن الإباء أصيب بموته ، ولذلك كان رثاؤه لا ينصب على هذا الفقيد فحسب ، بل يرثي في شخصه الأمة جمعاء ، في قوله :

وارزء أطواد العلى وإبائهـــا ... دكت بصالحها الفتى الميمونا
أنا إن رثيتك ما رثيتك واحدا ... بل أمة أرثي بها المأمـــونا (٣)

ثم يمضي الشاعر في مرثاته بربط الماضي الذي ينتمي إليه الفقيد بالحاضر ، حين عده أحد شموس المسلمين،الذين تحلى الفقيد بصفاتهم وتأثر بمناقبهم حين قال

أرثي شموس المسلمين وأسدهـم ... قوم أبوا إلا النجوم سفينـــا
كانوا وكان الدهر في أيديهـــم ... عبدا يقول لأمرهم آمينـــا
ما نفذوا بعض الكتاب وخلفـوا ... بعضا وراء ظهورهم ملقينـــا
ما حكموا القانون في دين السما ... بل حكموا المفروض والمسنونا (٤)

إن أبا سرور هنا لم يكتم الألم والحسرة لهذا الفقيد الذي أثار فقده فيه كوامن الماضي ، وهو هنا أيضا لا يتستر وراء جدار للتعبير عن هذه المشاعر الممتزجة بالنقدات السياسية .

ومن هنا فإن الشاعر يصور مشاعر الحزن الذي أثاره موت الفقيد ، بحيث غدا موته يبعث المصائب ويستثير الأحزان ، وينبش الآلام والمآسي التي كان الشاعر يكتمها حين كان يعلق على حياة الفقيد الآمال (٥) ولذلك فموته فجر الأحزان وأجج المصائب ، يقول الشاعر :

---

٠١ (أبوسرور)،الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، قسم المراثي ، ص ١٨٨ .
٠٢ المصدر السابق ، ١٨٩ .
٠٣ المصدر السابق ، ص ١٨٩ .
٠٤ المصدر السابق ، ص ١٩٠ .
٠٥ المصدر السابق ، ص ١٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا موت قد أججت في مصائبا كاتمتها هذا الزمان ضنينا
فجرت بي شتى براكين الأسى لأئمة تركوا الزمان حزينا (١)

ثم استرسل الشاعر في ربط حياة الفقيد ومآثره ، بمآثر آبائه وأجداده ، والشخصيات المرتبطة بها التي كان لها دور كبير في المحافظة على كيان الأمة علما وعملا ، بحيث أصبح ذكرهم يعطر الوجود ، كما يقول الشاعر :

دعني أعطر ذا الوجود بذكرهم مسكا ليحيى الميتون سنينا
وأتوج الأحياء من أصدافهم دررا تسود الجوهر المكنونا
أين المحقق أين عزان الشبا والغاربي وصالح الشارينا (٢)

وهذه الشخصيات : المحقق الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي والإمام عزان ابن قيس البوسعيدي والشيخ محمد بن سليم الغاربي والأمير المحتسب صالح بن علي الحارثي جد الفقيد ، كلهم أعلام بارزون في لوحة الخارطة السياسية العمانية وقد نالوا الشهادة .

ولذلك فإن شاعرنا هنا يمزج الرثاء بالحماسة بحيث يتحول الرثاء ، عنده إلى شعور وطني حماسي فياض ، رابطا بين موت الفقيد وموت هؤلاء الأبطال . فإحساس الشاعر في هذه المرثاة إحساس وطني جارف ، فيه دعوة إلى التأسي بهؤلاء الرجال ، وتحذير من التقصير ، يقول :

شربوا المنية بالأسنة في الهدى كأس المنية لا يزال معينا *
ساروا وأين لشاربون لفضلهم لم يشرب الباقون إلا الدونا (٣)

وقد وظف الشاعر هذه القصيدة للحديث عن موقف سياسي وطني اجتماعي ، تفجر على لسانه ونطقت به شاعريته ، بعد أن فجرها موت الفقيد ، فينبه الأمة ويحذرها من التقصير في قوله :

عار لمن ورث النخيل ولم يرث سيفا يهذب باغيا مفتونا
ما أنجبت حمر الأسنة خروعا كلا ولا كان الأمين خؤونا (٤)

---

١. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، المراثي ، ص ١٩١ .
٢. المصدر السابق ، ص ١٩٢ .
٣. المصدر السابق ، ص ١٩٣ .
٤. المصدر السابق ، ص ١٩٥ .
* المعن والمعين : الماء الجاري على وجه الأرض ، وقيل الماء العذب الغزير ، ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ١٣ ، ص ٤١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد هذه الجلبة يتجه الشاعر إلى الفقيد مباشرة يتلو مآثره ويعدد مزاياه ويبين جهوده ومحاولاته الاقتداء بآبائه وأسلافه ، إلى أن حال القضاء دون تحقيق طموحاته وأمانيه ، فيقول مشيرا إلى غربة الفقيد وإقامته في مصر :

حاولت تبني ما بنوا وأبى القضا وأبيت أنت بأن تعيش مهينا *
فبقيت طودا بالكنانة شامخا متربصا للحسنين سنينا
حتى لك اشتاق الإمام محمد ودعاك ربك فاستجبت حنينا (١)

وقد وجد الشاعر لنفسه وهو يتحدث عن مناقب الفقيد فرصة للتغني بماضي الأمة العريق ، والنواح على واقعها المعاصر ، كما وفق في تبيان خصال الفقيد ، كونه رجلا قياديا ، له مواقف مشهودة ، ربط الشاعر بينها وبين مواقف رجال أسهموا في وضع بصماتهم على حقبة من تاريخ عمان .

ويستخرج الشاعر العبرة من هذا الموقف حين يؤكد أن الموت لا بد منه ، وأشرف منية هي الاستشهاد في ميادين الوغى حين يقول :

والموت ما بين القنابل والقنا خير المنى إن قيل يا شارينا
لا يحسب الجبناء أن صوارما يوما تقصر عمرنا المضمونا (٢)

وتأبين الشاعر للفقيد ورثاؤه له لم يأت حال كونه شاعرا لا يعرف من يؤبنه لمجرد المشاركة حين يتسابق أهل البيان ولكنه يشارك في الرثاء عن دراية حقيقية – كما يقول – لأحبته الذين وإن غيبهم الثرى فإنهم ما برحوا ماثلين أمام بصائره ومقيمين بمهجته (٣) .

وقد أحس الشاعر بأن هناك من ينكر عليه إدخال الحماسة في الرثاء ، فيرد بقوله :

لا تنكروا مني الحماسة في الرثا فهنا المقام لذاك يستدعينا (٤)

---

١. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، المراثي ، ص ١٩٦ .
٢. المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .
٣. المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .
٤. المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

* المهين : من الرجال الضعيف ، ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد١٣ ص ٤٢٥ . مادة (مهن) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مراثيه في أعيان بلده رثاؤه في الشيخ خلفان بن ناصر السعدي * الذي دعاه الشاعر " حاتم زمانه " تبلغ القصيدة ثلاثين بيتا ، معظمها يدور حول الحياة والموت وأسرارهما ، منها أربعة وعشرون بيتا تدور حول هذه المعاني ، وستة أبيات فقط خص الشاعر بها الفقيد ٠ ومع أن القصيدة رثائية إلا أنها تغوص في أفكار تتصل بفلفستي الحياة والموت ، وفيها من العظات والعبر ما يؤكد على فناء الإنسان ، وبأنه مهما عاش وطال به الزمان فلا بد أن يلقى المنون (١) ويقول:

أين أهل العقول يا ويل نفسي ... لا تفيد العظات قوما عمينا (٢)

ويتناول في حديثه القبور وأهوالها منذ أن يوضع الإنسان فيها ، ومرورا بأكل الدود له ، إلى أن يختلط بغبار الأرض فتحمله الرياح ، يقول الشاعر :

جيفة أنت في القبور تلاشت ... يأكل الدود قلبها والعيونا
ثم يبقى ليأكل البعض بعضا ... ثم يمسي الجميع بعد ظنونا
تتهاوى به السوافي هباء ... ثم حشر حسابه لن يهونا (٣)

ونجد حديث الشاعر عن الفقيد في الأبيات الستة الأخيرة ، التي تحدث فيها أيضا حديثا عاما ، واصفا حلمه وكرمه وشجاعته ، فهو كالأحنف في حلمه ، وحاتم في كرمه وجوده ، مشيرا إلى أصله الذي ينتمي إلى مازن بن غضوبة الصحابي الجليل أول من أسلم من أهل عمان ، فيقول :

يا فتى مازن حديد المواضي ... أحنف الحلم ، حاتم الوافدينا
لم تيتم والله طيا وحسبي ... كم قرون أيتمتها وقرونا
لم يمت حاتم وأنت سليل ... لا ولا الباس إن لحرب دعينا
عقمت طيء ترينا هماما ... وارثا مجدك التليد الثمينا (٤)

ونلاحظ في هذه المرثية برود العاطفة ، وكون القصيدة تصلح لأية شخصية وكأنها لم تخصص لهذا الفقيد وحده ، فالقول فيها عام ، والرثاء فيها حكم ومواعظ فلسفية ، حول الفناء والخلود ٠ ولعل من الطبيعي أن تستدعي مناسبة الموت مثل هذه المعاني ذلك أن أي إنسان يرى مصيره المحتوم من خلال موت الآخرين ٠

---

١٠ أبوسرور، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، قسم المراثي ، ص ١٤٥ ٠
٢٠ المصدر السابق ، ص ١٤٥ ٠
٣٠ المصدر السابق ، ص ١٤٧ ٠
٤٠ المصدر السابق ، ص ١٤٧ ٠
* سبق الترجمة له ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مراثيه في الأعيان أيضا مرثاته في " حاتم آل غطريف" المسمى سعد بن سالم بن سعيد الغطريفي المتوفى بالخبر من المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية ، وتكشف القصيدة من بدايتها عن عمق التأثر بفقدان المرثي ، حين يدعو الشاعر جفون الأسى بأن تصب الدموع ، وليست أية دموع ، بل من الدم ، تعبيرا عن حزن الشاعر وتوجعه على الفقيد ، يقول :

جفون الأسى صبي الدموع على سعد دماء تذيب الصلد لو صب في الصلد
جفون الأسى من يبك للمجد والندى بكى جوهر الأيام في الطالع السعد(١)

والشاعر هنا يبرز صفة تميز بها الفقيد وهي صفة الجود عنده " والمهم في الرثاء إبراز ما كان يتسم به المرثي في الحياة " (٢) .

ومن مظاهر تأثر الشاعر بفقد هذا العلم إشارته إلى أن كثيرا من الأموات لم يحس بفقدهم حتى أهلهم ، وآخرون يبكيهم الزمان ، وإن كان الشاعر قد أرسل هذا المعنى في أسلوب حكمة ، حين يقول :

وما كل من وافى الثرى في ضريحه تعزى به العلياء في أمة المجد
فكم ميت لم يبكه جفن أهلـــــه وآخر يبكيه الزمان من الوجد (٣)

وتكرار صيغ البكاء عند الشاعر دليل على أثر فقد المرثي ، وإن جاء ذلك في صورة فخر الشاعر بنفسه ، حين أكد على أن الكريم لا يبكيه إلا كريم مثله ، ولا يقدر أهل الفضل إلا أهل الفضل أنفسهم ، يقول الشاعر :

بكيت وهل يبكي الندى في كريمه سوى ذي اليد البيضاء والبطل الورد
ومالي لا أبكي كريما محببـــا لدى دوحة العلياء في ملة الحمـــد(٤)

فاتصاف الفقيد بالكرم واشتهاره به جعل الشاعر يركز على هذه الصفة عنده حين أشار إلى أن حاتما لم يمت وسعد خليفة له (٥) .

---

١. أبوسرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٨٣ .
٢. د. احمد بدوي ، أسس النقد الأدبي ، ص ٢٣١ .
٣. أبوسرور، ديوان باقات الأدب ، ص ١٨٣ .
٤. المصدر السابق ، ص ١٨٣ .
٥. المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أشار إلى أن الفقيد كان نازحا عن وطنه ، ومقيما بأرض الخبر من المملكة العربية السعودية ، وكان هناك موئلا للحجاج العمانين خاصة ، والمغتربين عامة ، وبطبيعة الحال كان شاعرنا أحد الذين يفدون عليه في موسم الحج ، وفي القصيدة إشارة إلى غربة الفقيد حيا وميتا (١) حين عده الشاعر وديعة لهم هناك .

ومما يلحظ في هذه المرثية مخاطبة الشاعر للموت وتجسيده بحيث أعطاه صفة الإحساس قائلا :

فحتى متى يا موت لم تبق مرجعا إلى دوحة يأوي المعالي أخا أيد
أفي كل يوم أنت تمسي وتغتدي وتنهب أرواح الكرام أمن حقد (٢)

---

١. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٨٤ .
٢. المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ : رثاء العلمـــــاء

للعلماء والفقهاء مكانة كبيرة في نفوس الشعراء ، ولما كان أبوسرور فقيها فقد عرف قيمة العلم والعلماء ، وأدرك أن فقدان عالم ثلمة لا تسد .

ومن هنا كثرت في أشعاره مراثي القضاة ورجال العلم في بلاده ومن أهل مذهبه ، وتشكل مرثياته لهذه الشريحة القسم الأكبر من مراثيه إذ تبلغ نصفها. فله ثمان مراث فيهم قالها على امتداد الفترة الزمنية منذ عام أربعة وثمانين وثلاثمائه وألف وحتى أربعة عشر وأربعمائة وألف للهجرة . وقد دأب الشاعر في رثائه هنا على تعداد مآثر الفقيد العلمية ، وبيان خصاله ومناقبه التي تميز بها، مع الإشارة إلى الخسارة الكبيرة التي منيت بها الأمة بفقدانه .

وتعد مرثاته في الأستاذ حمدان بن خميس اليوسفي من أقدم مراثيه ، حين شهد الشاعر موت الفقيد في المدينة المنورة أثناء سفرهما لأداء فريضة الحج، عام أربعة وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة . يفتتح الشاعرمرثيته بتأملات فلسفية حول موت الإنسان وفنائه موردا طائفة من الحكم والمواعظ ، مشبها حياة الإنسان بزرع لا بد أن يحين موعد حصاده ، يقول :

المرء زرع والفناء حصاده وإلى الإله مساقه ومعاده (١)

ثم يتحدث الشاعر عن الموت الذي لو يبقى أحدا لأبقى عالما له جلالة قدر ودور بارز في الحياة ، فيقول :

والموت لو يبقي لأبقى عالمـــا علما توى لكن أقام رشـــاده
أستاذنا حمدان نجل خميـــــس من لا يلين إلى الحطام قياده
يا موت حسبك من تركت لجيلنا عرشا عليه تستوي أعمـــاده
أوديت بالعلم الشريف وبالتقـــى أوديت بالخلق الكريم عماده (٢)

ثم أخذ يعدد الصفات التي كان يتمتع بها المتوفى ومناقبه وفضائله ، معرجا إلى ما كان يتصف به من مقدرة علمية ، جعلت منه رجل علم ذا شمولية ثقافية لتضلعه في علوم العربية ، إذ كان يطلق على الفقيد " سيبويه عمان"، ناهيك عما كان يتميز به من مهارة في تجويد القرآن الكريم وعلوم الصرف والبديع والعروض والقوافي والأصول ، كل ذلك غيب في شخص الفقيد ، يقول الشاعر :

---

١. أبو سرور ، ديوان بقايا الأدب ، ص ٣٩ .
٢. المصدر السابق ، ص ٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كسرت للعربية الفصحى قنـــــا في سيبويها من سمت أطواده
يا موت من للصرف في تصريفه من للبديع إذا شدا إنشـــــاده
من للبيان إذ بدا في سحـــــره وعليه من هاروت ما يعتـاده
من للعروض إذا تعرض والـهـــا يدعو إليه اليوسفي مقـــــاده
من للعلوم محققا ومدققـــــا ومميزا ومبرزا تتقـــــاده (١)

فنلمس من خلال هذه القصيدة الرثائية كيف بكى الشاعر اللغة العربية ، نحوها وصرفها وبلاغتها من بديع وبيان ، وأوزان الشعر وقوافيه التي تيمت جميعها بموت اليوسفي . وقد اختتم الشاعر قصيدته بذكر ما كان عليه المتوفى من زهد وورع وترفع عن حطام الدنيا الفانية وملذاتها الزائلة (٢) .

ويتناهى إلى الشاعر خبر موت أبي اسحاق ابراهيم اطفيش محقق التراث الإسلامي بدار الكتب المصرية ، وأحد كبار علماء الإباضية المغاربة ، ورجل الإصلاح المشهور ، فيرثيه أبو سرور بقصيدة يدخل فيها إلى رثائه بشكل مباشر ذاكرا عظم الخطب ، فيقول :

الخطب أعظم فاجزعي أو فاصبري فالموت أودى بالإمام الأكبـــر (٣)

ويشير الى أن الفقيد تميز بقوة الحجة وحضور البديهة في مجادلة المكابرين حتى أصبحوا يخشونه لغزارة علمه وسعة اطلاعه ، يقول الشاعر :

كم ملحدا لقمته حجـــــر العيا وهو الذي بالكون كان المزدري
كم من شقاشق للعناد تكسـرت أشداقها لما زأرت بمحضـــــر *
زلزلت أركان الوجود ولم يزل يخشاك كل غشمشم وغضنفـــر
فبعثت معجزة على أهل الشقـا ما رامها متكبر إلا صـــــري (٤)

---

١. أبو سرور ، ديوان بقات الأدب ، ص ٤٠ .
٢. المصدر السابق ، ص ٤١ .
٣. المصدر السابق ، ص ١٥٤ .
٤. المصدر السابق ، ص ١٥٤ .

* الشقاشق : الشقشقة لهاة البعير ، والجمع شقاشق ، وأطلق على من يتفيهق في كلامه ، ويسرده سردا لا يبالي ما قال من صدق أو كذب ، انظر : ابن منظور : لسان العرب . مجلد ١٠ ، ص ١٨٥ - مادة (شقق) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويجرى الشاعر على سجيته في المبالغة حين يجعل الطبيعة تتجاوب مع عظم الفاجعة ، حين تكاد نجوم السماء تسقط ، والملائكة تبكي والعرش يهتز ، حزنا على الفقيد :

كادت نجوم الأفق تسقط في الثرى ... وجدا عليك بعبرة وتحسر
وبكت ملائكة السما بسمائها ... واهتز عرش الله والكرسي حري(١)

إن القارىء لهذه المرثاة لا يجد فيها لوعة الحزن والأسى الصادرين عن إحساس ومشاعر وانفعالات حقيقية ، وإن وشاها الشاعر ببعض ألفاظ الحزن الرثائية ، إلا أننا لا نجد فيها تلك الحرقة واللوعة على الفراق فالجو المسيطر على القصيدة ذكر عام لخسارة الأمة بموت هذا العالم أداء للمشاركة ، كون المتوفي أحد الشخصيات العلمية المرموقة .

ويفقد الشاعر عالمين جليلين من علماء بلده سمائل ، وشيخين من مشايخه ، وهما الشيخ العالم حمد بن عبيد السليمي ، والشيخ العالم خلفان بن جميل السيابي ، فيرثيهما الشاعر بقصيدتين تقطران حزنا وألما ، يقول في مطلع مرثاته للشيخ السليمي :

رزء الهدى والعلم رزء أفظع ... رزء له كل الرزايا تخضع (٢)

وما لبث الشاعر بعد عدة أبيات أن تحدث عن سر الحياة والموت والفناء في هذا الوجود متسائلا عن مصير الخلق من عهد آدم وإلى يومنا هذا قائلا :

كتب الفناء على الوجود فريضة ... لا بد يوما أن تقام وتشرع
هذي المنون تدير أكواب القضا ... وقضاء ربك إن أتى لا يدفع
أين الأولى من عهد آدم قبلنا ... عصفت بهم ريح المنون فزعزعوا
حصدتهم تحت التراب وجلهم ... أضحى تناقله الرياح الأربع
حصدت بنينا والجدود ونحن ما ... بين الجميع فأين عنها المنزع (٣)

ولجوء الشاعر إلى هذه الحكم وفلسفات الحياة رغبة منه في تصبير نفسه وتسلية خاطرة ، لما افتقده في شخص هذا العالم ، أستاذ الشاعر وشيخه ، وقد عد الشاعر موته مصيبة على هذا الدين ، بحيث لو أوتيت السماء شعورا لهوت على من فيها حدادا على هذا العالم ! (٤)

---

١. أبوسرور ، ديوان بقات الأدب ، ١٥٥ .
٢. المصدر السابق ، ص ٩٥ .
٣. المصدر السابق ، ص ٩٥ .
٤. المصدر السابق ، ص ٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم ينس الشاعر أن يربط فقدا هذا العالم بدولتين تولتا كان للشيخ دور فيهما ، وهما دولة الإمام سالم بن راشد الخروصي ، والإمام محمد بن عبدالله الخليلي ، حين يقول :

يا دولتين لسالم ومحمـــــد ما متما وأبو عبيد مرجـــع
ورثتمونا شخصه علم الهدى فسعى ووفى والحوادث تدفع (١)

ثم راح يخاطب الفقيد معددا مآثره العلمية ، وخصاله الزكية مصورا خسارة الأمة بموته ، حيث ترك فراغا لا يمكن سداده :

يا نكبة تركت فراغا واسعا في الدين ليس فراغها يترفع (٢)

أما في مرثيته الثانية لشيخه الجليل خلفان بن جميل السيابي فنلمس حرقة الأسى ولوعة الخطب ، حيث نلحظ ذلك بجلاء منذ مطلع قصيدته :

أذوب أسى ومالـــي لا أذوب ودمعي في الخدود له شحوب
ولو فاضت دموع الحزن بردا لظل القلب من حزن يـذوب (٣)

إذ أنه ينبيء بالحرقة والأسى الذين يتحشرج بهما صدره . ونجد فيها من الإشادة بعلم الشيخ وفضله وسمو روحه ما يجعل الأمة كلها تشارك في الخطب ، وتحزن على هذا الفقيد ، يقول مخاطبا شيخه :

أبا يحيى إمام عمان علمـــا وزهدا ماله فيه ضـــريب
تنازع كأس فقدك كل شـــيء فلا رطب عداه ولا جشيب
فجعت الكائنات وكاد يقضـــي عليها للأسى يوم عصيـــب
هززت العرش والكرسي وجدا كسعد إنك السعد الحبيـــب (٤)

ولم يفت الشاعر أن يشير إلى أهم مؤلفات الفقيد العلمية والتي جمعها في هذا البيت :

فسلك أصوله أبدى جلاء ببهجته ترى الأدبا تطيب (٥)

وهي كتاب " سلك الدرر" و" الفصول في علم الأصول " وكتاب الجلاء في أحكام الدماء " وكتاب بهجة المجالس " .

---

١. أبوسرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٩٦ .
٢. المصدر السابق ، ص ٩٦ .
٣. المصدر السابق ، ص ١٣٩ .
٤. المصدر السابق ، ص ١٤٠ .
٥. المصدر السابق ، ص ١٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورثى الشاعر أيضا الشيخ العالم ابراهيم بن سعيد العبري * مفتى عمان السابق ، بقصيدة صور فيها خسارة العلم والأمة ، بموت هذا العالم الجليل ، حشد فيها من صفات الفقيد وفضائله وأعماله ما يدل على علو قدره وسمو مكانته ٠ خاطب الشاعر مدينتي نزوى والحمراء التين شهدتا نشأة الفقيد ٠ فهو عالم ، وأحد زعماء قبائل عمان المعروفة ، يقول :

طوفي لنزوى واسمعي منها البكا نزواي صبى الدمع ما أحراك
أين الخليلي الإمام المرتضى والسالمي وسالم النساك
أين الزعيم الحارثي بعصرهم والحميري قيادة الأفلاك
فابكي قرونا دوخت قوادها برا وبحرا ما أحق بكاك (١)

وقد بكى الشاعر في فقيده العلم والزعامة والبطولة والشجاعة ، مخاطبا الدهر والأيام ، متسائلا عن قصدها من وراء اصطفائها للعلماء والأخيار من أبناء هذه الأمة ٠

يا أيها الأيام ماذا تبتغي في كل يوم قتل شهم شاك
تتخيري الأعلام من أبطالنا كل كألف إن دعي لباك
هل معك قصد أن تميتي للعلى يوما وتأتي ماحلا لهواك (٢)

ومهما فعلت الأيام فإنها لن تستطيع أن توقف مسيرة الإبداع والعطاء المتوارثة أبا عن جد ، يقول الشاعر :

أسررت لما مات فينا شخصه فتموت معه مواهب ترعاك
غلطا فهمت وهل أشد رزية أن تغلط لأيام ما أغباك
ما إن أطحت بما جد في حادث إلا وقام أماجد للقاك (٣)

والشاعر وفق في مرثيته هذه - في تصوير مكانة الفقيد العلمية والاجتماعية ، وكيف أثر موته على أهل عمان لكونه مفتيها وعالمها الأكبر ، فقدت بموته علما من أعلامها المرموقين الذين كانت لهم مواقفهم وأعمالهم الخالدة ٠

---

١٠ أبوسرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٢٠٥ ٠
٢٠ المصدر السابق ، ص ٢٠٧ ٠
٣٠ المصدر السابق ، ص ٢٠٧ ٠

* ابراهيم بن سعيد بن محسن العبري ، (١٣١٢ - ١٣٩٥هـ) علامة كبير ، شغل منصب القضاء ، قلده السلطان قابوس فتوى السلطنة ، مات وعمره واحد وثمانون عاما ، انظر : السعيد محمد بدوي وأخرون ، دليل أعلام عمان - مكتبة لبنان ، بيروت - ط ١٠ ، ١٩٩١م ، ص ٢٥ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأختم هذا الجزء من المبحث بالإشارة إلى رثاء الشاعر للعالم الفقيه المؤرخ الشيخ سالم بن حمود السيابي ، حيث رثاه بقصيدة طويلة تعد من أطول قصائد الرثاء عنده ، إذ بلغ عدد أبياتها مائة وثلاثة وعشرين بيتا . بدأها الشاعر بوصف ذهوله وحيرته من وقع المصاب على نفسه على الرغم مما عرف من جلده وصبره على النوائب (١) بعدها يصف الفقيد بقوله :

هو العلم والأخلاق والفخر والإبـــا هو البر والتقوى إليه تصيـــــر
هو الشمس لم تأفل وإن ضمه الثرى فشمس ضحى الإيمان ليس تغـور
فهل يستوي من يعلمون وجاهـــل وربك لا فالفرق ثم كبيـــــر
أيا ابن حمود سالم العلم والوفـــا أمثلك لا تبكي عليه عصـــور
على العلم يبكي البر والبحر والسما حدادا وتسعار المصاب سعيـر(٢)

والفقيد أحد علماء عمان في العصر الحديث ومن كبار المؤلفين في الفقه والأصول والعربية والتاريخ والأنساب والعقيدة ، وله عشرات المؤلفات في مختلف فروع المعرفة ، فلا ريب بعد ذلك أن يبكي فيه الشاعر هذه المميزات ، وعلى الرغم من ضآلة القيمة الوجدانية في القصيدة إلا أن الشاعر قد وفق في رأيي من خلال مرثيته في رسم صورة الفقيد وجهوده العلمية ، ومكانته التي كان يتمتع بها في الوسط العلمي والأدبي ، قياما بحق الوفاء لمثل هؤلاء الأشخاص ، حيث نلاحظ أن الشاعر هنا بكى العلم الذي كان يحمله الفقيد والمعرفة التي أهلته لتبوء تلك المكانة .

والشاعر كعادته في استثمار مناسبات قصائده الرثائية ، يربط بين موت الفقيد واتصاله بشخصيات تماثله ، فيذكره موته بكوكبة من العلماء والأئمة الذين عاصرهم هذا الفقيد فذهبوا قبله (٣) .

وبعد هذا العرض لنماذج شعر الرثاء عند أبي سرور نلحظ أن مرثياته تتباين في الطول والقصر ، فبينما نجد قصيدة تمتد لمئة وثلاثين بيتا نجد أخرى لا تتجاوز في عدد أبياتها الثلاثين .

ويعمد في رثائه إلى إظهار أهم مميزات المرثي وصفاته حيث يلون مرثيته بما يناسبها ، فإن كان عالما فقيها ذكر أهم جهوده في هذا الشأن ومؤلفاته ونتاجه ، وإذا كان قائدا وطنيا أشار إلى شجاعته وبسالته ونضاله ،ويكثر في رثائه ترديد الحكم والمواعظ المحذرة من الدنيا وغرورها ، المذكرة بالموت والدار الآخرة.

١. قصيدة مخطوطة في رثاء الشيخ سالم السيابي ، ص ٣ .
٢. المصدر السابق ، ص ٤ .
٣. المصدر السابق ، ص ٧ ، ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامسا" : الإخوانيـات

الإخوانيات مكاتبات أدبية ذاتية ، تغلـب عليهـا العاطفـة ، وتسـودها روح المودة والألفة والصداقة ، يتبادلها الأدباء في ما بينهم ٠

وقد اتخذ أبوسرور الشعر وسيلة لمراسلاته الأخوية التـي تشكل بالنسبة له متنفسا يبث من خلاله مواقفه الوجدانية ، حين يخـاطب صديقـا ، فتـذوب عنـده الحواجز ليودع في مراسـلاته مشـاعره ، ويفصـح عـن آرائـه ومواقفـه ٠ وتشـكل الإخوانيات غرضا رئيسا من الأغراض الشعرية التي طرقها الشاعر ، والتي تمثل انعكاسا طبيعيا لعلاقاته بمختلف الفئات الاجتماعية ، المبينة لآصـرة الصداقـة التـي يكنها لمن ارتبط بهم من أصدقائه ٠

وتمثل أشعاره في هذا الإطار صورة واقعية لمفهـوم شـاعرنا للصداقـة ، وقد مر بنا أن أبا سرور شخصية اجتماعية مألوفـة ، تتميز بجانبيـة خاصـة ، لمـا تتسم به شخصيته من رؤى سياسية وثقافية وأدبية جذابة ، مكنته من الحصول على مكانة رفيعة تعددت معهـا علاقاتـه ، وتنوعـت صداقاتـه ، فكـثر إخوانـه ٠ فمنهـم مشايخ العلم الأجـلاء الكبـار ، ومنهـم الأدبـاء المشـهورون ، ومنهـم رجـال الثقافـة والفكر والسياسـة ، ومنهـم المعجبـون بشـخصيته وشـعره ، ومنهـم المقيمـون علـى أرض عمان وكثيرمنهم خارجها ، إذ نجد له صداقات أخوية ومراسلات شعرية مع أصدقاء له في الأردن وفلسطين ومصر وتونس والمغرب ٠

ومن كانت صداقاته بمثل هذه السعة ، وعلاقاته بمثل هذا الامتداد ، فإنـه من الطبيعي أن تتنوع إخوانياته في أغراضها وموضوعاتها ، تبعا لاتسـاع مسـاحة الصداقة ، ووفقا للظروف التي قيلت فيهـا هـذه المراسـلات : مـن تهـان وعتـاب ، وثناء واستزارة وشوق وحماسة ، صدرت عن ذات الشـاعر ، واصـطبغت بآرائـه ومواقفه ٠ وكثيرا ما كانت تقوم هذه المكاتبات الشعرية مقام الرسائل النثرية ٠

تزيد قصائده الإخوانية على أربعين قصيدة ، موزعة على مساحة واسعة من ديوانه ، ومعبرة عـن مناسـبات اجتماعيـة وسياسـية وثقافيـة مختلفـة ، نقـل لنـا عبرها جانبا من أفكاره ، وصورا من علاقاتـه الاجتماعيـة ، وصداقاتـه الشـخصية وروابطه الأسرية ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا وتسهيلا للدراسة ، فقد قسمت المبحث الى الموضوعات التالية :

- ١ -

حرص الشاعر على مشاركة إخوانه مناسباتهم الاجتماعية ، إحساسا منه بوجوب مشاطرتهم أفراحهم وأحزانهم ، من ذلك ما قدمة من تهنئة لصديقه الأديب " علي بن منصور الشامسي " مشاركا له فرحته بمناسبة زفافه الجديد ، فقدم تهنئة بتلك المناسبة الاجتماعية ، معبرا عن ابتهاجه وسروره بهذا الزواج ، يقول في وصف العروس :

شمس الجمال على أفق الجلال بدت من مطلع الشرف العالي بتقدير
تزفها سيدات اليمن في نغم وهمسة العود تسبي كل موتور (١)

في إشارة إلى بعض العادات الاجتماعية في مثل هذه المناسبة ، ويمضي في مخاطبة صديقه العريس قائلا :

زعيم شمس تلق الشمس طالعة على غلائل فاقت نسج كشمير (٢)

وقد كانت تهنئته مقرونة بالدعاء له أن يسعد بعيش رغيد ، رافعا أكف الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى أن يمن على صديقه بالسعادة والهناء ، ويرزقه الذرية الصالحة، ويعيش مسرورا بروض وصاله ، وتلك لمحة لطيفة حيث يقول :

وارتع به تجتني من كل يانعة في غصنها ما رآها حارس الدور
واملء كؤوس التهاني من سلافتها واشرب هنيئا على رجع الشحارير
واسعد بعيش رغيد فيه متكئا على نمارق أنس دون تكدير
ولتنجلي في سما آمال بينكما بدور ذرية أسد مغاوير
وعش يحييك ريحان السرور على روض الوصال ورنات المزاهير (٣)

ويكتب إليه أيضا قصيدة وقد أبل من مرض أصابه ، عبر له فيها عن سروره بشفائه واستعادة صحته ، منوها فيها بأخلاقه وشمائله ، يقول :

شفاء به تشفى العلى والمكارم وتشرق منه للعلوم معالم
وتحضر للآداب منه خمائل ويهنأ محبوب وتسمو عوالم
علي بن منصور الهمام ابن ناصر خليل أديب من سمائل حازم
رئيس بني شمس وقس خطابة وشوقي شعر صدحه لا يزاحم (٤)

---

١. أبوسرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٤٥ .
٢. المصدر السابق ، ص ٤٥ .
٣. المصدر السابق ، ص ٤٥ .
٤. المصدر السابق ، ص ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن إخوانياته ذات السمة الاجتماعية ما يتصل بتوديع الإخوة والأصحاب الذين يمثلون مكانة في القلب ، ويصعب على شاعرنا فراقهم . ولا شك أن لحظات الوداع صعبة لا سيما على شاعر – مثل أبي سرور – أوتي من رهافة الحس وصدق العاطفة ما جعله يعاني مرارة الوداع . من ذلك قصيدته التي ألقاها في القاهرة في حفل توديع الأديب سالم بن محمد العبري ، الملحق الإعلامي بسفارة سلطنة عمان بالقاهرة ، حيث يبدأ القصيدة بقوله :

ماليم قط تألم الأحبـــاب بعد الحبيب مؤلم الألبـــــاب

الى أن يقول :

والناس في الشكوى يجمعها الوفـــا جمع السرور مجامع الأصحاب
نبأ سرى تبت يدا نبأ الســـــرى أن المحب مغادر الأحبـــاب
هرعت جموع المخلصين لما جرى والقلب سابق مزنة الأهـــداب (١)

ولعله من الظريف أن تتسع إخوانيات الشاعر لتعبر عن مودته وتعاطفه مع مجموعة من المعلمين الذين وفدوا على عمان من أقطار عربية شتى ، وحين هموا بالمغادرة لانتهاء مدة إعارتهم ، ودعهم الشاعر بقصيدة وجدانية ، ومما قاله فيها :

أبكل عام للحبيب رحيـــل يحيى بذا جيل ويحـرم جيل
أبكل عام أجتني شوك النـوى ألما وغيري بالمنى موصول
أتلومني إن ذبت دمعا قانيـــا وجرى مسيل ها هنا ومسيل (٢)

ثم راح الشاعر يكيل الثناء والتقدير لهؤلاء المعلمين الذين تركوا أوطانهم ، وفارقوا أحبابهم وأصحابهم ، للمشاركة في تعليم النشء العماني ، ولم يفت الشاعر أن يشير إلى مقابلة الإحسان بالإحسان ، بقوله :

إنا نشاطر من يشاطرنا الوفا ما في حمانا خامل وبخيـل
إنا نفدي الماجدين ونفتـدي بدمائنا أرواحهم إن نيلـوا (٣)

وأنه يجب ألا ينظر إلى أن هؤلاء المعلمين قد جاءوا من أجل كسب المال ، فإن كل أموال الدينا وجواهر الخليج لا تفيهم حقهم ، يقول :

---

١. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الإخوانيات ، ص ٩٣ .
٢. أبوسرور ، قصيدة مخطوطة – ص ١٠ .
٣. المصدر السابق ، ص ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالعلم لا يشرى بمال نافـــــــد مهما علا الموزون والمكيـــول
لو خلتمو يجـري الخليج جواهرا لم يوف حرفا قوم التعديـــــل
لو جاز غير الله يعبد لم يكـــــن إلا المعلم جل لا تضليـــــــل
فبأي شيء قد نكافيء برهـــــم عز المكافيء فالإله كفيـــــل (١)

ومما يتصـل بهذا الغرض مـا قالـه الشـاعر فـي تكريـم الأديـب الكبـير عبدالله بن علي الخليلي شاعر عمان المشهور وذلك في حفل أقامه المنتدي الأدبـي لذلك (٢) ٠ حيث ألقى شاعرنا قصيدة بعنوان " أنت الأمير " خـاطب فيهـا الخليلـي مبينا مكانته الأدبية ومعربا عن مبايعته الشعرية لهذا الشاعر ، يقول في مطلعها :

أبغير شعرك تفخر الأدبـــــــاء فهم السماء وشعرك الأضـواء
رضيتك قحطان لتراس ضادهـا وتزار جـــــاء بها إليك ولاء
ما بالغريب على البيان قيـــادة قد نلتها ما فاتك العـــــــداء (٣)

ثم يمضي الشاعر مبينـا أصـالـة ممدوحـه وتاريخـه ، حيـن جعـل إمـارة الشعر والأدب مقصورة عليه ، أليس هو ابن الائمة الأعلام والعلماء الأجلاء الذين عرفهم التاريخ وشهدت بفضلهم الأرض والسـماء ٠(٤) ولذلـك فـإن أبـا سـرور قـد جـاء مـع غيره مـن شـعراء عمـان وأعلامهـا ، وأقطـاب الأدب مـن شـرق البـلاد وغربها للمشاركة في تتويج هذا الشاعر أميرا للشعر ، فيقول :

جئنا نبايعك القيادة في الوفـــا والشعر مهما يكثر الشعـراء
هذي عمان أتتك في أعلامهـــا مزهوة تسعى بها العليـــــاء
وأتتك من شرق البلاد وغربها أقطابها تعلوهم الســـــــراء (٥)

ونظرا لقرب المنتدى من سـاحل خليـج عمـان إذ لا يبعـد إلا أمتـارا فـإن الشاعر صوره مرحا تتداعب أمواجه ، وكذلك شأن الزهر والفل والريحان والطير والنسيم (٦) ، كل هذه المحسوسات قد تفاعلت ، وكأنها مدعـوة للمشـاركة فـي هـذا الاحتفال ٠

---

١٠ أبو سرور ، قصيدة مخطوطة ، ص ٢١ ٠
٢٠ أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الأخوانيات ، ص ٢ ٠
٣٠ المصدر السابق ، ص ٢ ٠
٤٠ المصدر السابق ، ص ٣ ٠
٥٠ المصدر السابق ، ص ٤ ٠
٦٠ المصدر السابق ، ص ٥ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد ذلك يستعرض أبوسرور أسماء عدد من أعلام الشعر العربي الحديث والقديم من أمثال شوقي وحافظ ابراهيم وأبى مسلم الرواحي ، والبحتري والخليل بن أحمد ، متمنيا حضورهم هذه الأمسية ، ليشهدوا هذه المبايعة ، فيقول :

فاشدد يديك بذي القيادة ماجـــدا | أنت الأمير وكلنا أبنـــــاء
قل لي فديتك أين شوقي يرتقـي | هذا اللقا ليطيب منه لقـــاء
أو أين حافظ في ندا أبطالـــه | والبحتري وقادة بلغـــــاء
أين المبرد والخليل وتبـــــع | يا عبس أين إمامك المعطـاء
يا ليتهم حضروا اللقاء ليسعدوا | لكن ليتي مالها أصـــــداء (١)

ولقد استطاع أبوسرور عبر قصيدته هذه التي امتدت لخمسة وأربعين بيتا أن يورد أصدق كلمات الوفاء والعرفان بالجميل لشاعر ملأ صيته الآفاق ورددت قصائد الأجيال العمانية ، واستطاع أن يصور لنا مكانة هذا الشاعر في الأوساط الأدبية العمانية حتى نال زعامة الشعر والأدب فيها .

- ٢ -

وللعتاب نصيب من إخوانيات شاعرنا التي تكشفت لنا من خلالها مزايا شخصيته ، ولمسنا في هذا العتاب مقدار وفاء الشاعر لإخوانه وصراحته لهم ، ووضوح شخصيته معهم . وقد تراوح العتاب عنده بين الرقة والقسوة والعنف الذي يصل إلى حد التقريع أحيانا . كما حدث بينه وبين صديقه الشاعر الكبير عبدالله بن علي الخليلي . ولا شك أن تلك الصراحة والجرأة التي اتسم بها شاعرنا ، إنما هي دليل على حسن الطوية وسلامة المنزع عند الشاعر ، حين لا يترك في نفسه شيئا على أخيه . وجاء عتاب أبي سرور بسبب قصيدة كان قد نظمها الخليلي إبان استقلال الباكستان ، فيها إشارة إلى سبق الشاعر " حمدان بن خميس اليوسفي " بنظمه قصيدة بهذه المناسبة أيضا ، ولكنه لما طبع الخليلي ديوانه " من نافذة الحياة " بعد وفاة أستاذه الشاعر " اليوسفي " والذي ضم تلك القصيدة التي يهنىء بها الخليلي الباكستان باستقلالها . عمد الخليلي إلى حذف البيتين اللذين يشير فيهما إلى سبق اليوسفي في ذلك وهما :

---

١. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الإخوانيات ، ص ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رعيا لحمدان أعشانا فقد نطقت أبياته الغر عما كنت أخفيـــــه
ساق المعاني إليكم من معادنها كالبحر يلقى نفيس الدر من فيه (١)

مما حدا بأبي سرور إلى عتابه ٠ ولنا أن نتصور من هو الخليلي ؟ إنه أكبر شعراء عمان ، وأرسخهم مكانة علمية واجتماعية ، إذ ينتمي إلى قبيلة آل خليل ، بيت الإمامة في عمان ٠ عمه الإمام محمد بن عبدالله الخليلي آخر أئمة عمان في القرن الرابع عشر الهجري * ، وهو شيخ قبيلة بني عبس من كبار القبائل العمانية المشهورة ٠

وتجاسر أبي سرور في أن يخاطب هذه الشخصية بذلك الأسلوب الذي بدأ به ، والذي يشي بالقسوة والعنف في مستهل قصيدته التي يقول فيها :

من للوفاء على شتى معانيـــه من للوفاء وفي في مبانيـــــه
من للوفاء وقد رثت أواصـره أواصر الحب شيء من راوسيه
أين الوفاء ويا أين الوفي به ؟ واحر قلبي ! عزيز في لياليـــه (٢)

إنها نغمة الحسرة لما أحس به الشاعر من نكران للجميل واعتراف بالأسبقية ، فيتلبس حينئذ نظرة سوداوية يعمم تلك الحالة على جميع الناس ، فكيف يلوم عامة الناس على عدم وفائهم بعد أن افتقده من علية القوم ٠ في أسلوب متسم بالصراحة والقسوة ، ويخاطب معاتبه بقوله :

حذفتموا ذكره من شعركم علنـــا أذكره علة بالشعر تؤذيـــــه
فهل بموت الفتى تمحى دفاتـــره الم تروا للوفا حقا يبقيـــــه
إن كان من مات يمحى من دفاتركم فما الوفا غير تقبيح وتشويـــه (٣)

ويعود الشاعر إلى التماس العذر لصاحبه علّه يجد له مخرجا ، وفي الحقيقه يؤمر المسلم بذلك ، يقول :

فقلت الله فينا يا معاتبنـــا لعل ثمت عذرا لست تدريـــه
لعل مطبعة خطت صحائفه تذاهلت تكتب البيتين من تيـــه
أو أنها نسيته كف ناسخـــه وليس ذا ببعيد قط نلفيـــــه (٤)

---

١٠ أبوسرور، ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٧٠ ، وانظر عبدالله بن علي الخليلي " وحي العبقرية " ص ٣٣٩ ٠
٢٠ أبوسرور ، ديوان : إلى أيكة الملتقى ، ص ٦٩ ٠
٣٠ المصدر السابق ، ص ٧٠ ٠
٤٠ المصدر السابق ، ص ٧٠ ٠
* هو الإمام العلامة المحقق محمد بن عبدالله بن العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي (١٢٩٩هـ -١٣٧٣هـ) وبويع بالإمامة عام ١٣٣٨ هـ انظر محمد السالمي : نهضة الأعيان ص ٣٢٣ - ٤٣٠ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرفع من شأن صاحبه الخليلي فيقـــول :

والحق يبديه أهلوه ولو حكمت عليهمو منه حكام تؤديـــــــه

وميزة الحق في أهليه تعرفها إن أخطأوا اعترفوا مع غافر فيه (١)

وما كان من الخليلي وهـو ذلك الرجل الشهير بحلمه وكرمه بعد أن بلغته هذه القصيدة العتابيـة ، إلا أن يجيب عليها بقصيدة اعتذار رقيقة ، تعمد فيها إيراد البيتين اللذين حذفهما أثناء طبعه للديوان ومما قاله فيها :

حميد يا نجل عبدالله معـــذرة من مخلص لك عاقته مساعيـــــه

يروم سبك اللآلي وهي شـــاردة أيعـرض الـــسلك خلـوا مـــن لئاليـــــه

عتبى أقدمها حتى تنال رضـــى يا عاتبا عتبه بالود يزجيـــــــه

رأيت شعرك ياخير الرفاق وقـد جرى يمج رضاب الخمر من فيـــه

أباسرور أتانا في صحائفـــــه كالمسك عتبك يزكو في غواليـــــه

يهدي إلي عرى عيبي مفككـــة والله يرحم عني فيه مهديـــــه (٢)

وهكذا جنى أبوسرور ثمار عتبه ، حين صحح الخليلي خطأه فاثبت البيتين في ثنايا قصيدته هذه التي طبعها في ديوانه الثاني " وحي العبقرية " .

ويعاتب شاعرنا أيضا صديقه الخليلي علـى انقطاع رسائله ، مذكرا إياه بالأيام الجميلة التي أمضياها وهما ينعمان بصادق المحبة وعميق المودة ، متسائلا إن كان قد شغله شاغل عن مراسلته :

أين الخليلي عبدالله هل نغمـــــي تسرى إلى قلبه والصب طماح

وهل لها المركز المرموق من قدم ما بين جنبيه والعتبـى لنا راح

أين الرسائل عبدالله يا علمـــــا أضاعها ببريد الجو جنـــــاح

هل يصبر المرء عن قوم يحبهـم لله ؟ لا ولقـــاء الحب أرواح (٣)

ويجيب الشاعر أخا له " في الله " بقصيدة عنوانها " المحبة في الصدق " يحذر فيه صديقه من مغبة الاستماع إلى قول الوشاة والحساد والساعين بالنميمة بين الأصدقاء ، حيث يقول :

---

١. أبوسرور ، ديوان : إلى أيكة الملتقى ص ٧١ .

٢. عبدالله بن علي الخليلي ديوان " وحي العبقرية " مطابع سجل العرب مصر، ١٩٧٨ ، ص ٣٣٧ .

٣. أبوسرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا فرق الله أنسا كان يجمعنـــــا والعتب يبدو ولكن يعقب الفـــرح
فانظـرفؤادك يا من قلت تكبرنـي فإنني أنا ما تخفيه أتشـــــــــح
فاستفت نفسك واترك كل قائلـــة غير الحقيقة لا تجنح كمن جنحوا
لا قدر الله إلا كل عاطفـــــــة ما بيننا لوتنـــاء الجسم والشبـــح
ولا سقينا من الأيام غير منـــى تب الحسود وفاز لواله المـــرح (١)

ويرد الشاعر أبوسرور على قصيدة عتابية بعثها إليه صديقه القاضي سعيد بن خلف الخروصي * ، يبين فيها شاعرنا أن عتاب الأحبة من دوام الوصل، فيقول :

لا تلوميه يا حمامات حبـــي إن تغنى معاتبا فنعمـــــــا
إن عتب الحبيب شيء مريح فدعيه يرتاح في العتب يوما (٢)

ويتوحد الشاعر مع صديقه إلى درجة الانصهار في بوتقة صوفية ، حين يقول :

رفـه النفس يا سعيد قليـــــلا إنني أنت لو يعـــــدون إسما
أنت شيخي بصيرتي حد سيفي إن أتى الخصم غالني منه ظلما (٣)

وحين زاره الشاعر الفلسطيني أبو زياد عطاء الله العيزري في منزله عاب عليه – دون قصد – ما كان يرتديه من لباس خلق ، فأجابه أبو سرور بقصيدة أورد فيها نظرته إلى هذه الأمور الشكلية والمظاهر الكاذبة حين خاب أمله فيما يراه حوله ، فأصبحت همومه أكبر وأهم من الأناقة والاهتمام بالمظهر ، يقول الشاعر :

يا صاحبا لي ترعاني مودتـــه حقا ويكبرني في عينه نظـــــرا
رأى علي لباسا بعضه خلـــق ما إن يليق بحالي عند من نظـــرا
فقال لي خل هذا عنك مطرحا والبس جديدا تضاهي السادة الكبرا

---

١. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الإخوانيات ، ص ٤٣ .
٢. أبوسرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٠٥ .
٣. المصدر السابق ، ص ١٠٥ .

* هو سعيد بن خلف بن محمد بن نصير الخروصي ، النخلي قاض فقيه وأديب تولي القضاء في عدد من ولايات السلطنة ، أما الأن فهـو أحـد قضاة محكمة الاستئناف التابعة لوزارة العدل ، انظر – محمد بن راشد ، شقائق النعمان ، ج٣ ، ص ٣٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هنا تأوهت آهات تذوب بها | أحشاء قلبي وأبدت بعض ماسترا
فقدت جنة دنيا كنت أسكنها | سطا الزمان بها يوما وقد غـدرا

إلى أن يقول :

لم تحل لي هذه الدنيا ونعمتها | ونعمتي سلبت ظلما لمن كفرا (١)

ومن نافلة القول أن الشاعر العيزري قد رد بقصيدة رقيقة ضمنها إشادة بأبي سرور وذكرا لشمائلـــه (٢) .

- ٣ -

ومن إخوانيات شاعرنا في هذا المضمار ، رسائله الشعرية التي بعثها إلى بعض مشايخه وإخوانه وأصدقائه ، حاملة صادق محبته ، ومعبرة عن عميق مودته ، أقامها مقام رسائلة النثرية ، من ذلك ما أرسله إلى شيخه العالم هاشم بن عيسى الطائي * من رسالة شعرية ، عمد فيها شاعرنا إلى اظهار مدى تشوقه لشيخه واعترافه بفضله عليه ، ذكرا فيها الصفات والشمائل التي تميز بها هذا الشيخ الجليل ، قائلا :

يا جناحي إن كنت تسطيع حملي فغلى اليمن نحو "بوشر " طرنا **
عرجا بي لنحو بهجة أنســـــي وحياة سعيدة لي وحسنـــــــا
عرجا بي لمن سقاني كؤوســـا ووادا لا غول فيها وحزنـــا
عرجا بين لمن سقاني مزاجـــا من أصول للفقه صرفا مهنـــا
عرجا بي لهاشم خير شيـــــخ منه نلت العلوم فنا ففنـــــــا
من جرى بي في كل ميدان سبق سابق الكل لم يذق قط وهنـــا (٣)

وذلك في إطار من الاعتراف بالفضل والأيادي البيضاء التي أغدقها عليه شيخه الطيواني ، ليتجه بعد ذلك إلى ذكر مشاعره وأحاسيسه تجاهه ، ليبعث إليه بخالص وده وتحياته وما يكنه من مودة صادقة لشيخه ، ولئن حالت الأسباب دون لقائه ، فقد أناب عنه هذه القصيدة ، علها تقضي بعض حقوقه عليه ، فيقول :

---

١. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الإخوانيات ، ص ٦٨ .
٢. انظر القصيدة كاملة في المصدر السابق ، ص ٧١ - ٧٤ .
٣. أبوسرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٣٥ .
* سبقت ترجمتـــه .
** بوشر :إحدى ضواحي منطقة مسقط ،تقع جنوب منطقة الغبرة بها عدة أفلاج وبساتين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أيها الشيخ يا ابن عيسى سلاما | عرفه الود بالوفا ينفحنا
إن يك الجسم لم يصلك فشعري | بابلي أتاك بالروح مضنى
نفثات أبوسرور شداها | تسحر الصب والهوى تسحرنا
ما ثناها عن غزو كل فؤاد | من حروز ولا تعاويذ تعنى
عل هذي تقوم عني بدورا | من حقوق لقدوتي أقضينا (١)

مذكرا شيخه بالأيام الجميلة التي جمعتهما مع أحبابهما في بلدته سمائل ، ومشيرا إلى بعض رجالاتها ومجالسها هناك (٢) .

ويتصل بذلك ما بعثه الشاعر أبوسرور إلى الشاعر المعروف يوسف العظم ، بعد ان سمع شريطا عليه قصائد بصوت الشاعر المذكور ، لاسيما قصيدته التي مطلعها " رجال المجد قد سكنوا الترابا " فهيجت هذه القصيدة في شاعرنا كوامن نفسه ، ولاقت منه قبولا ينسجم مع توجهاته وآرائه ، فقال قصيدة يخاطب فيها هذا الأديب ، وأرسلها إليه ، يقول فيها :

حيه ماجدا وشهما هماما | ليس يرضى أن يعبد الأصناما
حيه في قنابل الموت تردي | غاصبا أرضه محلا حراما
يوسف العظم هزني منك صوت | قد تعالى على السما وتسامى
هز مني حرية تتلظى | تحرق الدهر إن طغى أو تعامى (٣)

في إشارة إلى هذا الأديب ومواقفه الفكرية التي صادفت هوى في نفس الشاعر ، وكأنها عبرت عمافي نفسه ، فهزت وجدانه ، ولكن أبا سرور لم يجد ردا من يوسف العظم الذي حل مكانا خاصا في قلبه ، فخاطبه بقصيدة أخرى ، متسائلا عنه بقوله :

كن حيث شئت ودهري طال أو قصرا | سأركب الجو بحثا عنك دون مرا
وأمخر البحر لو هاجت زواخره | سفينة الصبر عندي خير ما مخرا(٤)

مشيرا إلى الفترة الزمنية التي عرفه فيها بقلبه ، حيث لم يسبق للشاعرين أن التقيا، ولكن روحيهما قد التقتا في محراب الكلمة والفكر ، يقول :

من نحو عشرة أعوام بنيت له | لما سمعت به قصرا سما قدرا
شيدته بين أضلاعي وفي كبدي | ولم يزل يتسامى كلما ذكرا
إلى متى يتجلى في تأنقه | وصاحب القصر لا يدري به خبرا (٥)

---

١. أبوسرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٣٦ .
٢. المصدر السابق ، ص ١٣٧ .
٣. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٧٧ .
٤. أبو سرور ، قصيدة مخطوطة ، ص ٢ .
٥. أبوسرور ، قصيدة مخطوطة ، ص ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ٤ -

وللشاعر قصائد قالها مشاركة وجدانية وهو يشاطر صديقا له أحزانه أو مسراته ، حاول في بعضها أن يتقمص شخصية صديق له كان يعمل في "مصيرة"، وعندما زاره شاعرنا وجد أن الحمى قد أخذت منه ، ولا شك أن الإنسان في غربته يتضاعف عنده الألم ، لا سيما إذا كان بعيدا عن أهله وبنيه ، ومن هنا عبر الشاعر عن تلك الأحاسيس وهو يخاطب الحمى قائلا لها :

أما ترحمي هذا الغريب وقد وهى ... فبات سهيرا لم يفق من أنينه
نأى عن بنيات صغار كأنها ... عصافير في عش أسير حزونه
أليس لذا رحمى وجفن ومدمع ... تخفف عنه وطأة من شجونه (١)

ويبشر صديقه بأن موعد لقائه بأحبابه قد قارب ، وكأنه قد رأى أن ما به كان نتيجة شوق يعانيه فيخاطبه بقوله :

وبشرى لمن يشكو النوى أن وصله ... إلى حبه قد فاح عن ياسمينه
قريب قريب يلتقي كل شيق ... بمشتاقه والشوق ملء عيونه (٢)

وفي هذا الإطار ما يندرج تحت الردود التي بعثها الشاعر إلى أصدقائه ردا على رسائلهم الشعرية والنثرية التي تبادلها شاعرنا مع إخوانه ، وكثيرا ما كانت هذه الرسائل التي يتلقاها من أصدقائه سببا في شحذ قريحته وحافزا في تأجيج أشواقه ، من ذلك ما كتبه إليه صاحبه الأستاذ حبراس * من قصيدة يذكره فيها بسابق عهدهما حين كانا أخوين متلازمين فرق الدهر جمعهما ، مذكرا إياه بالمجالس الأدبية التي جمعتهما في ربى سمائل .

فيرد عليه شاعرنا بقصيدة طويلة ، استهلها بمقدمة بث فيها أشواقه إلى بلده الحبيبة وأهلها ، فتحسر على فراقها ، وصور ألمه اللاذع ووجده المض،كما صور عواطفه تجاه بلده وأهلها فيقول مؤكدا حفظه للمودة وبقاءه على العهد السابق :

---

١. أبوسرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٢٤ .

٢. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ١٩ .

* حبراس : هو حبراس بن شبيط بن لافي السموئلي ، اشتغل بالشعر انصبت قريحته فيه ، وهو ذو صوت رقيق معجب مطرب ، سلك مسلك الأديب القاضي أبي سرور ، انظر ، محمد بن راشد ، شقائق النعمان ، ١٢٩/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باق على الود يا حبراس باقينـــا | فابعث بشوقك تستهو المشوقينـــا
باق على الود ما غنت مطوقـــة | تشدوا الوفاء على أيك الوفيينـــا
يا شاكي الشوق والأشواق مؤلمة | إن تشك شوقا شكونا نحن سبعينا (١)

إلى أن يخاطبه بقوله :

ياحادي المجد والتاريخ من بلـــد | إليه تنتسب العلياء تدوينـــــا
هيجت قيسا على ليلى فكيف ترى | عواقب الذكريات للذكيينـــــا
قيس أنا ذاك ليلاه ومغرمـــــه | سمائل هل تراني ثم مغبونـــا (٢)

وتتزاحم في القصيدة المشاعر الصادقة التي أثارتها غربة الشاعر عن بلده ، وهيجها فراقه عن أحبته وأشعلتها رسالة صديقه حبراس ، فاسترسل شاعرنا في ذكر أهالي وأفاضل رجالها وقادتها وعلمائها ، وكل شيء يذكره بسالف عهده فيها . ويختم القصيدة بمخاطبة صديقه الشاعر في أبيات متفرقة منها، يناديه فيها قائلا :

حبراس حبراس هل حسبي أقول هنـا | أم أرسل الشوط مصحوبا تشاجينا
حبراس حركت أشجانا على مهجـــي | ما كنت أعمد في تحريكها حينـــا
فاخربها إن تشا يوما وهن بهـــــا | ومن يشا الأنس ألفاها بساتينا(٣)

وبعث إليه الأديب سالم بن عامر الزهيمي من " جعلان " برسالة شعرية ضمنها أشواقه ، فأجابه شاعرنا بقصيدة تكاد أن تكون قصيدة غزلية حين أثنى على قصيدة صاحبه ، ولولا الإشارة إلى أنها إجابة على رسالة أخوية لذهب بنا الأمر إلى إدراجها تحت شعر الغزل ، شبه رسالة صديقة بفتاة جميلة ، أودعها مبادلة الأحبة الشوق والحنين إلى اللقاء ، يقول :

بيانك يا جعلان وافى سمائـــلا | فدانى سماها شأوه ومفاخـــــره
أتتني من آل الزهيمي غـــــادة | بها من فنون السحر ما كل حاسره
فتاة بيان تحسد الشمس نورهـــا | لها سجدت من كل حي جبابـــرة
براحتها أرواح كل مهـــــذب | أتقتل صنديد الكفـــــاح جآذره
هبيني حياتي أن ترى الناس قاضيا | صريع غرام لم تفده بواتـــــره (٤)

---

١. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ٣٩ .
٢. المصدر السابق ، ص ٣٩ .
٣. المصدر السابق ، ص ٥٧ ، ٥٨ .
٤. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الأخوانيات ، ص ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإبان إقامة شاعرنا بدمشق عام أربعة وستين وتسعمائة وألف للميلاد كتب إليه صديقه الشاعر عبدالله الخليلي رسالة نثرية ، فأجابه عنها بقصيدة أودع فيها مشاعره الأخوية ، مصورا حالته وهو يحاول الرد على هذه الرسالة حينما كانت تسابقه دموعة لتذيب ما يكتب ، فيقول :

جار الزمان مفرقا أجسامنـــــا إلا الصبابة ما استطاع تبابها
لم أنس تقديمي تحية نـــــازح تجلو كهولة حالتي وشبابهـــا
لكنني ما اسطعت من اثر النوى نطقا وعيني ما أسح سحابها
ما رمت أسبك باليراع جمانـــة إلا وأسرع مدمعي فأذابهـــا (١)

وحيث أن هذه الرسالة قد أنشأها شاعرنا وهو يعيش في الغربة ، فإنه لم ينس أن يشير إلى بعض مواقفه وأمانيه من العودة إلى أرض الوطن ، بعد أن طالت به غربته فيقول :

الحر يسعى للعلى لا ينثنـــي سيان صادف عذبها أو صابها
يا جد إن كنت الرحيم بعاشـق فأنا بها دنف أود ركابهـــا
عدني إلى بلدي عمان مسارعا بلد الهوى قد أبهجت كتابهـــا
عدني إليها كي أحوز مكانتـي فيها وأصحب أهلها أقطابهـــا
عدني إليها كي أقوم بواجبـي وطنا وإسلاما وألزم دأبهـــا (٢)

وللشاعر في هذا الموضوع قصائد كثيرة أجاب فيها على طائفة من الشعراء الأصدقاء الذين كانوا قد بعثوا إليه برسائل شعرية أو نثرية ، سواء أكان من داخل عمان أم خارجها . وكان الشاعر يراعي في كل قصيدة حال من يرسل إليه ويخاطبه ، فإن وجهها إلى صديق له اهتماماته السياسية وارتباطاته ، فإنه ينوه إلى مواقفه ويشير إليها ، منها قصيدته التي رد بها على رسالة الشيخ محمد السالمي نجل الإمام نورالدين السالمي *، المعروف بتجديده لنظام الإمامة في

١. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٨٩ .
٢. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٩٠ .

* هو السيد العميد المحقق نورالدين عبدالله بن حميد بن سلوم بن عبيد السالمي ، من بني ضبة (١٢٨٦ هـ - ١٣٣٢ هـ) انتهت إليه رئاسة العلم في عمان ، شهر بتأليفه الجمة في مختلف الفنون الشرعية والعربية ، وكان ضريرا ، قوي الذاكرة نافذ البصيرة ، انظر محمد بن عبدالله السالمي نهضة الأعيان بحرية عمان ، دار الكتاب العربي ، بمصر ، د. ط ، د.ت، ص ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمان ، إذ نوه ابوسرور بهذه الاهتمامات وتلك المكانة والجهود (١) .

وعندما رد على قصيدة بعثها إليه الشاعر سالم بن سليمان الرواحي فإنه تذكر مكانة هذا الشاعر ونسبه الذي ينتهي إلى قبيلة بني رواحة الذين كان لهم فضل مناصرة الإمام عزان بن قيس * واحتضان العالم الكبير الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي من ناحية ، وهو أيضا ابن أخ الشاعر الحماسي المعروف أبي مسلم الرواحي ، ولذلك استثمر الشاعر هذه المعطيات فراح يشيد بالشاعر وقومه .(٢)

وله مع الشاعر الفلسطيني أبوزياد العيزري المقيم بالزرقاء في الأردن جولات شعرية ومراسلات أدبية أفصحت عن لواعج الشاعر واهتماماته الذاتية والقومية .

وفي رسالة شعرية أجاب فيها على صديقه محمدعبدالقادر الوصيفي في مصر أودع بعض صفاته الذاتية ، منها ترفعه عن المديح والهجاء ، وفخر فيها بنفسه وشعره (٣) . وفي رده على الأستاذ محمد بوزياد بنعلي من المغرب يتطرق الشاعر إلى هموم الأمة ومعاناتها من التفتت والضياع مودعا فيها الكثير من مواقفه ومشيدا بصاحبه (٥) .

— ٥ —

وكثيرا ما يتذكر الشاعر أيام المودة والصداقة ، فهو من الذين يتشبثون بصداقاتهم ، ويكن الولاء لمن أحب ، ويبكي من يرحل عنه ، ومن هذا القبيل قصيدته التي قالها في صديقه الفلسطيني عطاء الله العيزري ، وقد بعثها من عمان الى تعز باليمن حين إقامة صديقه هناك معلما ، ويخاطب اليمن قائلا :

يا أم يا أم ضيفا حل ساحتكم | من حضرة القدس أستاذا سما فينا
أتى عمان فأسكناه مهجتنـــا | ولم يزل ساكن الأحشا بوادينـــــا (٥)

---

١. أبوسرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٤٢ .

** هو الإمام عزان بن قيس بن عزان بن قيس البوسعيدي ، أحد أئمة عمان في نهاية القرن الثالث عشر الهجري ، انظر المصدر السابق ص ٢٤١ .

٢. أبوسرور ، ديوان : إلى أيكة الملتقى ص ٨٦ .

٣. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ١٤ ، ١٥ .

٤. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٩٧ - ١٠٠ .

٥. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الإخوانيات ، ص ١٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلتفت إلى صديقه العيزري واصفا مكانته عند الشاعر ، ومشيرا إلى أثر فراقه عليه قائلا :

أخي عطاء سلاما من جوانحنا | أزجي إليك وتحتان المحبينا
رحلت عنا ولم تبرح محبتكم | ما بيننا لم تحاول أن تنائينا
خلفت يا عيزري المجد أفئدة | تهفو إليك ولم تبرح تناجينا (١)

وهذا الأديب ما إن أقام في عمان مجاورا لشاعرنا حتى تأصلت صداقتهما ، فكانا يتبادلان القصائد ويبثان الأشواق ، وحصل ذات مرة أنهما كانا على موعد للقاء ، فتعذر على شاعرنا الوفاء لعطل فني في سيارته ، فأرسل أبوسرور قصيدة اعتذار إلى صديقة العيزري يقول فيها :

نزح الحبيب ومسني التبريح | وطفقت أبكي في الورى وأنوح
بلغ عطاءالله أن حبيبه | أبدا يحن وجفنه مقروح
لكنه فقد الجناح وما له | ريش يرف به هوى ويروح
طلب الحمامة أن تعير جناحها | فإذا بها وجناحها مجروح
وأتى الصبا ونسيمها فتعثرا | خوف الرقيب وعاكستها الريح (٢)

وفي الحقيقة أن هذه الشخصية قد استأثرت بقصائد عدة نظمها الشاعر فيها ، ويمكن أن تعد من أرق أخوياته لفظا وأحرها عاطفة وأكثرها صراحة .

ويؤكد الشاعر أن صداقته ثابتة ومودته دائمة ، لا تغيرها الأيام ولا يؤثر عليها تنقل الأحباب ، ففي أي مكان يحلون فمكانتهم في قلبه ، يقول في رده على رسالة الأستاذ محمد بن عبدالقادر الوصيفي هذه الأبيات :-

ذكرى الأحبة لم تزل بفؤادي | في مصر كانوا أم على بغداد
أم ضمهم للشام ريف جماله | أم ريف صنعا منبت الأجداد
نزحوا وما زالت خيام سكونهم | منصوبة بحدائق الأكباد(٣)

ويبث الشاعر في رسالة بعثها إلى الأديب محروس السلاموني شكواه من الدهر الذي ديدنه التفريق بين الأحبة وقطع حبل الوصل ويغبط الخلي الذي ينام هانئا قرير العين فيقول :

---

١. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الإخوانيات ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .
٢. قصيدة مخطوطة ، ص ٣ .
٣. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الأخوانيات ، ص ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إني خبرت الدهر في أخلاقه | فرأيت فيه الغدر والتنكيدا
ما أتعب العقلاء في أيامنا | حقا وأ هنا خاملا وبليدا
لولم تكن إلا جرائم بعده | بين الأحبة ما أردت مزيدا (١)

وقد تعود الشاعر على مخالطة الناس ومجالستهم ، يتذاكرون الأدب والفقه ، وكان للشاعر أصدقاء يسمرون عنده ، فحدث أن مضت ليلتان ولم يحضر أحد منهم ، فأقلقه ذلك . لذا أنشد قصيدة يتشكى فيها من فراق الأحبة ، والتي تعبر أيضا عن نمط الحياة الاجتماعية في بلاده ، حيث يقول :

أحبائي ومالي لا أنادي | أحبائي أعزائي الأجلا
هجرتم مجلسا لكمو رحيبا | وأنتم لستم للهجر أهلا
فان تك علة فلعل عندي | مراهم قد تداوي ما أعلا
ألستم تعلمون صريح حبي | وما أخفيه أكبر لو تجلى (٢)

ولأن الشاعر وقد وطن نفسه على حياة اجتماعية حافلة بالأصدقاء والمعارف ، نراه يدعوهم الى أغتنام فرصة اللقاء ومواصلة المودة ، حين يقول :

فهلا تكثر اللقيا حبيبي | فإن الافتراق يكون نصلا
وما الدنيا وإن طالت علينا | بأكثر من ثوان أو أقلا
أتختلس الليالي ذي الثواني | ولا نقضي بها للمجد شغلا (٣)

- ٦ -

ومما يتصل بإخوانيات شاعرنا مراسلاته العلمية التي كان يتبادلها مع مشائخ العلم والأدب ، والتي يتناولون فيها جوانب من القضايا الفقهية واللغوية والحياتية المختلفة .

وعادة ما يستهل الشاعر مراسلاته هذه بالمديح الرقيق والثناء الجميل للشيخ المسئول ، ومن هذا القبيل مراسلاته مع العالم الشيخ حمد بن عبيد السليمي والشيخ الجليل عبدالله بن علي الخليلي والأستاذ الشيخ موسى بن عيسى البكري ، وغيرهم . يقول في مطلع قصيد وجهها إلى شيخه العالم حمد بن عبيد السليمي :

---

١. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ١٤٩ .
٢. أبوسرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٥٨ .
٣. المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كالعالم النحرير بدر زمانـــه | للمهتدين وطوده المتسامـــي
حمد سليل عبيدن الرجل الذي | أضحى الإمام أمام كل إمـــام
إني اليك أبا عبيد أنتحـــي | فيما عنى لا زلت بحرا طامي *
وإليك باقات السلام تحيـــة | طويت ببحث في لفيف نظـام (١)

ويعرض عليه بعد هذه المقدمة عدة أسئلة فقهية يجيب عليها الشيخ ،ويسأل شاعرنا في حكم الشرع حول استخدام موانع الحمل ، ويوجه سؤاله لصديقة الأديب الفقيه ، عبدالله بن علي الخليلي ، وقد ابنى سؤاله متقمصا شخصية المرأة التي تتساءل بدروها عن هذا الحكم وهي خجلة ، فيدلها أبوسرور على الخليلي قائلا :

هديت هذا الفتى النبراس سيدنـا | أبو علي رفيع الشأن والحســـب
عبدالإله سليل الصيد من يمـــن | المرتقين مقاما هامة الشهـــب
طودبه قرت الفصحى وطار بها | صيت له قد حلا في ألسن العـرب
هو الكريم فلا يأوي لمنقصـــة | أبت له الشم من آبائه النجـــب (٢)

وبعد أن يفيض في ذكر حسنات ممدوحه يقول على لسان الفتاة :

أشكو حبيبا إذا فاضت جداولـــه | في حقله وقضى حقا على رغـب
رمى عقاقير في المجرى ليمنع من | نبت نضير بذاك الحقل لم يهـب
هل ذلكم في كتاب الله حـــلل أو | في سنة أشرقت كالشمس لم تغب(٣)

ويتبادل الشاعر الأسئلة مع الخليلي ، فيسأله الخليلي هذه المرة عن مسألة فقهية يبدأ بمقدمة غزلية تناسب مقام السؤال وفيها إطراء لأبي سرور في قوله :

يا ابن ودي هاكها حائـرة | وهدى الحائر أقصى بـــره
يا حميد بن سرور خذلهـا | ذمة الدين تعش في إصـــره
فخذ الحبل وأرشدها إلـــى | ساحة الله ومجلى أمـــره
فلأنت العلم الفحل الـــذي | راض خير الابتلا من شـره
وسعى منذ الصبا مكتهـلا | صامدا في حلوه أومـــره (٤)

---

١. حمد بن عبيد السليمي ، قلائد المرجان ، ص ٢٢٣ .
٢. عبدالله بن علي الخليلي ، بين الفقه والأدب ، مطابع النهضة سلطنة عمان، ١٩٨٨م ، د .ط . ص ١١٢ .
* حذف الشاعر الفتحة التي هي علامة إعراب من آخر الاسم المنقوص " طامي " وفي الأصل " لانزلت بحرا ظاميا " ولكنه عمد الى ذلك بفعل الضرورة الشعرية تشبيها للمنصوب بالمرفوع والمخفوض ، انظر – ابن عصفور ، ضرائر الشعر ، تحقيق السيد ابراهيم محمد ، دار الأندلس ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٢م .
٣. عبدالله بن علي الخليلي ، بين الفقه والأدب ، مطابع النهضة سلطنة عمان، ١٩٨٨م ، د.ط ، ص ١١٣ .
٤. المصدر السابق ، ص ٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما نص سؤال الخليلي له ففيه شيء من الكناية والرمزية حين يقول :

في مشوق بات يجتر المنى ... بحبيب واقع في أسره
هيأته نعمة الله له ... دوحة يانعة في بهره
ورعته بعيون الحل عن ... دمية كم لعبت في قصره
طائشا والنوم في مقلته ... طافح يهوي به في وعره
يسلك الدرب التي لم يدرها ... وهي الأخرى كذا لم تسدره
يخلط الحابل بالنابل في ... سرحها حتى هوت في حجره (١)

إلى أن يقول :

درب زيد ما لعمرو طرقها ... عامدا يا خطأ من عمره
هكذا كانت توافيق القضا ... وهي سرفي حنايا ظهره (٢)

ولا شك أن موضوع السؤال هنا يستدعي النورية وعدم المباشرة في الخطاب ، وفي جواب شاعرنا على هذا السؤال ، خاطب صديقه السائل معترفا له بالفضل قائلا له :

يا خليلي جئتني مستفتيا ... هل أنا أهل لفك أسره
سيدي قد صرت لي معلما ... لم تزل أستاذ شعر سحره
أنتم في العلم بحر والورى ... كلهم في وشل من نهره
ما أنا إلا أسير رشدكم ... أو يوارى هيكلي في قبره (٣)

وبعث إليه شيخه الأستاذ موسى بن عيسى البكري بسؤال فقهي ، قدم له بمدح أبي سرور ، وقد أجابه شاعرنا بتواضع جم ، مبينا أنه كان ولا يزال من تلاميذ السائل، حين يقول :

كيف ترى هذا يرى ... شيخي يشا أجوبتي
لو صرت مثل جابر ... له أيادي المنة
ما زلت تلميذا له ... شبيبتي وشيبتي
هل شدة أني أنا ... قاض ، أقاضي البصرة (٤)

ومما ينبغي الإشارة إليه أن هذا اللون من المراسلات الفقهية والعلمية فقد انتشر في عمان انتشارا واسعا ، حين كان الأدباء والعلماء يتبارون في طرح الأسئلة والإجابة عنها .

---

١. عبدالله بن علي الخليلي ، بين الفقه والأدب ، ص ٦٣ .
٢. المصدر السابق ، ص ٦٣ .
٣. المصدر السابق ، ص ٦٦ .
٤. موسى بن عيسى البكري ، السمؤط الذهبية ، في الأسئلة والأجوبة الفقهية والأدبية ، مطبعة النهضة ، سلطنة عمان ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ص ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ٧ -

وتمثل المساجلات الشعرية ملمحا من معالم الروابط الأخوية والمشاركة الوجدانية ، حين يطرح أحد الشعراء فكرة معينة تصلح أن تكون موضوعا للمساجلة، فيستثير إخوانه الأدباء للنظم في تلك الفكرة مع الالتزام بنفس الوزن والقافية .

ومن هذا القبيل ما كان بين شاعرنا وعدد من إخوانه شعراء سمائل ، الذين كانوا كثيرا ما يجمعهم مجلس من مجالس سمائل الأدبية من أمثال الشاعر عبدالله بن علي الخليلي ، وموسى بن عيسى البكري ، وعلي بن منصور الشامسي،ولفيف من الأدباء والشعراء الآخرين . وكان أن اجتمع المذكورون وأبو سرور وعدد من أدباء سمائل للحكم في دعوى رفعها الأديب علي بن منصور الشامسي على صديقه ابي سرور ، تتلخص في عدم قيام أبي سرور بعيادته أثناء مرض ألم به . فعقدت تلك الجلسة للحكم في هذه القضية برئاسة الشيخ عبدالله بن علي الخليلي ، وألقيت القصائد بهذه المناسبة ، وهناك دعا الخليلي الشعراء إلى مساجلة شعرية ، يتحدثون فيها عن سمائل ومكانتها . فنظم شاعرنا قصيدة بعنوان " حداة الوغى " يقول في مطلعها :

نسيم الإخا هبي بعرف الفضائل وحي العلى في وعرها والخمائل
ولا تقفي فالمجد والجد والوفا بتربتنا البيضاء منذ الأوائل(١)

وقد ذكر في قصيدته أصدقاءه الخليلي والبكري والشامسي ، ولكنه عندما قام بطبع كتابه " باقات الأدب " حذف عددا من أبيات قصيدته ليجعل الخطاب فيها عاما دون تخصيص ، حين قال في آخرها :

فيا أدباء لعصر أنتم على العدى حداة الوغى طول الضحى والأصائل
ويا قادة العلياء والدين والوغى بكم تكشف الغماء يوم التنازل (٢)

وكان قد قال في القصيدة الأم قبل تعديله فيها :

هلم إلى الميدان موسى فإننا لنفخر من ترقى ظهور الصواهل
هلم وهذي العاديات ضوابح* تشق بنا الميدان بين الجحافل

---

١. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٥٢ .
٢. المصدر السابق ، ص ٥٣ .
* ضبحت الخيل في غدواها ، تضبح ضبحا ، اسمعت من أفواهها صوتا ، ليس بصهيل ولا حمحمة ، وهو صوت أنفاسها اذا عدون ، وضوابح جمع ضابح ، وهو جمع شاذ ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ٢ ص ٥٢٣ ، مادة " ضبح " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولله شمس الخزرج الغركم لهـــــم على صفحة الأكوان تاريخ عامـــل
إذا الدهر أرخى ككل البغـــي والأذى تجلى له من شمسهم ضوء باســـل
كمثل ابن منصور الكمي أخي الوغـى به تتجلي الجلى لدى كل هائـــــل
بـدارا إلى اللقيا بدارا إلى العلـــــى علي وموسى نجل بكربن وائـــــل
إلى الحلبة الأخرى هلم هديتمـــــا نلبي لدى قطب البيان الحلاحـــل
أبي الفضل عبدالله عمدة أمرنـــــا ومفزعنا في كارثات المعاضـل (١)

في إشارة إلى أصدقائه المذكورين ودعوته للأخرين بتلبية نـداء الخليلي للمشاركة في تلك الحلبة .

وهنا شارك الخليلي نفسه بقصيدة مطلعها :

خليلي من أحياء بكربن وائـل قفابي على الحباس " وقفة باسل
ولا تقفا حول " القديمة " إنها مخبأة تحت القنا والقنابـــــل

وبعد ذلك يخاطب الخليلي صاحبيه أبا سرور والبكري بقوله :

بني وطني حقا علـــــــي ولاؤكم إذا ما المنايا أمعنت في البواسـل
سلام على موسى بن عيسى اذا انجلى بمتن المجلى من نعامة وائـــــل
سلام عليه في المكارم والنـــــدى وطعن الكلى في الموقف المتبادل
ومن كحميد وهو في عاتق العلـــى على طيء سيف القضاء لخاتـــل
ومن كحميد في حديد لسانـــــــه وعضب مضاه في دخان النوازل (٢)

والخليلي هنا يشيد بالشاعرين موسى بـن عيسـى البكـري وأبـي سـرور اللذيـن لبيـا دعوته في المساجلة الشعرية ويهنئهما على عطائهما بتلبيتهما تلك الدعوة فيقول :

ليهنكما الميدان مـــــن ألف غلوة بداحس والغبراء بين الصواهل
لئن كنتما من يعرف السبق في الوغى فما هي إلا نخوة من عباهـــل (٣)

ويعاتب صديقه الشامسي الذي لم يشارك ، بقوله :

وما لابن منصور عن السبق محجما كأن العنان منه موهون كاهـــــل
هلم ابن منصور إلى الرحم التـــي قطعت ففي الأرحام وصل لواصـل (٤)

---

١. شريط مسجل بصوت القارىء – حبراس لقصيدة الشاعر .
٢. عبدالله بن علي الخليلي ، وحي العبقرية ، ص ٣٢٦ .
٣. المصدر السابق ، ص ٣٢٨ .
٤. المصدر السابق ، ص ٣٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم نظم البكري قصيدة بعنوان " مسرحية الوصف " يقول في مطلعها :

خليلي عوجا بي لفيحا سمائل مقر الندى والاهتدا والفضائل

ذاكرا عددا" من فضلاء سمائل ورجالاتها ولم تفته الإشارة إلى زملائه الشعراء ، ويشير إلى أبي سرور بقوله :

وشاعرنا الحالي حميد فإنـــــه مجيد القوافي ما له من مطاول

تصرف فيها حين ألقت زمامها عليه فأضحى مثل سحبان وائل (١)

وفي نهايتها يذكر استجابته لدعوة شاعري مصره حين يقول :

ويا شاعري مصري أجبت لدعوة بدت منكما والحرب عند التساجل (٢)

ويتبين لنا أن الشاعر قد اتخذ أشعاره الإخوانية وسيلة للتعبير عن عواطفه ومشاعره نحو أصدقائه ، وما يختلج في نفسه هو . وكان في كثير من الأحيان ينيب مكاتباته الشعرية مقام رسائله النثرية ، ومن هنا كانت هذه القصائد تتسم بالسهولة وتتوجه بالخطاب الى المرسل اليه ، والذي عادة ما يحظى بنصيب كبير من الثناء والتقدير .

ويظهر لنا مما عرضناه من نماذج أفضينا في ذكرها ، أن مراسلاته الإخوانية تتم بشكل واضح عن خلجات الشاعر، وتفصح عن مشاعره الفياضة تجاه إخوانه وأصدقائه .

سادسا" : أغراض أخرى

فضلا عن الأغراض الرئيسة التي أشرت إليها في بداية هذا الفصل ، فإن الشاعر نظم في أغراض أخرى كالفخر والزهد والشكوى والحكمة . والملاحظ أن ما نظمه في هذه الأغراض أقل بكثير مما نظمه في تلك الأغراض. لذا ارتأى الباحث أن يجمعها تحت عنوان " أغراض أخرى "، وهي بمجملها جزء لا يتجزأ من إبداع الشاعر وإن كانت لم تشغله كثيرا ، أو أنها لم تنل من اهتمامه ما نالته الأغراض الرئيسة ، إلا أنها تبقى نماذج صادقة تعكس كل ما يختلج في أعماق الشاعر . فالشاعر الحق من استطاع النظم في كل الفنون بالجزالة ذاتها، وبالمقدرة نفسها . فالنتاج بمحصلته النهائية محسوب على الشاعر، سواء أجاد فيه أم أخفق ، وسواء دب اليه الوهن أو استأثر بالجزالة ، فقد ينظم الشاعر قصيدة واحدة في أحد الأغراض ،وقد يجعل ديوانا كاملا وقفا على غرض واحد

---

١. محمد بن راشد الخصيبي ، شقائق النعمان ، ج٢ ، ص ٧٠ .

٢. المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولأن أبا سرور شاعر مكثر في نتاجه الشعري ، لذا فقد تنوعت أغراضه الشعرية ونالت حصتها من اهتمامه وأفرد لها مساحة من ديوانه المطبوع والآخر المخطوط . وهذه الأغراض هي الفخر والشكوى والزهد والحكمة التي سنعرض لها في هذا المبحث أسوة بالأغراض الأخرى اتماما لمتطلبات البحث ولكي لا نغفل أي جانب – مهما قل – من نتاج الشاعر .

١- الفخـــــــر

درج الشعراء في مختلف عصورهم على الحديث عن خصالهم الذاتية والتباهي بها ، معددين محاسنهم مقرنين ذلك بالحماسة وبشيء من المبالغة والتهويل ، قاصدين من وراء ذلك إرضاء نزعات النفس الإنسانية وتوقها الدائم إلى الفخر والعلياء .

وقد ذهبوا في ذلك مذاهب شتى بين مبالغ إلى حد الخيال ، وبين واقعي قصد تخليد محاسن أهله وعشيرته ونفسه . ونال الفخر نصيبه من اهتمام شاعرنا أبي سرور وإن لم يفرد له قصائد بعينها ، بل جاءت معظم نماذجه مبثوثة في ثنايا الأغراض الأخرى . اذ توزع بين فخر بالنفس النابع من سجايا الشاعر التي جبل عليها ، من الاعتداد بالنفس والترفع عن صغائر الأمور ، وبين فخر بالعشيرة وكرم المحتد .

ولأنه نشأ وتربى في بيت كريم يبجل الكرم والمروءة ، فقد نالت هذه الصفات الحميدة حظا وافرا من فخر الشاعر . وطالما تكررت هذه الألفاظ وأخذت حيزا كبيرا من قصيدة الفخر . فالكرم مثلا وحسب تعبير الشاعر لم يكن شيئا طارئا في حياته ، بل هو متجذر في سجايا آبائه وأجداده ، لذلك نراه في إحدى قصائده يقول :

فإذا بذلت الجود في أربابـــــه فلحقهم ولشيمتي ومقامـــــي
لم يمض مال أبي وأجدادي الألى إلا بأيدي الجود والإنعـــــام (١)

ونجد أن الشاعر يبالغ كثيرا في إكرام ضيفه إلى الحد الذي دفعه للقول :

لو حل شرعا أكل لحمي في القرى لشويته أكلا لضيف مقامـــي
فأنا المقصر في الأحبة دائمـــا والله يستر حالتي بســـلام (٢)

---

١. أبوسرور ، ديوان إلى أيكة الملتقى – ص ٧٦ .
٢. المصدر السابق ، ص ٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويفخر الشاعر بثباته على مبدئه وقوة عزيمته ، رغم ما يتعرض له من شدائد تمتحن فيها معادن الرجال ، ويختبر فيها جلدهم . فالأحداث وإن توالت فهي عاجزة عن زعزعة الشاعر وإضعاف همته ، لذلك نراه يشبه نفسه قائلا :

ألا فجري ما شئت من كل كائد ... فإني على الأعداء شر المكائد
أنا سد ذي القرنين ما زلت شامخا ... فإن رام يأجوج ظهورا يجالد (١)

وهو لا يكتفي هنا ببيان ثبات موقفه ، بل يمزج فخره بحماسة بينة ، ذاكرا فيها شجاعته وإقدامه حين لا يخاف الموت ولا يأبه بكيد أعدائه مهما أوتوا من قوة وجبروت :

أبت همتي حتى ترى الدهر عزمتي ... فعزمي موسى والعصى من معاضدي
ولست أهاب الموت في العز والهدى ... وموتي على مرضاة ربي محامدي(٢)

ويخاطب الزمان في تحد وكبرياء ، فهو غير مكترث بإقبال الزمان أو إعراضه ، لأنه قد وطن نفسه على تحمل المشاق ، وهو لا يكتفي في هذا الموضع بتحدي الزمن ، بل يذكره بما كان بينهما في سالف الأيام ، وكيف خرج أبو سرور من تلك المحن منتصرا ، يقول :

أنا ما رضيت من الزمان بمارضي ... أقبل زماني إن تشا أو أعرض
إن كنت تطمع أن تراني خانعا ... فسل المهند في كريم المقبض
أنا من عرفت ثباته يوم اللقا ... وشباته لأخي تحد معرض
فالله عندي والإبا وأسنتي ... والحق عندي رغم أنف المعرض(٣)

ويفتخر أيضا بما جبل عليه من شمائل جعلته يترفع عن السؤال وطلب الحاجة ، ومن عفة منعته عن التكسب بالشعر أو الخضوع لنير الظالمين ، فليس من شيم الأحرار قبول الذل أو الاستكانة :

وإني غني النفس في كل موطن ... وإن غناء النفس للحر حاكم *
وإني على زندي أقمت معيشتي ... فما دعني عمرو ولا جاد حاتم
فطورا تراني عند معول خدمتي ... أجيرا وطورا للمعالي أزاحم
ولم أك طأطأت الرؤس لظالم ... وما الذل للأحرار إلا جرائم (٤)

---

١. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب - ص ٣١ .
٢. المصدر السابق ، ص ٣١ .
٣. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، آراء ، ص ٢٠١ .
٤. أبوسرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٨٣ .
* غناء ، الغناء ، بفتح الغين ممدود : الإجزاء والكفاية وهو مصدر أغنى عنك أي كفاك انظر ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ١٥ ص ١٣٨ ، مادة " غنا" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصون كلماته من أن تلج دروب التكسب ، فحسبه ، ما يملكه من كنوز الكلم وسحر البيان ، يقول :

أقلده مجدا ولست بطالـــب | به قط مالا والمهيمن عالـــم
فعندي كنوز ليس تنفد دائما | إذا نفدت من كنز نفط دراهم (١)

ويتناهى إلى سمع أبي سرور أن هناك من يعيب عليه مبالغته في الفخر بنفسه والاعتداد بها ، فما كان منه الا أن رد عليهم مفتخرا بأسلوب فيه شيء من التحدي حين يقول :

ولست أبالي إن يقل أي جاهل حميد كبير النفس لا يتصغر
لقد صدقوا إني على كل فاسق كبير كبير لم أزل أتكبـــر (٢)

وبحكم تربية الشاعر المحافظة ونشأته الدينية ، وخصاله الذاتية، فقد ترفع عن الدنايا من الأمور ، وصان لسانه من الخوض في أعراض الناس أو التعرض لمثالبهم حين يقول مفتخرا :

لست أهلا لمس عرض بسوء فكرام الرجال حرب لبطـــل
أدبتني شريعـــة الله عن أن أجرح الناس في مقال وفعـل
لست والله ابن لـــــؤم ولكن ابن دين وما الوفا غير أهلي (٣)

وتتسع مساحة الفخر عند أبي سرور لتشمل فخره بنسبه وأسرته وأجداده الذين ورث عنهم الصفات الحميدة ومكارم الأخلاق ، وقد انصب فخره على ما اتصفت به أسرته من تقوى وصلاح وبعد عن الغي والهوى ، لذلك نراه يقول في قصيدة بعنوان " موقفي "

فطرت بعيص العز والعز جوهري ومن بلد أبناؤه كل ماجـــد *
ومن أسرة لم تعرف الغي والهوى كرام نجار من كرام أســـاود
فما فتحوا عينا إلى غير طيـــب ولم يرهبوا يوما جيوش معاند (٤)

ولم يكن في فخره ضيق الأفق ، لذا اتسع هذا الفخر ليتجاوز الأسرة الى عموم القبيلة . ولأنه وفي لأترابه فقد نالت مدينته سمائل خصتها من فخره ، ومرجعه في ذلك التقوى والصلاح :

---

١. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٨٣ .
٢. أبو سرو ، الديوان المخطوط ، آراء ص ١٩٧ .
٣. أبوسرور ، ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ١٠٤ .
٤. أبو سرور ، ديوان : باقات الأدب ، ص ٣١ .

* العيص : منبت خيار الشجر ، وعيص الرجل منبت أصله ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ٧ ، ص ٥٩ مادة " عيص " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعربي إذا انتميت لأصلـــــي | والتقى والإبا هما ميزانـــي
جامعي سمائلي بيـــــاني | ليس تخفى صحائفي ومكاني
ورثتني الآباء سيفا وسفـــرا | وارتقائي إلى العلي عنوانـي (١)

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه من اتساع فضاء فخره ؛ قصيدته " روضة الألباب " التي يفخر فيها بأهالي بلدته سمائل ، وعلو كعبهم في الكرم والشجاعة ، وهي تمثل جزءا من وفاء الشاعر لأهالي بلدته حين افتخر بهم قائلا :

الرافعين بنود المجد عاليـــة | والخافضين من الأعدا أعاليها
والفاتحين نوادي الجود مكرمة | لا يبخلون بما أوتوا لعافيهـــا (٢)

وتأخذ صيغة " الأنا صيغة المجموع وتتحول مفردة " أنا " إني " الى مفردة أوسع وأشمل :

إنا خلقنا جنودا للحروب ولـــم | نخلق على الذل لم نرضخ لمحتقر
من بأسنا ترجف الدنيا إذا وقفت | أبطالنا ترسل الطيار بالنـــذر (٣)

ونال شعره جانبا من فخره ، فقد تباهي في عدد من قصائده بشاعريته وامتدح ما يمتاز به شعره من أصالة وقوة ، فضلا عن مهماته الأخرى ومغازيه الجليلة التي يحاول من خلالها التفاعل مع هموم الناس ، لذلك نراه يقول في قصيدته " في رضى الله " :

يا خليلي خلياني أنـــادي | ما لشعري سوى مغاز جليلـه
ليس شعري طلاب مال لفقر | إن عندي من الإباء جزيلـــه
إن شعري لهم دين وشعـب | عرف الله والهدى ورسولـــه
عاث فيه الفساد ظلما دخيل | أي شعب يرى الدخيل خليلـــه (٤)

فهو يربأ بشعره من أن يسخره في طلب المال ، فقد وظفه للحديث عن هموم شعبه وأمته ، وهو وعاء لقيم سامية ومثل نبيلة ، وتلك في رأيه هي مهمات الشاعر الحقيقية .

ويرد الشاعر على حساده الذين سعوا للإساءة إليه وإلى نتاجه الشعري بصوت الواثق بنفسه والمتباهي بشعره ، فعنده أنه دائم الترنم في رياض مواهبه ، في حين يحترق حساده بنار حسدهم :

---

١. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ١٠١ .
٢. أبو سرور ، ديوان : باقات الأدب ، ص ٢٠ ، ٢١ .
٣. المصدر السابق ، ص ١٣٨ .
٤. المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأنا المجلي رغم أنف حسـودة والآخرون ولو علوا أحفادي
أمسي وأصبح في رياض مواهبي ومكابري في الغم والإيقـاد
فأنا المخلد في الحياة وفي الفنـا وهو المخلد في لظى الأكباد (١)

وتتعالى ثقته بنفسه وبشعره ، فيفخر بأن قصائده ستظل خالدة وذكره سيظل حاضرا بما ناله من وسام الخلود :

أنا إن مت والتزمت ضريحـي لم أمت قط من قلوب وسفـر
خولتني الخلود آيات شعـري ورياض العلوم في كل عصـر (٢)

يتضح لنا من النماذج التي عرضنا لها أن أبا سرور لم يكن ذاتي النزعة، ولم تتلبسه روح الأنانية ، بل سعى إلى مشاركة أسرته وأهله وبني وطنه في قصائد الفخر ، وإن كان قد خصص لشمائله وصفاته بعضا من فخره ، فضلا عن فخره بما جادت به قريحته الشعرية ، التي دافع عنها بحماسة وتباه ، موجها سهامه إلى نحور حساده ومغرضيه .

٢- الشـكوى

وسار أبو سرور على نهج الشعراء الأقدمين في ذم الزمن والشكوى منه، وصب نار غضبه عليه ، حيث اتخذ منه دريئة ينفس من خلالها عن همومه، ويعبر عن سخطه لاضطراب الأمور وتدهور الأوضاع واختلال موازين الحياة ، لقد تبرم بهذا الزمن وحمله وزر التناقض العجيب ، عندما مالأشرار الناس ولئامهم فأعطاهم الحظوة لديه فنالوا ما يشاءون ، في حين حرم الكرام والأحرار من آمالهم ، لذلك راح أبو سرور يبث شكواه بحزن من هذا الزمن الذي لم يجد فيه أنيسا ولا مناصرا ، يقول :

أبى زماني وولى عن موافقتـي والدهر ما زال بالإنسان خوانـا
لم يرض يبصر حرا واعيا يقظـا فالوعي حرية إن يلق سلطانـا
يهوى الجهالة فينا وهي سلمـه إلى القضاء على الأحرار سرحانـا
والدهر بالجهل يبغى بالكـرام أذى والجهل يستخدم الجهـال عبدانـا
قد عيل صبري ولكن من يشفعنـي عز الشفيع وما ألفيت معوانـا (٣)

---

١. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الإخوانيات ، ص ١٦ .
٢. المصدر السابق ، ص ١ .
٣. المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكأن الدهر لا تروق له رؤيـة أحد نـال مكانـة سـامية إلا وسـامه الـذل والهـوان وسـعى للنيـل مـن شـأنه ، فقـد يغـر المـرء مـن بشاشـة الزمـن فيظـن أنـه مصاحبه ، ولكنه سرعان ما يقلب له ظهر المجن ويبدل بشاشته شررا وسما . وفي الحقيقة فان الشاعر هنا يعبر عن آلامه وأشجانه ، ويفصح عن سخطه ونقمته قائلا :

ألائمي أنت إن ابصرتني كمـدا أبى زماني سوى حربي وقد عمـدا
آلى على نفسه أن لا يرى أحدا سامي المكانة إلا سامه وعـــــدا
قد غرني ذات يوم في بشاشتـه وخيل الشرر المسموم قطر نـــدى
وضعت في يده يمنى يدي يـدا وقلت على ألاقي للمرام يـــــدا
إذا بـه دس فيها الهم متقـــدا وبدل الشهد مرا والهنا نكـــــدا (١)

عندها لا يجد الشاعر ملاذا لشكواه ينصفه من الدهر الذي تعاظم في إيذائـه ، غير أن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى فيقول :

رباه فرج معاناتي فأنت لهـــا لا رب إلاك لا خابت يدي يدا (٢)

وشكا من عقوق الأصدقاء وجفائهم بلهجة يغلب عليها اليأس من النـاس، بعد أن صاروا يميلون إلى الصديق في حالة يسره ، ويجفونـه فـي حالـة عسره ، يحتشدون عند بابه إذا نال جاها أو منصبا رفيعا ، وإذا سلبته الأيـام ذلـك المنصـب الرفيع انفضوا من حوله ، تجمعهم وإياه المنافع فقط ، أمـا المـودة والحقـوق فليس لها مكان في عرفهم ، وهذه النظـرة السـوداوية التـي عمـم فيهـا الشـاعر لا تنطبـق على باقي أصدقائه بالطبع يقول في قصيدته " صديق المناصب " :

مالي أراك وكنت أنت صديقي باعدتني دهرا بكل عقـــــوق
قد كنت من أعددته لنوائبـــي لو عضني ناب الزمان بضيـق
علمتني لا أطمئن لصاحـــب أبدا وأن أخشى ثياب شقيقـــي
إذ لا شقيق ولا وداد ولا إخـا إلا مناصب كم ذبحن حقوقـــي
أوحى اليك بأن دهري عقنـــي فطفقت أنت تعين بالتصفيـــق
ومتى تبينت الحقائق إننـــي شرفا حللت بمنصب مرمـــوق
قد جئتني تسعى تهنيء بالمنى عجبا لشأنك في رضى وعقوق
فعلمت أنك لست خلي سابقـا بل خل ذاك المنصب المعشـوق (٣)

---

١. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ١٤٠ .
٢. المصدر السابق ، ص ١٤٠ .
٣. أبو سرور ، ديوان الى أيكة الملتقى ، ص ٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينقطع رجاء الشاعر في هذه الحياة التي لا تصفوا إلا لمن أتقن فن النفاق وأجاد جمع المال ، في زمن عز فيه الصديق وجفاه القريب وأعان عليه :

أرى دهري لمن حذقوا نفاقـــا ومن ملكوا هنالك فضل مـــال
لقد عز الصديق على زمانـــي وقد كثر المخادع والمقالـــي
إذا حمل الزمان علي طبـــلا تولى ضربه عمي وخالـــي (١)

كما شكا أبو سرور عقوق أبنائه الكبار وسوء معاملتهم له ، ومالا قاه منهم من الجفوة ونكران الجميل ، وقد أحس بخيبة أمله فيهم . لذلك انتابه حزن كبير وأسى مفجع ، فراح يصوره في ثنايا قصائده . وقارىء قصيدته " واقع متوقع " يلمس بوضوح مرارة الأسى والألم الممض ، فقد تمنى الشاعر فيها الموت ، والقصيدة وإن كانت تعبر عن شكواه الذاتية ، إلا أنه أراد من خلالها نقد عقوق الأبناء في هذا الزمن ، وتعاليهم على من أفنى العمر في سبيلهم :

وكم من فتى ألقى أباه على الثرى قتيلا وذنب الشيخ تلك النصائـــح
اذا رمت تنهاهم عن الغي والهوى أصابك هزء ساخر وجـــوارح
تعيش غريبا فيهم ومحقـــرا ذميما ولا تأتيك إلا القبائـــح
أينهرني من كان يرهب نظرتـــي ويضربني من كنت عنه أنافـــح
أهان وقد كنت العزيز مكانـــة أمن بيت إحساني أتتني القبائح (٢)

ويتساءل بمرارة قائلا :

ألم يبق من شبل رعى الله مخلصا يسيره وحي السما وينا صـح (٣)

وساءه أن يهمل قسم من أهل عصره ، مكانته الشعرية ، وقاده هذا الموقف " موقف التجاهل " إلى الشكوى من الجاحدين الذين غمطوا حقه ، فلم يقدروا شعره حق قدره ، ولعل هذا الموقف نابع في الأساس من اعتزاز الشاعر بشعره :

عذرت بني دهري إذا ما تجاهلوا مكانة فكري لا بسين التلعثما
سيأتيهم يوما يرمهم مكانتـــي ولم يدركوا إلا الأسى والتندما
فذو الخير لا يدرى له حق قدره ولا شأنه إلا إذا ما تصرمـــا (٤)

ومن طريف شكواه ما قاله مخاطبا لواد تخيله أسماه " وادي الغرام " كان قد أمله بأن يجمع شمله مع من أحب ولكن هذه الآمال بقيت مجرد مواعيد لا

---

١. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، آراء ، ص ٢١٤ .
٢. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ١٣٨ .
٣. المصدر السابق ، ص ١٣٨ .
٤. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، آراء ، ص ٢٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقضى ، وكل ما حولها أحلام رسمتها مخيلة الشاعر ، وتصورت أن قاضي الغرام قد حكم بالبعاد فزاد بحكمه الطين بلة :

أدائما أنا أشكو يا هوى ألمـــا كم بت لم ترع لي إلا ولا ذممـــا
أدائما أنا أشكو عند محكمـــة من النوى فألاقي خصمي الحكمـــا
ظلمت حبي ياوادي الغرام فكـم رعيت حبي فيك السمر والسلمـــا
كم ليلة منك قد واعدتني بضحى منها ألاقي حبيبي في رياض حمى
إذا أنا بقضاة الحب قد حكمـوا بالبعد عني وزادوا الطين بلة مـــا (١)

ولم يخرج الشاعر في قصائد الشكوى عن مجاراة السلف ، حيث جاءت معظم نماذجه تكرارا لما قال الشعراء القدماء في معرض ذمهم للزمن والشكوى من الدهر ، ولم يضف إلى ذلك إلا شكواه من جحود الأصدقاء وعقوق الأبناء ، أما ما عداه فصورة لنهج الشعراء السابقين .

٣- الزهـــــد

إذا نظرنا إلى نشأة أبي سرور وجدنا أن هناك أسبابا كثيرة مهدت الطريق أمامه لكي يطرق أبواب الزهد ، فينظم فيه عددا من المقطوعات الشعرية. فوالده وجده كانا من الرجال الحفظة الذين عرفوا بالفضل والصلاح والتقوى . ونشأته في كنف أمه المعروفة أيضا بصلاحها ، والتي عودته على الخشونة والقناعة فضلا عما تلقاه من علوم على أيدي جمهرة من علماء بلده " سمائل " الذين كان لهم فضل تعميق ثقافته الدينية وعلى رأسهم الشيخان الجليلان حمد بن عبيد السليمي وخلفان بن جميل السيابي ، اللذين عرفا بالتقوى والزهد والورع . وقد صحبهما شاعرنا فترة طويلة من حياتهم . ومن هنا فلا عجب أن يصفه الشيخ الخليلي بقوله " صحب الدنيا في صلابة الرجال البواسل ، وسمت الصحابة الأفاضل ، تناديه الدنيا عن كثب فلا يعيرها أكثر من نظرة النافر ووقفة الهارب، ويناجيه الدهر كالمتخشع فتراه يجعل أصابعه في أذنيه . ولكم نفخ له طيب الحياة فجعل كمه في أنفه ، واستقبلته الدنيا في محاسنها وجمالها الخلاب فوضع فضل عمامته على عينيه " (٢) .

---

١. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الغزليات ، ص ١٤٧ .
٢. عبدالله بن علي الخليلي ، مقالة بجريدة عمان ، السبت ١٨أغسطس آب ١٩٧٣ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقارىء لشعر أبي سرور يلحظ ملامح الزهد في ثنايا شعره ، ويلمسها في سيرته الذاتية من خلال قناعته وصبره على المكاره وزهده في الحياة ، وذلك جله نابع من شعوره الديني . وتناول في زهده موضوعات تتصل بالقناعة وذم الدنيا والتذكير بالموت والحساب بما فيه من ثواب وعقاب . من ذلك ما توجه به إلى الإنسان الباحث عن السعادة ومفاتيحها متحدثا من خلال ذاته ، قائلا :

غير الكتاب وتقوى الله ما نظرت عيناي خلا وقول المصطفى الهادي
ولا أماكن تؤويني وتؤنسني إلا المساجد أوغارا من الوادي
ولا ملابس تكسوني نضارتها إلا القناعة لا تعبأ باجهاد
هذه السعادة من يغنم مفاتحها فليشكر الله مغبوطا بإسعاد(١)

ويتخذ الشاعر من القناعة وسيلة يرد فيها على الجشعين الذين أودى بهم الطمع واستولى عليهم الجشع ، فعبدوا الدرهم والدينار ولم يخرجوا حق الله ، يقول :

دعيه يجمع الدنيا دنانيرا بها يكوى
فمن يبخس لحق الله لم يخرج من البلوى
تخادعه ليالية خداع الدهر لا يقوى
سيخدع مرغما يوما ويرمى في لظى يهوى (٢)

وحين يقوم الشاعر بذم الدنيا وتذكير الانسان بالمصير المحتوم الذي ينتظره ، يبين أن الدنيا دار فناء لا تصفوا لشارب ولا تخلو لصاحب ، إذ لا راحة فيها ، فهي كالسراب ، نعيمها يضمحل ، إذا أعطت سلبت ، لا يكاد المرء يطمئن إلى سرورها ويغتر بإقبالها حتى تقلب عليه ظهر المجن ، يقول :

إني نظرت إلى الدنا وكنوزها فرأيت آلا دائما يتغير
آل يشف عن البهاء جماله ما اغتر في لا شيء إلا أخسر
ولكم سبى لب اللبيب خياله فغدا بأذيال الهوى يتعثر(٣)

ويتحدث عن الموت والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب وأهوال القيامة ، مذكرا المرء بالموت الذي غفل عنه بعد ان شغلته الدنيا بكنوزها ، وكل ما فيها ليس إلا آلا يلمع وسرابا يسطع . ويخاطب هذا الإنسان الذي اغتر بهذه الزخارف فتاه كبرا كأنه كسرى في قومه ، أو فرعون في جبروته ، أو نمرود في تعاليه ، يقول أبو سرور :

---

١. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، آراء ، ص ٢٠٧ .
٢. أبو سرور ، ديوان إلى ايكة الملتقى ، ص ١٠٦ .
٣. أبو سرور ، ديوان بلقات الأدب ، ص ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كسرى على أعجامـــه يتكبـــر أم تبع في حمير أم قيصـــر
أم ذاك فرعون علـــى جبروتـــه أم ذاك نمرود الفتى المتكبـــر
أم ذاك من ملك الرياش وطاش في صفرائه وغدا بها يتكبـــر
ما زال مالك يزدري لي فاقـــة أقصر فأنت على غناك المعسر(١)

وكي يسلم الإنسان من شرور الدنيا وينجو من عذاب الآخرة وأهوال يوم القيامة ، فعليه التمسك بحبال التقوى ، يقول في وصف ذلك اليوم :

يوم به تضع الحوامل حملهـــا وترى الورى سكرى وما إن أسكروا
في موقف يعلوهم عرق إلـــى أفواههم والهول لا يتصـــور (٢)

والطريق إلى الجنة لم تفرش بالورود والرياحين ، فلكي يصل الانسان إليها بسلام عليه أن يصبر على المكاره :

لكنها محفوفة بمكاره أدنى جناها علقم يتكر (٣)

وحين انطلق يبتهل إلى الله سبحانه في أنغام روحانية تحلق بالنفس الانسانية الى عالم الملكوت ، في ابتهالات يناجي فيها ربه لما أحس بتعاظم ذنوبه وكثرة آثامه ، مما جعله يعيش حالة خوف وقلق دفعاه إلى التذلل لله والخشوع في محراب طاعته:

ببابك ربي قد أنخت ركائبـــي ذنوبي وأوزاري بمبرك تائـــب
ركبت ذنوبا فيك محض تجاهل وهجمت مهري في الردى والمعاطب
فبيتني في قعر واد تسارعـــت علي به السيدان من كل جانـــب
فما لي إلا الجهل والذل والعيا وطول افتقاري واقتناص الشوائـــب
وإن ذنوبي لو تعد فإنهـــا لمثقلة شم الذرى والسباســـب(٤)

وتأخذ رحلة الاعتراف بالذنب والإحساس بوطأة الأوزار مداها فيقول :

لبست ثيابا ثقبتها مع البلـــى رماح المساوي في سواد المذاهب
تدثرت فيها والعيون شواهـــد فواسوأتاه من عيون المراقـــب (٥)

---

١. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٣٦ .
٢. المصدر السابق ، ص ٣٦ .
٣. المصدر السابق ، ص ٣٧ .
٤. المصدر السابق ، ص ٢٢٤ .
٥. المصدر السابق ، ص ٢٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتلاشى نفسه المذنبة أمام جبروت الله وسلطانه وعفوه وكرمه راجيا أن تتداركه العناية الالهية فتتسلمه برعايتها وتكلؤه بعنايتها ، وذلك حين رأينا شاعرنا يعدد مساوئه ويبث شكواه ويذكر مآربه في لهجة خاشعة ، ومناجاة ابتهالية صافية ، مقدمة توبتها معترفة بحوبتها من ذلك قوله :

فلم تخف أحوالي لديك وحاجتي ... إليك وخوفي منك لا شك واجبي
جهول أنا إلا إذا ما تدفقت ... لسراسمك العلام أسرار واهبي
ظلوم إذا لم تهد نفسي الى الهدى ... وتلجمها الإيمان دون الرغائب
أخو ظلمة إن لم تدارك لظلمتي ... أشعة نور النور من كل جانب (١)

ويعترف بالتقصير ويقر بما كان منه من عثرات ، محذرا نفسه التي خلقت لغاية فسلكت غيرها حين أنذرها معاتبا لها ومحذرا إياها من عواقب أفعالها ، إن هي لم ترع حقوق الله ، ولم تشكر أفضاله ، حاثا نفسه على التفكير في العواقب حين قال:

خلقت لأشيا فانتهجت لغيرها ... ظللت وشر الجهل غي على عمد
خلقت وأوتيت الفضائل أنعما ... أنكفرها والشكر فرض على العبد
مضى عنفوان العمر والعمر جوهر ... وأنت أسير الجهل كالعبد في القد
ألا فانتبذ واربأ بنفسك وانتهج ... مناهج ترضي الله من أحسن القصد(٢)

ومما يتصل بشعر الزهد المدائح النبوية التي نظمها الشاعر متحدثا فيها عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم العطرة وغزواته وجهاده ، وفضل المسلمين الأوائل والصحابة الأبرار وآل البيت الأطهار . ومن أشهر مدائحه قصيدته " سيد الكونين " والتي بدأها على طريقة شعراء الصوفية في الوجد والشوق ، مصورا فيها ما يكابده من أشواق وما انتابته من أحزان لا سبيل إلى زوالها إلا بزيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم ، يقول في مطلع هذه القصيدة :

شوقي إليكم أهاجته مشاعره ... فبان ما كان تخفيه ضمائره
قيد التجمل قد فكته ظالمة ... شمال وجدي رماها ما تكابره
ذئب انتظاري بلحمي بات مغتبطا ... فبان لحمي وبان العظم ناخره
بالله يا ساكني الأحشاء هل لكم ... رحمى لصب الهوى فيكم تؤازره
تداركوني وإلا مت من ولهه ... فالحب يجرح للأحشا بواتره
أبيت ليلي أنادي من أسامره ... فلم أجد غير همي إذ أساوره (٣)

---

١. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٢٢٥ .
٢. المصدر السابق ، ص ٢٥ .
٣. المصدر السابق ، ص ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى أن يقول :

منوا بوصل به أحيى فإنكـــــم أهل الوفاء ومن للحق ناكـــــره
بجبهة الحسن قد خطت محاسنكـم بالتبر خطا جمال الطبع مشاهـــده
وصل الأحبة غال لو قضيت بـــه لا ينكر الحق إلا من يكابـــــره
ومن يكن حبه وصل الرسول كفى هذا هو الحب حقا لا أغـــادره(١)

والغريب في أمر هذه القصيدة أنه نظمها بسبعين بيتا فقط ، ثم أخذ يضيف إليها سنة بعد أخرى حتى بلغت ما يزيد على سبعمائة بيت .

٤- الحكمـــة

لقد عانى شاعرنا من تقلب الزمان واكتوى بحرارة الشوق ، وذاق مرارة الغربة ، وابتلي بالفاقة والعوز والحرمان ، وتقلب بين السعادة والشقاء ، فضلا عن خبرته بالحياة ، وثقافته واطلاعه على كنوز التراث المليئة بالحكمة والمثل السائر والقول المأثور ، وكل ذلك كاف لأن يفجر ينابيع الحكمة في نفسه ، فيصوغ من معينها أبياتا تتناول شتى جوانب الحياة وطباع الناس وتقلب الزمان .

وقلما نجد قصيدة في أي من الأغراض الشعرية التي طرقها لا تتضمن حكمة جاءت مبثوثة في هذه القصيدة أو تلك ، متخذة صورا متعددة في صيغها ودلالاتها . ولم يكتف الشاعر بذلك ، بل افتخر بكون شعره وعاء للحكمة حين قال :

والشعر عندي أحكام وعاطفـــة وحكمة وسهام للمعادينـــــا (٢)

ومن هنا فلا غرابة أن تزدان قصائده بمجموعة زاخرة من النصائح والحكم النابعة من تجاربه التي تبلورت على مر الزمان . وإن كان شاعرنا قد قلد من سبقه من الشعراء إلا أن حكمه اتسمت بمعالجتها لكثير من القضايا المعاصرة ، فهو يرى أن المجد أمانة تقتضي الصون بالتواصل ، لا بالتفاخر والادعاء والانحراف عن طريق الأسلاف :

من لم يشد مجدا على أمجـــاده ما بالمجيد ولو علاه بكـــاء
ما المجد أن أبي إمام في الورى وأنا يعاقرني الطلا السفهـــاء
لاعار أنكأ من سليل سافـــــل آباؤه العلماء والزعمـــــاء (٣)

---

١. أبوسرور ، ديوان بقايا الأدب ، ص ١٣ .
٢. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الإخوانيات ، ص ٤١ .
٣. المصدر السابق ، ص ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وساءه أن ينغمس الشباب في تقليد الغير مبتعدين عن عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية السائدة ، مؤثرين التعلق بقشور الحضارة الغربية ، فراح ينتقد تلك التصرفات المشينة بأسلوب ساخر يمتزج فيه النصح والإرشاد :

ليس الشباب تخنفسا وتغنجـــا وسلاسل الأيدي وخمر فساد
إن التغنج بالخرائد قد زهـــا لا للكرام وصفوة الآســـاد
شكت النساء منافسات شبابهـــا متحليا بحليها المعتـــــاد
فالليث ان لبس المخصص للمها قالوا مهاة من شغاف الوادي *(١)

وقد يلجأ الشاعر إلى الحكمة للدعوة إلى المثل العليا والقيم النبيلة التي يطمح أن يجد الناس متمسكين بها . فالصدق والورع والعلم والعمل الصالح هي زاد المرء في حياة شاع فيها النفاق والفسق والجهل . ومعدن الناس الأصيل لا يختبر إلا في الشدائد والمحن ، يقول :

والمرء يعرف كلما حميت نار الحروب بسورة الأســـد
والعقل يعرف كلما نزلت دهياء تقصم عروة الجلـــد
والعلم يعرف كلما ظهرت بدع وقال الحق بالبســـدي
وثلاثة ما دمت حافظهـــا تجني ثمار العلم في رغـــد
صدق يضيء بأفقه ورع يهدي إلى عمل ليوم غـــد (٢)

ولأنه خبر الزمان جيدا فهو لا يأمن جانبه حتى وإن أظهر الوداد وتصنع الابتسامة، يقول :

لا تأمنن من الزمان ولو غدا يهوى ودادك والصفا تحنانـــه
فالأمن ليث خادركم كشرت للآمنين عن الردى نيبانـــه (٣)

وقوله أيضا :

بسمة الدهر تحتها الشر دوما مـــن بدهر يسر فهو مصاب
وخداع الزمان شيء يقيـــن ما على الدهر في الخداع حساب
إن أتى اللؤم من كريم فعاتب ما على اللؤم من لئيم عتـــاب (٤)

والزمن الغادر يعادي الأحرار ، وحوادثه لا تصطفي إلا ذوي المكانة الرفيعة والهمة العالية ، إذ تتكالب المصائب لتسلب الحر شيمته ، يقول :

---

١. أبو سرور ، قصيدة مخطوطة لدى الباحث ، ص ١ .
٢. أبو سرور ، ديوان بقايا الأدب ، ص ٢١٩ .
٣. أبوسرور ، ديوان بقايا الأدب ، ص ٧٦ .
٤. المصدر السابق ، ص ١٠٥ .
* الشغف : موضع بعمان ينبت الغاف العظام ، ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ٩ ، ص ١٧٩ ، مادة " شغف " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأيت الليالي لم تحارب من الورى | سوى شيمة الأحرار والله شاهد
ولم تتألب حادثات علـــى امرىء | إذا لم تكن خرت لديه الفراقـــد(١)

والأماني لا تنال بالأقوال ، بل بالمثابرة واقتحام الصعاب :

إن دون الأماني خوض المنايا | لم تفد ليت دون بيض صقيله

ومن شأن ميادين القتال أن تختبر صلابة الرجال ، فالذي لا يمتلك الجرأة ينال منه العدو وسبيل العزة والكرامة واضحة للعيان :

من لم يكن فارس الميدان تجربة | فعجزه عن لحاق القوم عاذره
وما أظن الليالي غير عاذرتي | لا ينكر الحق إلا من يكابره
والحرب من شأنها إن قام قائمها | لا يصطلى حرها إلا أكابره (٢)

وفي قصيدته " بالعلم يا شباب " تعريض بالأجنبي ودعوة لشباب الأمة أن يتولوا بأنفسهم خدمة وطنهم وبناءه ، فهم أحرص من غيرهم على ذلك فأهنأ العيش ما غرسته يمينهم ، وخير السلاح ما صنعته زنودهم ، يقول :

ولا عطفت علي كمثل أمـــي | ومثل أبي ولو سلخا لجلـــد
ولا حفظ الحمى إلا بنـــــوه | ولا حب يرى من رب حقد
ولا ترج الصفا من خصم دين | ولا تترك شياهك بين أســد
ولا تصحب فتى عاديت يومـا | أحبته ينلك بشر وقـــــد (٣)

فالوطن الذي سقانا من معينه ، وكسانا من بروده ، جدير بأن نريق من أجله الدماء ، وتتزاحم الرجال في دروب التضحية نودا عن حياضه ، فليس أبر به من أبنائه :

ما حك جلد المرء إلا ظفـــره | حك العدو يخلف الأخـــدودا
من يطلب الآساد حفظ عرينـه | أكلته أنياب الأسود رغيـــدا
من يغترف بيد العدو معينـــه | شرب المعين مكدرا وصديدا (٤)

وبلهجة تكتنفها الحماسة يمضي أبو سرور في الدعوة إلى عدم الاطمئنان إلى العدو مهما أبدى من صور المسكنة واللين ، وأن نبادره باليقظة والحذر وعدم الغفلة عن أساليبه ، يقول :

لا تطمئن للين الأسد لو حلمـــت | فالموت في لينها باق وفـي الحدق
لا تحسب الحر مغلوبا على مضض | فالحر من يغلب الأيام إن تثـــق
والعز والفخر عند القائمين علـى | مدافع الحرب والإخلاص فاستبق (٥)

---

١. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الاخوانيات ، ص ١٢٧ .
٢. أبوسرور ، ديوان بقات الأدب ، ص ١٣ .
٣. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ٧ .
٤. المصدر السابق ، ص ٣ .
٥. أبو سرور ، ديوان بقات الأدب ، ص ١٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتزدحم قصيدته " تعالوا " بصور الحكمة ، وهي القصيدة الوحيدة التي خصصها لهذا الغرض . أشار فيها الشاعر إلى أن منبع الحكمة عقل راجح ورأي سديد وتجربة حقة ، وأكد على مكانة العلم ورجحان العقل وقدسية العمل وثواب الإحسان وفضل الكرم ، وتطرق فيها إلى موضوعات عديدة مما تشغل للنفس الإنسانية وتلامس أشجانها . وقد استند في ذلك إلى خبرة عميقة في شؤون الحياة ومشكلات الناس :

ولا حقل كغرس العلم يزكـــو ولا رأي سوى للمستبيـــــن
وعقل دون علم مثـــــل در بأيدي ابن ثالثـة السنيـــن
ولا كالبر مجلبة التآخـــــي ولا كالجود مكسبة الحنيـــن
ولا كالاتحاد ثنى الليالـــــي ولا كالاختلاف أتى بشـــين
وأهنا الموت موت فـي المعالي وعزالدين والوطن المصـون
وليس كناصح وطنا نصـــوح وخائنه فأخون من خـــؤون (١)

ويكرر الشاعر القول في فضل العلم وأهله وفي الشباب الذين يحضهم على التزود بالمعارف ، لأن العلم أفضل سلاح في مواجهة الأعداء يقول فـي هذا المعنى :

إن العلوم هي السلاح المرتضـى يفني العدو وليس يفنى إن رفـع
إن الشباب ان استقام وان وعـى حاز التقدم شعبه في المجتمـــع
أن الشباب من الشعوب كيانهـا أبدا وقائدها الذي لا يندفـــــع (٢)

ويشيد بفضل المعلم وتفانيه في تعليم النشء وإسهامه في نشر مكارم الأخلاق :

أين المعلم كي أقبل راحـــــة منه تخط محامدا وجنـــــودا
إن المعلم للشعوب رسولهـــا يوحي الرشاد ويبعث التوحيدا
لو تدرك الأجيال فضل معلـــم خروا لديه ركعا وسجـــودا
إن المعلم إن تحلى بالتقـــــى قاد الزمان حضارة وصمـودا (٣)

---

١. أبو سرور ، ديوان بقايا الأدب ، ص ١٥٧ .
٢. المصدر السابق ، ص ٨٨ .
٣. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا سبيل لبلوغ العلياء إلا بالجد والمثابرة والعمل الدؤوب :

ولا يسمو إلى العلياء إلا لبيب عمره بحث وجـــد (١)

ولا يظهر صادق المودة إلا في حالات الضيق ، ولا يعرف الإخوان إلا عند الشدائد :

إن المحبة في الفؤاد مكانها تبدو جواهرها مع التضييق (٢)

والإنسان جبل على العجلة في أموره ، لذا يدعو أبوسرور ، إلى الأناة والروية ليتجنب الإنسان الوقوع في المزالق :

إن التهور في الأمور ندامـــــة ورضاك عن ذنب فذنب ثان

والمرء يخطىء تارة ويصيب في أخرى وهذي حالة الانســـان (٣)

ولأنه لا مناص من الموت ، فخير ميتة جهاد في سبيل الله :

والموت لا شك آت لا مناص له وإن يكن في جهاد كان ميمونا (٤)

وقوله :

من لم يمت ما بين معترك الوغى وافى الممات على السرير رقودا (٥)

ولعل أبرز ما يتسم به شعر الحكمة عند أبي سرور البساطة والعفوية ، وكثيرا ما تنحو نماذجه إلى التقليد والأخذ من حكم الأقدمين ، على الرغم من كون بعضها له صلة وطيدة بالواقع المعاش وقضايا المجتمع . وقد يستعين بها الشاعر لاجلاء فكرة القصيدة وموضوعها . ولا بد أن هذه الحكم هي انعكاس لشخصية الشاعر وسجاياه وأفكاره .

لذا تجلت في هذه الأبيات دعواته السابقة إلى مكارم الأخلاق والتفاني في الدفاع عن الأرض والعرض ، والتسلح بالعلم والمعرفة والتحذير من عواقب الجهل . وكل هذه الأفكار التي آمن بها أبوسرور نراها مبثوثة على مساحة دواوينه . وكثيرا ما يلجأ إلى تكرارها عن قصد أو عن غير قصد ، وهي على أية حال تعبير عن نزعاته الإنسانية .

---

١. أبو سرور ، بقايا الأدب ، ص ٦٧ .
٢. أبوسرور ، ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٧٨ .
٣. المصدر السابق ، ص ١٠٣ .
٤. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الأخوانيات ، ص ٢٩ .
٥. المصدر السابق ، ص ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـل الثانـي

الخصائص الفنية في شعر أبي سرور

- ☐ بنيـة القصيدة
- ☐ اللغـــــــة
- ☐ الصـــــورة
- ☐ الموسيـــــقى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اولا" : بناء القصيـــدة

- ١ -

يقوم بناء القصيدة على جملة من العلائق التي تتحد لتشكل النص الشعري ، وتمنحه ديناميكيته التي يستمدها الشاعر من رؤاه الشعرية النابعة من تجربته الأدبية . إذ تتفاعل هذه التجربة مع جملة من المعطيات التي تبلور ذهنية الشاعر ، معبرة عن ظروفه الذاتية والوجدانية .

وتتشكل البنية العامة للقصيدة الشعرية ، من اللغة والصورة الشعرية والموسيقى . وحين نتحدث عن معمار القصيدة عند أبي سرور ، فلا بد لنا من الوقوف على أساس تجربته ، وأسلوبه في بناء قصيدته ، ومدى اقتراب الشاعر أو ابتعاده عن المنحى التقريري أو الحواري أو القصصي الذي يقيمه في قصائده .

ولا ريب أن شاعرنا مرتبط بالتراث ، ومتشبث به ، ومتمسك بالبنية التقليدية للقصيدة العربية ، من حيث بناؤها العام ، الذي ينصب على وحدة الوزن والقافية في القصيدة الواحده . وهو امتداد متأخر لمدرسة الإحياء ، من حيث ترسمه لخطى القصيدة الإحيائية في بنائها . ومرد ذلك عائد إلى التجربة الذاتية ، التي انطلق منها الشاعر لبناء قصيدته . فمن خلال دراسة التجربة الأدبية ، نستطيع ربط النص الإبداعي لأي شاعر بتجربته التي ينطلق من خلالها ، في نطاق من الفهم الداخلي للنص .

والمقصود بالتجربة الشعرية " الصورة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيرا ينم عن عميق شعوره وإحساسه "(١) والتجربة الشعرية ليست ابنة ساعتها ، فهي نتاج خبرة في الحياة ، يستغرق فيها الشاعر بعد أن يتمثل أحداثها المختلفة . فالمستوى الأدبي لا ينفصل عن الكيان الفكري ، والارتباط الأيديولوجي ، لروح أية تجربة أدبية . وبالتالي يتحقق نوع من الانسجام ، بين التجربة الابداعية وقيمتها الاجتماعية ، التي تمثل فلسفة صاحب التجربة ، وتبين نظرته الشمولية إلى الواقع ، " والشاعر يعبر في تجربته عما في نفسه من صراع داخلي ، سواء أكانت تعبيرا عن حالة من حالات نفسه هو ، أم عن موقف انساني عام تمثله "(٢) .

---

١. محمد غنيمي هلال،النقد الأدبي الحديث ، دار نهضه مصر ، القاهرة ، د. ت د. ط ، ص ٣٦٣ .

٢. المصدر السابق ، ص٣٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليس معنى هذا أن التجربة الذاتية مقتصرة على التعبير عن الذات فحسب ، بل هي إنسانية بطبيعتها.(١) والشاعر الأصيل ، هو وحده القادر على تمثل تجربته ، وتقديمها في شكل إبداعي ، معبر بصدق عن وعيه وإحساسه .

ومن هنا ينبغي على من يحلل قصيدة ، أن ينصب تحليله " على تصوير الحالة الوجدانية التي طافت بالشاعر وأنطقته شعره أو قصيدته "(٢) فالشاعر إنسان مرهف ، شديد الحساسية ، يعيش في مجتمع يموج بالصراع النفسي والإجتماعي والحضاري وهو ينفعل بهذه الصراعات انفعالا وجدانيا ، لتكون له وسط هذا الزحام وجهة نظر خاصة به ، تتشكل من خلال ماكمن في وعيه ، واختزن في ذاكرته ، فعبر عنه لحظة المكاشفة الشعرية .

إن القراءة الداخلية لبعض نصوص شاعرنا أبي سرور تكشف لنا بجلاء، عن وجود قضية رئيسة ، شغلت الشاعر ، ردحا من الزمن ، ألا وهي شعوره بالغربة ، التي جعلته يعيش غربتين ، غربة خارج حدود وطنه عمان ، وأخرى داخل حدود الوطن ، فبينما تظهر نبرة التفجع والشوق والمعاناة في الخارج ، حيث يقول :

أما لمشكلتي حل أفوز بـــــه كيف القضايا إذا ما عز قاضيها
والحر إن نزحت عنه مطالبــه يستعذب المر صبرا أو يوافيهـــا
والحر يعرف مهما أزمة نزلت على كواهله أمسى يقاسيهـــــا

إلى أن تشتد عنده ذروة الشعور بالغربة ، فيقول :

يا أسرة العلـــم والعليا إلام أنا بسوريا نـــازح عنكم بواديها
مفرق بين جسمي والهوى زمن رفاع خفض وخفاض لعاليها
جسمي بمرج عفيف دون عافية والروح عندكم تكلى أعانيهـا (٣)

ويعاود هذا الإحساس (إحساس الغربة) الشاعر وهو بين أهله وأخلائه فيقول :

أحاول أن أغادر عن بلادي وأتركها لمشعلـــة الضـرام
أقسم ما تبقى من حياتـــي لأقلامي ومحرابي وسامـي
ويا ليت الجهاد يكون حظي ولكن أين أنصار القيـــام
لقد سبت المعاصي كل حر به ترجى مناصرة السـلام (٤)

---

١. د. محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي ، ص ٣٦٠ .
٢. شوقي ضيف ، في النقد الأدبي ، دار المعارف ، ط٥ ، د.ت ، ص١٢٦
٣. أبوسرور ، حميد بن عبدالله الجامعي ، باقات الأدب ، ص ٢٠ .
٤. أبوسرور ، قصيدة مخطوطة بعنوان : نوال وضحاياها ، ص ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى أن يقول :

إلهي ضاق بي ذرعا زمانـــي جرائم من ورائي والأمـــام
يقابل كل محمدة بناهـــــا بمعصية رضى القوم الـلئام
ينافق غفلا خدعـــوا غـــرورا وأرباب العقول بغير ســـام (١)

وقد مر الشاعر في مراحل حياته بتجارب عدة ، تفاعل معها ، وعانى تداعياتها ، فعبر عنها بأسلوبه الخاص ، الذي اتسم بوضوح التجربة ، والألفاظ المختارة ، التي قلت فيها الصور الخيالية .

ومن هنا فإن القارىء لشعره يستطيع أن يعده صورة صادقة لنفسه وحياته ، وفكره ، وآماله وتجاربه .

ولعل قصيدة الشاعر " روضة الألباب " (٢) تعبر عن تلك المشاعر التي أشرنا إليها ، فهذه القصيدة قالها في لحظة زمنية ، انبثقت عن معاناة حادة أحس بها الشاعر ، فلم يكن أمامه سوى إفراغ هذه التجربة والبوح بها ، فقصه الشعري هنا يتجاور فيه زمن الحدث وزمن القول الشعري ، إذ ليس ثمة فارق زمني بين أحداث تجربته وغربته وزمن نصه ، فكلا الزمنين مرتبط بالحاضر أو الماضي القريب . فكانت الغربة والشوق من أهم الحركات المشكلة لهذا النص ، وارتبط الدافع الذي عمر النص بتجربة ، حقيقية ، عندما جسد انفعالات عميقة ، عبرت عن عمق التجربة ، وظهرت آثارها في البناء الفني للقصيدة ، التي تقاسمتها انفعالات ذات مستويات متعددة في ثنائيتها بين الغربة والوطن ، وبين الصبر والتشوق ، وانعكست بالتالي على مستوى الدلالات اللغوية التي تراوحت بين المباشرة والعمق .

والشاعر هنا لا يصف الحال مجرد وصف ، بعيدا عن المعاناة ، بل تجربته معاناة حقيقية تستبطن ذاته ، وتحدد قوة الدافع الذي وقف وراء تشكيل بنية النص وتحديد هويته ، فنرى الشاعر قد افتتح قصيدته افتتاحا كما يطلق عليه "مزدوج الرؤية " :

هل في دمشق ؟ وهل لي في مغانيها ؟ أنشودة كنت أخفيها فأبديها (٣)

---

١. المصدر السابق ، ص ١٣ .
٢. أبوسرور ، باقات الأدب ، ص ١٨ .
٣. المصدر السابـــق ، ص ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث نشعر أننا أمام تجربة شعرية تسبح في جو من الحيرة والضياع ، " هل في دمشق ؟" هذا الاستفهام ينفذ بنا إلى أعماق تجربته الشعورية ، فمن مستهل القصيدة يطالعنا الشوق والحيرة ، بحثا عن أنشودته ، هل هي في دمشق ، هل احتضنها نهر بردى وعبر طريق مكفهر ، مليء بالضجر والألم ، يسترسل الشاعر في إضاءة جوانب معاناته ، وآثار غربته ، فبين هذا الجو يقف باحثا عن أنشودته ، التي وقف الزمان حربا عليه فيها ، فلم يكن أمامه إلا البحث عن الصبر الذي يسليه عنها • ولا غرابة بعد ذلك أن يتوسل بطيفه (١) وأحلام يقظته لتنوب عنه في تحية معالم بلده " سمائل " بعد أن جعلها ماثلة أمام عينيه •والقصيدة تلتحم فيها التجربة الشعورية بالقيم التعبيرية والتصويرية ، من خلال الالفاظ المجردة البسيطة التي خلع عليها وشاحا من شفافيته وإيحاءاته •

وتتناوب بناء القصيدة عنده حالتان ، حالة يتحدث فيها عن ذاته ونستطيع أن نتبين ذلك في عدة قصائد ، صور فيها الشاعر معاناته الذاتية والوجدانية ، وأخرى يتبنى فيها الشاعر كثيرا من القضايا العامة ، ليجعلها قضية شخصية ، حين يدمج فيها " الأنا " الفردية مع " نحن " الجماعية • ومعظم هذه القصائد تنتمي الى قضايا النضال الوطني والقومي ،وذلك يشي بأن أبا سرور عبر عن الوجدان الجماعي من خلال ذهنية تراكمت فيها أبعاد تجربة تاريخية وفكرية وسياسية خاصة •

— ٢ —

ويبرز الوضوح ملمحا بارزا من ملامح أسلوب أبي سرور ، إذ تخلو تراكيبه وكلماته من الإبهام والغموض ، وهذا بدوره أدى إلى الصراحة في التعبير عن خلجات النفس • فعلى الرغم من مكانته الإجتماعية بصفته قاضيا فقيها ، إلا أنه لم يجد حرجا في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه ، فعبر عن هواه وحبه بكل صراحة •

وأسلوب شاعرنا يتراوح بين المباشرة ، وبين القصة والحوار • وذات الشاعر لا بد أن تكون حاضرة في شعره ، فمن الطبيعي أن يكشف الأسلوب عن شخصية صاحبه •

ومن أهم الظواهر في أسلوب أبي سرور هو طغيان المباشرة والنبرة الخطابية ، التي تتجلى في " ارتكازها الشديد في صياغتها العامة على الأدوات

١ • أبو سرور ، حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الأدب ، ص ٢٠ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المستعملة في الخطب عادة كأدوات الاستفهام والأمر والنهي والنفي والتوكيد والنداء ، والإكثار من صيغ التعجب ، والإنكار والتحريض ، والتحضيض والقسم"(١) .

واتجاه أبي سرور إلى نهج شعراء الحماسة والإصلاح جعل شعره مرتبطا بهذا الأسلوب فطغى على معظم نتاجه ، بما في ذلك بعض الموضوعات الذاتية التي هي في طبيعتها أقرب إلى الإيحاء منها إلى المباشرة .

ولعل واقع الشاعر ونشأته وظروف وطنه وأمته دفعته إلى استخدام الأسلوب الخطابي المباشر ، حين يدعو أبناء الأمة إلى الثورة والتحرر ، فيناشدهم الوحدة ، ويدعوهم إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولا ريب أن هذا الأسلوب أقرب إلى مخاطبة الجماهير ، فيتجاوب معه في لحظتها وساعتها ، بما تحمله هذه القصائد من استثارة للهمم وإيقاظ للضمائر ، لما فيها من دعوات صادقة ، وتحذيرات متكررة ، وتبصير للأمة ، واستنفاد لطاقاتها .

ولنقف على هذه الأبيات ، لنرى تجليات هذه الأسلوب .

يا بقايا إن كان فيكم بقايا ... من ضرام فأججوها ضراما
يا رجال الأمجاد قواد ديني ... أشعلوا الحرب نصرة وانتقاما
طهروا القدس من عدو لئيم ... غصب الأرض غاشما ظلاما
إنما المجد بالدما نشتريه ... لم نقدم لنيله الأوهاما
نحن أبطال عزة وإباء ... كيف نرضى أن لانعيش كراما (٢)

ونلحظ استخدامه النداء والتعجب والأمر في الأبيات التالية التي يتوجه بها في خطابه إلى الجماهير لذلك كانت الحماسة الممزوجة بالموعظة :

يا شعبي الحريا صعب الشكيمة يا ... فخر العروبة يا سامي الأرومات
ما أكرم السيف أن أصبحت تضحكه ... في المعتدين وأذناب الضلالات (٣)
إلى المعالي تقدم فالتقدم من ... بنيك ما زال مشهور الروايات

والتعجب والتساؤل اللذان يستخدمهما الشاعر لشحن شعره بالحماسة والثورة ، واستثارة الهمم من مظاهر الأسلوب الخطابي ، كقوله .

---

١. د. محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م ، ص ٦١١ .
٢. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٧٩ .
٣. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحكاية المروية مادة لقصائده القصصية ، التي أغلب ما كان فيها يكاد أن يكون سردا لواقعة حصلت مع الشاعر أو سمع بها ، كما عمد أحيانا إلى الإفادة من الموروث الشعبي في استيحاء قصصه ، أو من الحكايات المروية على ألسنة الحيوانات . وهي في مجملها قصائد كرس الشاعر فيها مقدرته الشعرية على صياغة أحداثها ، معتمدا عنصر الحوار القصصي . وإن كنا لا ندعي أنه مدرك تماما لشروط القصص الشعري وعناصره . فكل ما وظفه من عناصر الأداء القصصي كان نابعا من اطلاعه على النماذج التراثية لهذا الفن ، وعلى من سبقه من الشعراء في خوض غماره في هذا المضمار .

ولعل أبرز نماذج الشاعر في هذا الفن القصصي قصيدته " السنور والفأر " (١) التي رمز فيها إلى جملة حقائق وأمور قيلت على لسان السنور والفأر، ونقل حوارا مطولا دار بينهما . وقد استوحى هذه القصة من مثل شعبي دارج ، فيه إشارة إلى أن اتفاق السنور والفأر ، سيؤدي حتما إلى خراب الدار(٢). وقد رمز فيها إلى الدخيل بالفأر الذي أظهر المسكنة والخضوع إلى أن تمكن من التسلل إلى فناء الدار ، عندها كشف عن حقيقته ورمز إلى صاحب الدار – الحارس – بالسنور الذي لم يحفظ حرمة الدار المكلف بحمايتها ، فسلمها لقمة سائغة بيد الدخيل ، وتعاون هو والدخيل على خرابها . يقول الشاعر :

هنا أيقنت حتما دون شك ... لصلح الفأر والسنور ريبة
إذا اصطلحت سنانير وفأر ... بدار واخراب الدار خيبة (٣)

وعلى الرغم من هذه الحالة التي عرضها الشاعر ، فلم يكن يائسا من الغد ، حين وضع أمله في الأجيال القادمة المتسلحة بالعلم والمعرفة ، لإصلاح ما تعرضت له الدار من خراب على أيدي الدخلاء والعملاء ، يقول :

وبعد غد يرى الأبناء هذا ... فيأتوا من مدارسهم طبيبه
فيعطى كل مشكلة علاجا ... لكل مناسب يعطى نسيبه
فتخرج كل داخلة عداء ... وتبقى كل قاعدة حبيبة
وتبقى الدار في أيدي بنيها ... ونال تجمع الفئران خيبة (٤)

---

١. أبو سرور، ديوان باقات الأدب ، ص ١٠١ .
٢. المصدر السابق ، ص ١٠٣ .
٣. المصدر نفسه ، ص ١٠٣ .
٤. المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي قصيدته " الثعلب المكار "(١) يستخدم الشاعر الأسلوب القصصي لتوضيح موقفه المبدئي من الظلم والتسلط ، وإدانة الحكام الذين ينشغلون بمآربهم عن خدمة شعوبهم ، وفي القصيدة تحذير من مغبة الاستماع إلى صوت المغرضين ، الذين يسعون إلى تفريق شمل الأمة وزعزعة كيانها ، ليسهل عليهم الانقضاض عليها . وهي في كل ما ضمته من حوار وسرد قصصي ، ترمز إلى مكر الأجنبي ، وتشبثه بوسائل دنيئة ، من أجل إثارة الشحناء وتفريق الشمل ، لتحقيق غاياته الاستعمارية . مشيرا إلى أن الأعداء يلجأون في أغلب الأحيان إلى المكر والخديعة وسيلة لبلوغ ما خططوا له .

وكقصيدته الأولى " السنور والفأر " يدخل أبوسرور ويدخلنا معه إلى وقائع قصته دون مقدمات ، عارضا فيها طباع الثعالب التي جبلت على المكر والدهاء . وتستمر القصة عبر أبياتها الواحد والخمسين في تصوير سعي الأجنبي، وتوسله بشتى الطرق ، ولجوئه إلى اللين تارة وإلى الشدة تارة اخرى ، وإلى الحيلة مرة وأخرى الى المواجهة من أجل تحقيق مبتغاه في الهيمنة والتسلط والسلب والابتزاز .وكل ذلك يرد على لسان الثعلب – المستعمر – الذي نال مراده بفعل خيانة الخائنين وتفريط الحاكمين :

ونال الثعالب أقواتها ... وزيدت على ذاك ما يشتهون
وتم لثعلبهم ما أراد ... كذاك يتم دهى الماكرين(٢)

وفي قصيدته " مكار وقناص وحمامة " (٣) يستمر أبو سرور في الاستعانة برموزه التي درج عليها في قصيدتيه السابقتين ، وفي هذه المرة يرمز إلى الأجنبي المحتل بالصياد الماكر ، وللوطن بالحمامة الوديعة التي تعيش في أمان ودعة ، فيأتيها ذلك الصياد ، ليعكر صفو حياتها ، ويتمادى أكثر حين يجعلها فريسة لأطماعه (٤) ويختم قصيدته داعيا الحمامة " – الوطن – إلى النضال والجهاد ونبذ الاستكانة للعدو مهما يؤت من جبروت ، لأن الأمل لا بد أن ينشر أشعته في مستقبل الأيام ، على أيدي الأبناء البررة ، حين يقول :

---

١. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٩٧ .
٢. المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .
٣. المصدر نفسه ، ص ١٥١ .
٤. المصدر نفسه ، ص ١٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا تستكيني للعـــــدو وناضلـــي | كما تستطيعـــــي لو تعرضت للتوى
فبالموت يحيى الناس من وطأة العدى | وفي الصبر أنواع القصاص لمن نوى
ولا تنظري ضعف العصافير هـــذه | فسوف تربيها الليالي لمســـــــتوى
وسوف تلقيها دروسا نبيلـــــــــة | تفك قيود الأسر عنها من الســوى (١)

وإذا كان شاعرنا قد لجأ في شعره القصصي إلى موضوعات وطنية وذاتية ، فإنه قد عالج في بعض قصصه ، موضوعات اجتماعية . ومن ذلك قصيدته " سلوها " (٢) التي تتحدث عن زوجين غير منسجمين يمثلان أمام القاضي، الزوج محب لزوجته لا يبغي سواها ، أما الزوجة فهي نافرة غضبى ، تود الفراق لأن زوجها مدمن على شرب الخمر ، وينهي القصة نهاية سارة ، حيث يجتمع شمل الزوجين ، وتعود المياه بينهما صافية ، فيقول :

هنا رقت لرحمتـــــه | وقالت طاب ما تســـل
وأبدت بسمة برئـــت | بها من حبها العـــــلل
فعادا مثل ما كـــانا | بعش كله جـــــــذل (٣)

وفي قصيدته " الهاشمية والشيب " يتعرض الشاعر لمشكلة اجتماعية مهمة ، وهي إكراه الفتاه على الزواج من رجل مسن ، وما يتولد عن هذه الزيجة من مشاكل أسرية ومعاناة وظلم ، يلحق الزوجة الفتاة .

وتتوزع أحداث القصة على ثلاثة شخوص ، المرأة وزوجها والقاضي وتتحدث القصة عن امرأة جاءت إلى القاضي ، تروم حلا لمشكلتها ، بعد أن وجدت نفسها في أحضان رجل مسن . ويتقمص الشاعر شخصية القاضي في هذه القصة . ولأن هذه الفتاة لا تستطيع رفع شكواها إلى المحاكم ، درءا للفضيحة ، فقد لجأت إلى دار القاضي لتطرقها ليلا :

فدقت علي الباب دق مـــؤدب | بنقرة فنان يداعب مزهـــــرا
وقد سلمت تحت الحياء وهينمت | بصوت رقيق كالنسيم اذا سرى
فقلت لمن أهدى السلام تحيتـــي | سلام كعرف الفل أن بلـه الثرى
بنيـة لا لاقيت سوءا فما الـــذي | دعاك وقدجن الظلام وأسحـــرا (٤)

---

١. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٥٣ .
٢. أبوسرور ، إلى أيكة الملتقـــى ، ص ٦٢ .
٣. المصدر السابق ، ص ٦٥ .
٤. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الإجتماعيات ، ص ١٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن استمع القاضي (الشاعر) إلى شكواها ، أشار عليها بالعودة إلى بيت الزوجية قائلا :

فلا تتركيه بعدما شاب واصبـــــري | ينلك الذي قد ناله لن يؤخـــــرا
تحلي بأخلاق الوفـــــا وتزينـــــي | بحسن الثنا من يغرس الحمد يشكرا
ومن صحب المحبوب في حالة الصبا | يصاحبه برا أو يموت فيعـــــذرا
عهدت النساء الهاشميات فـــي النسا | وفيات خيرات حسان لمن درى (١)

وكان على الشاعر أن ينظر إلى هذه المأساة الاجتماعية من زواية أعمق وأشمل ، فيعالج المسببات ، قبل أن يبحث في النتائج ، إلا أنه آثر أن يقدم لها النصح والإرشاد ، دون أن يتطرق إلى جذور هذه المشكلة ، منطلقا من موقعه كقاض يسعى إلى إصلاح ذات البين .

ونختتم القول في الأسلوب القصصي عند أبي سرور بالحديث عن قصيدة ، حكى فيها الشاعر بإسهاب ، قصة رجل ابتلي بزوجة لا ترعى حقوق الزوجية ، بل على العكس من ذلك فهي تسعى ليل نهار إلى خلق المشاكل ، وتنكيد عيش الزوج ، بسلاطة لسانها ، وكثرة مطالبها ، وسوء معاملتها ، والغريب أن الزوج لم يكتشف سوء طباع المرأة إلا متأخرا ، يقول متسائلا :

نوال فأين روض البيت أضحـــى | وتغريد المحبـــة والقـوام
نوال إلى متى أسقى بشـــوك | يحولني إلى حي الحطـــام
لقد أصبحت لا أسطيع أمضـــي | لبيتي بالنهار أو الظـــلام (٢)

وعبر مائة وستة عشر بيتا يظل الشاعر يحوم حول معان بعينها ، مسهبا في الحديث عما يعانيه الزوج " الضحية " من ألم وملل جراء تمادي الزوجة في سوء معاملتها . وقد تفنن في وصف المرأة التي خدع بها هذا الرجل ، راسما لها صورة تمقتها نفس القارىء ، فيميل إلى التعاطف مع هذا الزوج المسكين ، الذي أصبح بين أمرين أحلاهما مر :

وتبعث لي بنظرتها احتقـــارا | كأني نملة حول الطعـــام
تبص إلي عابسة بوجـــــه | تجعد باحتقار لاسقـــام *

---

١. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الإجتماعيات ، ص ١٢٨ .
٢. أبو سرور ، قصيدة مخطوطة بعنوان : نوال وضحاياها ، ص ٣ .
* بص يبص بصا وبصيصا : برق وتلألأ ولمع ، ابن منظور : لسان العرب مجلد ٧ ، ص ٦ ، (مادة بصص) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى أن يقـــول :

أريد بأن أبادلها حديثـــــا فتأبى أن تبادلنـــي مرامـــــي
فلقمها الفلوس تنطقنهـــــا وإلا فهي خرسى فـي الكـــلام
تطالب راتب الوزراء مني وأين البحر من كيس الغـــــلام (١)

وعلـى الرغـم مـن أن العـاملين السياسـي والاجتمـاعي يقفـان وراء لجـوء الشـاعر إلـى مثـل هـذا الأسـلوب ، الـذي هـو ترمـيز لتلـك الحـالات الاجتماعيـة والسياسية ، فإن الجانب الفني يتشاطر مع ذينك العـاملين ، إذ أن الشـاعر أراد أن ينحو من خلال هذا الأسلوب منحى فنيا ، يبعد قصيدته عن الخطابيـة والمباشـرة ٠ وقد وفق إلى حد بعيد في أسلوبه هذا ، فقارىء قصائده هذه ، سوف يتابع ما وراء هذه الرموز ، ليعرف حقيقة الفكرة ، وسوف لا يجد صعوبة في ذلك ، لأن رموزه هذه استقيت من خلال فهم مشترك لها بين الشاعر والمتلقي ٠ على أن ذلك لم يمنع من وقوع بعض قصـائده هـذه – وإن كـانت قليلـة – فـي أسـر الاخفـاق أو النجـاح المحدود ، كقصيدة " البدوي والذئب " (٢) التي لم تخرج عن إطار المرويات على لسان الحيوان ٠

– ٣ –

وعـرف شـعر أبـي سـرور بالتفـاوت فـي طـول قصـائده ، فكمـا نجـد لـه المقطوعات الصغيرة ، فإننا نجد له القصائد الطوال حيث تميزت بعض قصـائده بالطول المفرط مما جعلها لا تخلو من تكلف بما تحمله من قـواف مستدعاة قلقـة ، لا سيما قصـائد الإخوانيـات الطـوال التـي كونـت مرتعـا خصبـا للحشـو والمعـاني الباردة والكلمات غير المناسبة التي عمد إليهـا الشـاعر بفعل الاستطراد ، وفـرش المعاني على مساحة واسعة في القصيدة ، ففسحت المجال لورود النثرية فيها ، ولعلنا نذهب مع النقاد القدامى في قولهم أنه كلما أطال الشاعر في قصيدته ، نقص شعره عن مستواه المعتاد كثيرا ، كما نقل ذلك الدكتور يوسف بكار عن أحد النقـاد القدماء وهو عمرو بـن عبيـد قولـه : " إذا طـال الكـلام ، عرضـت للمتكلـم أسـباب التكلف "(٣) ٠

---

١٠ أبو سرور ، قصيدة مخطوطة بعنوان نوال وضحاياها ، ص ٦ ٠
٢٠ أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٧٧ ٠
٣٠ د٠ يوسف حسين بكار : بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، ص ٢٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وطول القصيدة يؤثر على مقدار انفعال الشاعر مع موضوعه ، فقد تبرد العاطفة ، وتأخذ في الفتور كلما طالت أبيات القصيدة . فقصيدة الشاعر " هذي سمائل " تبلغ مائة وأربعة وثمانين بيتا ، وكثير من قوافيها قد تكررت ما بين مرتين وست مرات ، حيث كرر كلمة " ميامينا " ست مرات و " التقيينا " اربع مرات ، و " تحدونا " أربع مرات ، و"آمينا " ثلاث مرات و" الوفيينا" ثلاث مرات و " مادينا " ثلاث مرات و" الدونا " مرتين . إلى غير ذلك . وقد كانت القصيدة قبل ذلك ، أقل مما هي عليه الآن ، ثم أخذ الشاعر يضيف إليها بعد ذلك . فالتطويل الحاصل هو الذي أوقع الشاعر في شرك إعادة القوافي . فطول القصيدة، لا يمثل مقياسا لمقدرة الشاعر الفنية ، بقدر ما يوقعه في أخطاء كان بوسعه أن يتفاداها . وليس معنى ذلك أن جميع قصائد الشاعر الطوال قد بدا عليها التكلف والضعف ، فقصيدة " روضة الألباب " تنتمي في مجملها إلى القصائد الطوال ، ولكنها في صياغتها الفنية وترابط أجزائها ، وجودة بنائها ، قد خلت من الحشو والتكرار والإسفاف . فجاءت أبياتها مترابطة ، ومعانيها متسقة .

- ٤ -

مع ما عرف من اختلاف النقاد حول المفهوم الدقيق للوحدة العضوية ، وخلط بعضهم بين مفهومي الوحدة العضوية ووحدة الموضوع (١) ففي حين كان قسم منهم يرى أنه يقصد بالوحدة العضوية وحدة الموضوع "(٢) ، كان قسم آخر يرى أن الوحدة الفنية في القصيدة " لا تكمن في الترابط اللغوي بين الأبيات ، ولا في تسلسل المعاني تسلسلا منطقيا ذهنيا ولا في وحدة الموضوع ، وإنما تكمن في وحدة الجو النفسي "(٣) مع ذلك كله ، فإن الذي يهمنا في هذا المبحث ، النظر في معمار القصيدة عند أبي سرور ، من حيث ترابطها أو تفككها . وبالتالي فإننا لن ندخل أنفسنا في تعدد المفهومات التي ناقشت ما تعنيه الوحدة العضوية أو الوحدة الموضوعية ومدى اختلاف النقاد حول هذه المسألة .

---

١. انظر هذه الآراء في : يوسف بكار ، بناء القصيدة ، ص ٢٨١ وما بعدها

٢. محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، ص ٣٧٣ .

٣. ناصر الدين الأسد ، الشعر الحديث في فلسطين والأردن ، معهد الدراسات العالية ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ١٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبدءا نقرر أن أبا سرور – شأنه في ذلك شأن شعراء الأحياء الأوائل– ظل بناء القصيدة عنده مرتبطا بوحدة البيت ، وذلك ينسجم مع ترسم الشاعر لخطى نموذج القصيدة التقليدية ٠ غير أن من الإنصاف القول ، بأن شاعرنا وإن ظلت وحدة البيت الشعري هاجسه ، إلا أنه لم يذهب في ذلك مذهب القصيدة العربية القديمة من حيث تنوع موضوعاتها وتعدد أغراضها ، حيث التزم في الغالب بوحدة الموضوع ٠

ومن أبرز سمات القصيدة العربية تعدد الأغراض ٠ ومن ثم كان هم عدد من النقاد البحث في إيجاد نوع من الرباط بين أجزاء القصيدة الواحدة ٠ كقول أحدهم معلقا على قصيدة تراثية قديمة " لم تقف القصيدة عند الرثاء ، بل تناولت أفكارا أخرى ، ضمها خيط نفسي واحد من أولها إلى آخرها ، لم يخرج فيها الشاعر عن الداعي الذي دعاه لنظمها ولا عن غايته أيضا "(١) ٠

وشاعرنا المكثر والمتنوع في عطائه الشعري يجعلنا لا نعدم توافر مثل هذه الخاصية في نتاجه ، ولكنه لا يجعلنا أيضا نعمم هذه الصفة عليه ٠ فالوحدة الموضوعية تتوافر مثلا في قصائد الحماسة والوطنيات والغزليات ذات الاتجاه الوجداني ، التي يربطها بناء عضوي ، وتنساب القصيدة وفق رباط نفسي وحالة شعورية موحدة ، تسيطر على البناء العام فترتبط بفكرة موحدة وقصيدة الشاعر "صرخة الفدائي " تسيطر عليها فكرة واحدة " بذل النفس في سبيل تحرير المغتصب من الأوطان " ، وبالتالي فلاغرابة أن يتحدث عن الإقدام والتحدي ومجابهة الصعاب ، واقتحام الأهوال وإكبار شأن الفدائي ، الذي سيتواصل عطاؤه فلا ينقطع بمجرد موته ، حين يستلم الراية ابنه ، فيواصل مسيرته ، وانتقال الشاعر من جزئية إلى أخرى ، ضمن الوظيفة الكلية للقصيدة التي استحوذت على مغزى واحد استطاع من خلاله أن ينجز قصيدة متكاملة في بنائها ، مترابطة في أجزائها، وإن كان ذلك لا يعني توافر " الوحدة العضوية " في القصيدة حيث أن كل بيت يؤدي فكرة مستقلة ضمن الفكرة الرئيسة فيها ٠

ولو نظرنا في مثال آخر وهو قصيدته الوطنية " العماني في بأسه "(٢) لوجدنا أن هذه القصيدة تقوم على ثلاث أفكار جزئية ، في أولها يخاطب بلدته

---

١٠ يوسف بكار ، بناء القصيدة ، ص ٣٢٣ ٠

٢٠ أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٢١٣ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذاكرا تاريخها وبسالة أبنائها ، وفي الجزء الثاني يدعو العمانيين إلى الإفادة من تاريخهم وحضارتهم للمحافظة على كيانهم ، أما الجزء الثالث فيدفعهم فيه إلى الحماسة مبينا بسالتهم وإقدامهم وشجاعتهم . لقد جاءت أجزاء هذه القصيدة مترابطة في معانيها ، حين جعلها ترتبط بإحساس وشعور مشترك تجمعها العاطفة وتوحدها الغاية .

ومن قصائد الشاعر ذات الوحدة الموضوعية التي تسير وفق فكرة رئيسة قصيدته العتابية " من للوفاء " (١) ولو أخذنا هذه القصيدة وطبقنا عليها بعض معالم النقد من حسن المطلع إلى التخلص ثم الخاتمة ، والوحدة التي تربط بين أجزائها ، لرأينا أن القصيدة تحتوي على التفاتات بارعة ، وتنقلات سائغة ، ضمها إطار واحد ، والتقت عند غاية واحدة .وفي هذه القصيدة يجري الشاعر حوارا بينه وبين النفس وإن توهمنا أنه قد استطرد في حديثه ، إلا أن ذلك الحوار خدم موضوعه ، وحقق رغبته في تخفيف اللوم وتهدئة العتاب ، بعد أن حاول التغطية على ما قام به صاحبه من عمل رآه الشاعر ، نكرانا للجميل في حق أهله، وبعد أن استخدم أسلوبا فيه من التقريع والشدة ، ما يشي بتبرم الشاعر مما حصل ، جاء ذلك الحوار لينتشل الشاعر من حدة الغضب وعمق الأسى ، وبذلك انطلق الشاعر ليواصل مرحلة العتاب الذي يحتفظ فيه بصديقه فيكسب وده ، ويؤكد الشاعر في القسم الأخير من القصيدة ، عميق مودته ، وصادق أخوته ، وهكذا يتضح لنا من خلال هذه القصيدة النموذج . التناسب الحاصل فيها ، التي لم تكن عتابا خالصا ، وإن عبر فيها الشاعر عن عاطفة موحدة ، تفاعلت أجزاء القصيدة مع بعضها بعضا ، لتشكل لنا قصيدة ذات أداء مترابط .

ولو نظرنا في قصيدته " يا رحمة الحب " (٢) لوجدنا أنها تمثل حالة وجدانية ، خاض الشاعر غمارها بأحاسيسه ومشاعره ، وقد نظمها في أوج إحساسه بالفراق ، وهو يودع زوجته ، فيجسد معاناته ولوعته من أثر هذا الفراق، وهي بمجملها تشكل تجربة شعورية مترابطة .

---

١. أبو سرور ، ديوان ، إلى أيكة الملتقى ، ص ٦٩ .
٢. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ، ص ١٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا يظهر لنا أنه وإن بنى الشاعر موضوعاته في إطار وحدة ، موضوعية ، فإن البناء العام للقصيدة يبقى مفككا ، على الرغم مما نجده في بعض قصائده من ترابط بين بعض أبيات القصيدة ، إلا أن وحدة البيت تبقى ظاهرة في ثناياها ، ومع أن معظم أبياتها جمع بينها رباط نفسي وشعوري واحد ، إلا أن الشاعر لم يستطع إيجاد وحدة عضوية بينها ، وذلك في إطار من الفهم الموروث للقصيدة العربية .

- ٥ -

أما مطلع القصيدة ، وحسن التخلص ، والخاتمة ، وهي أمور اهتم بها النقاد القدماء اهتماما بالغا حيث نال مطلع القصيدة عناية كبيرة ، إدراكا منهم لما يمثله من قوة تؤثر في النفس ، فنوهوا ببراعة مطلع القصيدة ، الذي يسترعي انتباه السامع ، فيصغي إليه إن كان جيدا ، وينصرف عنه إن كان فاترا . ووضعوا لذلك عدة شروط (١) وخير المطالع ما دل على حالة الشاعر ، ونم عن موضوعه المقصود من الكلام لأنه " أول ما يقرع السمع منه ، وبه يستدل على ما عنده في أول وهلة "(٢) واستهلال أي عمل فني يهدف إلى جلب انتباه السامع وشده إلى الموضوع ، باعتباره بنية فنية أسلوبية ، ناتجة عن أسلوب النص ذاته ، ومنسجمة مع كينونة النص الأدبي المنبثق عنه " فالاستهلال بنية خاصة ، تتناسب وموقعه في أول الكلام أولا ، وموقعه باعتباره حاملا لنوى النص ثانيا "(٣) .

وقد وجدت أن ابا سرور يبتعد بمقدمات مطالعه واستهلالاته عن المقدمات التقليدية ، الغزلية والطللية ، ليجعلها مناسبة للموضوع الذي يتحدث عنه. ولعل أول ما يطالع القارىء لقصائده " عنواناته " التي استمدها في غالب الأحيان من موضوعات قصيدته .

وللشاعر عدد من القصائد ذات الإستهلال الجيد والمطالع الحسنة كقوله من قصيدة في الرسول صلى الله عليه وسلم ، بناها على طريقة شعر الوجد الصوفي :

---

١. ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ٣٨٨/١ .
٢. المصدر السابق ، ٣٨٩/١ .
٣. ياسين النصير ، الاستهلال ، فن البدايات في النص الأدبي ، ص ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شوقي إليكم أهاجته مشاعره | فبان ما كان تخفيه ضمائـــر د
قيد التجمل قد فكتـه ظالمـة | شمال وجدي رماها ما تكابره (١)

ومطلع قصيدته " أنشودتي " التي قالها جوابا علـى رسـالة أخويـة وهـو يعيش فـي الغربة ، يقول :

يا من تملك مهجتي فأذابها | وبروح وعي من هواه أثابهـا
يا من دعاني للعلى فأجبته | أنشودتي ما زلت أطرق بابها (٢)

ويلجأ الشاعر إلى مخاطبة الطير في مقدمة رسالة عتابية :

إلى متى أنت بالأغصان صـداح | مبكر في الهوى تشـــدو ورواح
إلى متى أنت تشجيني وتؤلمنـــي | شجوى الهوى مؤلم جدا وفضاح(٣)

فمن مطلع القصيدة يدرك القارىء مدى معاناة الشاعر ، حين بقى يخاطب الطـائر الذي ذكره الهوى فشجاه.

ومن محاسن مطالع قصائده الغزلية قوله :

هذا هو الحب يهواني وأهـواه | لكن دهري شجى بينى وإيـاه (٤)

وقوله :

حاشا لقلبي أن يروم ســـواك | فأنا القتيل وقاتلي عينـــــاك
فسهام جفنك أرسلت لصبابتي | عشقا وأورى مهجتي خـــداك (٥)

وقوله :

حبيبي إني من هواك طريح | معنى فسل ذا الطرف كيف يطيح (٦)

أما أهم محاسن مطالع قصائده الرثائية فقوله :

أذوب أسى وما لـــي لا أذوب | ودمعي في الخدود له شحـــوب
ولو فاضت دموع الحزن بردا | لظل القلب من حزن يـــــذوب (٧)

وقوله :

المرء زرع والفناء حصاده | وإلى الاله مساقه ومعـــــاده (٨)

---

٠١ أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٣ .
٠٢ المصدر السابق ، ص ٨٩ .
٠٣ المصدر نفسه ، ص ٩٧ .
٠٤ أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ، ص ١٤٣ .
٠٥ المصدر السابق ، ص ١٣٨ .
٠٦ المصدر نفسه ، ص ١٤١ .
٠٧ أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٣٩ .
٠٨ أبو سرور ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من أن معظم قصائد شاعرنا ذات موضوع واحد ، فإننا لا نعدم حسن تخلصه وانتقاله من الاستهلال إلى موضوعه في سهولة ولطف ، عندما يعمد في معظم الأحيان إلى ابتداء قصائده بمخاطبة الطبيعة أو الطيور أو الغزل نادرا ، فمن جميل تخلصه هذه الأبيات التي انتقل الشاعر فيها من الحديث مع الحمامة التي بقي يحاورها في قصيدته ، إلى أن خلص إلى الحديث عن أحبته وأسرته وهو لما يزل متصلا مع الحمامة ، قائلا :

رعاك الهوى ذات الجناحين إنني وإياك في دعواك سيان فاسمعي
فلا تعتبي الأيام فالدهر دائما يفرق للأحباب في كل مرتع
تعالي بجنبي في حديث مع الهوى وكيف صنيع الدهر يا هذه معي
أما تنظري داري فأين أحبتي وكيف حياتي دون حبي أماتعي (١)

ومن معيب تخلصه قوله في قصيدة رثائية :

الخطب أعظم فاجزعي أو فاصبري فالموت أودى بالهمام الأكبر
قلعت عيون العلم من وجه الهدى أيدى المنون بأسهم لم تكسر
قد مات ابراهيم في اطفيش وخليفة المختار في ذي الأعصر(٢)

حيث لم يحسن الشاعر الانتقال والربط بين مقدمته وإشارته إلى موت الشيخ أبي اسحاق وجسامة الخطب ، وذلك على خلاف انتقاله الجيد في مرثيته الأخرى لمفتي عمان السابق الشيخ ابراهيم العبري ، حين قال متسائلا :

تتساءل الأرض السوية والسما في الخطب ما أبكاك ما أبكاك
فأجابها العرش العلي وملؤه حزن به يهتز من جراك
حم القضا مات الفقيه المرتضى أكرم به من عالم دراك
مفتى عمان المجد ابراهيمنا من ذا يناظره بأفق سماك (٣)

حيث كان انتقاله سهلا لطيفا ، دون أن يشعر السامع بفجوة في الحديث بين السابق واللاحق .

وجاءت خواتيم قصائد أبي سرور متنوعة ، فقد يختمها بحكمة كقوله :

فخذها من الأيام ذكرى أخوة لكل فتى منها نصيب يصيبه (٤)

---

١. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٣١ .
٢. المصدر السابق ، ص ١٥٤ .
٣. المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ .
٤. المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يختمها بتشبيه مثل قوله في قصيدة بعنوان " لسان الشعر "

وهل يسلو عن الأحباب حـــر | سقى روض الصبابة منه شهد
فإن الناس مثل الزهر شتـــى | وخير الزهر والريحان رنـــد (١)

وأحيانا كثيرة يختمها بالدعاء كقوله مختتما قصيدة غزلية :

واطول شوقاه في لقياك يا أملـــــي | ما أتعس الحب إلا في رضى الباقي
لا عاش عمر النوى حتى أرى أملي | ولا ذوى عود آمالـي وأوراقـــي(٢)

والشاعر في كثير من الأحيان يأتي بما يتناسب في خاتمته مع موضوع قصيدته .

- ٦ -

ظاهرة التنقيح والمعاودة في بناء القصيدة عند الشاعر :

يرتبط مفهوم التنقيح والمعاودة في الشعر بالصنعة ، التـي يهدف الشاعر من ورائها إلى إتقان عمله الأدبي وتهذيبه وتقديمه للقارىء بعد روية وإتقان . ومصطلحا التنقيح والمعاودة ليسا جديدين في الأدب العربي ، حيث إن النقاد القدماء ، وخاصة في أعقاب القرن الرابع الهجري قد تعرضوا لهذا المفهوم ، وأفردوا له بابا في كتبهم النقدية ، من أمثال أسامة بن منقذ ت (٥٨٤ هـ) الذي وضع في كتابه " نقد الشعر " بابا سماه : " باب التهذيب والترتيب "(٣) . وابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) في باب " التهذيب والتأديب "(٤) وابن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) بعنوان " التهذيب والتأديب "(٥)، فضـــــــلا عن بعض

---

١. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٢٧ .
٢. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ، ص ١٥٢ .
٣. أسامة بن منقذ ، البديع في نقد الشعر ، تحقيق د. احمد بدوي ود. حامد عبدالمجيد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٩٥ .
٤. أبن ابي الأصبع المصري ، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرأن ، تحقيق د. حنفي محمد شرف ، لجنة أحياء التراث الاسلامي ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ ، ص ٤١٠ .
٥. ابن معصوم المدني ، أنوار الربيع في أنواع البديع ، الجزء الخامس، حققه وترجم لشعرائه ، شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرق ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٩م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدراسات الحديثة التي تناولت الموضوع ، منها رسالة بعنوان " التنقيح والمعاودة عند الشعراء والنقاد العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري "(١) والشاعر لا بد له من إلقاء نظرة على قصيدته ، بعد فراغه من بنائها ، قال أحد النقاد " فإذا عملت القصيدة فهذبها ونقحها ، بإلقاء ما غث من أبياتها ورث ورذل " والاقتصار على ما حسن وفخم ،٠٠٠ حتى تستوي أجزاؤها ، وتتضارع هواديها وأعجازها"(٢) ٠

إن الهدف الذي يرمي إليه الشاعر من تنقيح قصيدته ، يتركز في البحث عن فصاحة الكلام ، وتلاحم أجزائه ، وإبراز معانيه ، وإتقان بنية الشعر فيه ، وهذا يذكرنا بفعل فحول الشعر العربي القديم ، مثل زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني ، وطفيل الغنوي وبشار بن برد الذي روي عنه قوله : حينما سئل عن سبب تفوقه على أهل عصره " لأني لم أقبل كل ما تورده إلي قريحتي ويناجيني به طبعي ويبعثه فكري ٠٠٠"(٣) ٠

والشاعر أبوسرور من الشعراء الذين ينظمون الشعر عن بداهة طبع وهو وإن كانت الألفاظ تأتيه طيعة ، إلا أنها قد تستعصي عليه في التعبير الحقيقي عن مكنونات نفسه ، حيث تبقى هذه الألفاظ عاجزة عن حمل همومه ، فتعترف له بالتقصير ، فيعمد إلى البحث عن مفردة أخرى ، علها تستطيع حمل أفكاره ، وتعبر بصدق عن تصوراته ، فتتقاسم معه آلامه وتشاركه آماله ٠

ومن هنا كان على الباحث أن يغوص في أوراق الشاعر ومسوداته ، ويبحث في دواوينه المطبوعة ، ومخطوطاته الحديثة ، لينظر في بناء نصه الشعري هل حافظ الشاعر على قصيدته ، ، فاحتفظ بطابعها ؟ وما مدى التغيير الذي طرأ على هذه القصيدة أو تلك ؟ هل مسها مسا طفيفا ، أم هدمها ليعيد بناءها من جديد ؟

---

١٠ فالح أحمد فالح : رسالة ماجستير ، جامعة البصرة ، عام ١٩٨٨م٠

٢٠ أبوهلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري : الصناعتين ، تحقيق : مفيد قميحة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤ ، ص ١٥٧ ٠

٣٠ أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري : زهر الآداب وثمر الألباب ، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد ، ضبط وشرح د٠زكي مبارك ، دار الجيل، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٢ ، ج١ ، ص١٥١ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخيرا ، ما الأسس التي قام عليها تنقيح الشاعر لقصائده ؟ وبالتالي ما الأسباب التي حدت به إلى ذلك ؟ هذه تساؤلات أبدأ بها فكرة هذه الجزئية من المبحث لعلي أظفر بإجابة مقنعة ٠

من الواضح أن ظاهرة التنقيح والمعاودة في القصيدة اتخذت اشكالا مختلفة عند شاعرنا أبي سرور ، الذي لم يكتف بالتنقيح ، حين ينظم قصيدته ، أو بعدها ، ولكنه يظل يصلح بها ويغير ويبدل ، يلغي بيتا أو أبياتا بكاملها ، ويدخل أبياتا جديدة لم تكن في صلب القصيدة عند نظمها ، علما أن القصيدة كانت قد ذاعت وانتشرت بصورتها الأولى ، ومع ذلك فلا يجد الشاعر غضاضة من التعديل والتقويم في هذه القصيدة أو تلك ٠ من هنا نجد أن الشاعر أسرف في التنقيح ، حين لم يكتف بتغيير مفردة بل تعداها إلى تغيير أبيات بكاملها ٠

وسوف نعرف من خلال هذه الدراسة المختصرة أسباب التغيير والتبديل في ثنايا قصائد أبي سرور ، وما إذا كان التغيير ناشئا عن اضطراب وقلق أو ضعف في العبارة أو المفردة ، وهل وفق الشاعر في محاولة الإصلاح ، أم أخفق؟ ومدى نجاح الشاعر في نقل تجربته ، عبر تنقيحاته وإصلاحاته ٠

والقارىء لبعض مسودات شعر أبي سرور يلحظ بشكل لافت مدى عناية الشاعر بصياغة شعره ؛ وتنقيح كلماته وتهذيب قصائده ونستطيع أن ندرس ذلك من خلال المظاهر التالية :

المظهر الأول : إبدال كلمة أو عبارة في البيت الواحد ، بكلمة أو عبارة جديدة ، من ذلك قوله في المسودة المخطوطة :

فلم يبق لي من حمى يحمني وراء التصبر إلا المنون (١)

فغيره بقوله في المطبوع :

فلم يبق لي من حمى مانع وراء التصبر إلا المنون (٢)

و" حمى يحمني " لفظتان متجاورتان مشتقتان من بعضهما ، استهلكها الشاعر في " الحمى " فاستبدلها بمانع لتأخذ مكانها في القصيدة وهذا إصلاح جيد ٠

---

١٠ أبو سرور ، المسودة المخطوطة الأصلية ، ص ٤٦ ٠

٢٠ أبو سرور ، إلى أيكة الملتقى ، ص ٥٤ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي البيت التاسع والعشرين يقول في المسودة المخطوطة من القصيدة نفسها :

أما تأنني لي في قبلة تمثل لوعة من يعشقون (١)

حيث غير لفظة " تمثل " بـ "تبرد"(٢) وتلك خير من سابقتها لما لها من وقع في النفس وأثر عليها ٠

وكذلك الشأن في قصيدته الذاتية " نسمات اللطف " (٣) التي يبث فيها مشاعره وأحاسيسه ، ففي البيتين الثاني والثالث من القصيدة ، غير الشاعر عبارات وكلمات ، يقول في المسودة :

أم من ربا طيبة أم برد جيرتها ذاك البليل نقي الجيب والشيم

إني أشم عليك اللطف باردة أنفاسه تحت لطف كم سرى بدمي (٤)

إذ غير في الديوان المطبوع " إلى أيكة الملتقى " عبارة " برد جيرتها " فجعل مكانها " روض جارتها " وأحسب أن الشاعر قد عدل عن العبارة الأولى إلى الثانية ، ليشير الى البستان الآخر الذي أراد الحديث عنه وكذلك في تغيير كلمة " البليل " إلى " الذكي" ليشير إلى الرائحة الذكية التي تفوح من ربا تلك الأماكن ٠ وكذلك تغيير كلمة " اللطف " إلى " الروح " في صدر البيت الثاني حتى لا تتكرر الكلمة في البيت نفسه مرتين ٠

ومن ذلك أيضا ما عدله في البيت الثاني عشر في المطبوع حين قال في المسودة :

والحمد لله حمدا سوف نحصره إن تحصى نعماؤه بالعد والقلم (٥)

فقال : والحمد لله حمدا غير منحصر لا تحصى نعماؤه بالعد والقلم (٦)

حيث أراد الشاعر تصحيح خطأ ارتكبه في بناء البيت وهو خطأ معنوي ، حين أشار في المسودة إلى إمكانية إحصاء نعم الله ، ونعم الله سبحانه لا تعد ولا تحصى ٠

---

١٠ أبو سرور ، المسودة من المخطوطة الأصلية ، ص ٤٦ ٠

٢٠ أبوسرور ، ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٥٤ ٠

٣٠ المصدر السابق ، ص ٨٤ ٠

٤٠ أبو سرور ، المسودة من المخطوطة الأصلية ، ص ١٣ ٠

٥٠ المصدر السابق ، ص ١٤ ٠

٦٠ أبو سرور ، ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٨٥ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذا القبيل أيضا قوله من قصيدة عتابية في المخطوطة المسودة :

وقائل أنتمو أهل الوفا شرفـــا والحاكمون على من قد بغى فيه (١)

أورده في المطبوع كما يلي :

وقائل أنتمو أهل الوفا حكمـا والآخذون على من قد بغى فيه (٢)

حيث آستل كلمة " الحاكمون " في العجز ليجعلها " حكما" بدلا من " شرفا" ويغير كلمة " الحاكمون " إلى الآخذون " . ومع بقاء البناء الصرفي في وزن الكلمتين على حاله ، إلا أن المعنى قد انسجم أكثر ، فكلمة " حكما" في المصراع الأول أخذت موقعها بجدارة وكذلك " الآخذون " التي دلت على الوقوف أمام الباغين ولكن في نطاق الأخذ بيدهم إلى طريق الصلاح ، بدلا من قساوة الحكم عليهم .

أما المظهر الثاني : فهو المزاوجة بين الأبيات ، كأن يقابل صدر البيت الأول مع عجز البيت الثاني ، مثل قوله من قصيدته " يا فلسطين " في المسودة:

أتظنهم جهلوا العدو وكيده كلا وهم عدونا التخريـــــب

هم العدى تفريقنا تمزيقنا كل بسيف شقيقه مضـــروب (٣)

حيث ورد في المطبوع قوله :

أتظنهم جهلوا العدو فأصبحوا كل بسيف شقيقه مضروب (٤)

حيث زاوج الشاعر بين صدر البيت الأول بعد إبدال كلمة " وكيده" بـ "فأصبحوا" مع عجز البيت الثاني ليصبح بناؤهما الجديد على تلك الصورة فقد ضغط الشاعر المعنى وكثف العبارة ، وترك استنتاج هم العدو من التفريق والتخريب والتمزيق إلى القارىء الذي يفهم ذلك بداهة فوفق الشاعر في ذلك لتناسب المعنى في صدر البيت الأول مع عجز البيت الثاني .

ومن ذلك الصورة التالية التي تبادلت الأعجاز والصدور مواقعها ، ففي المسودة يقول :

تدير الأنس بين بنى هواهـــا ويطربها الحمام من السرور

تغازلها الطبيعة في هواهـــا مدلهة على جنب السمـــــير (٥)

---

١. أبوسرور ، المسودة من المخطوطة الأصلية ، ص ١٦ .
٢. أبوسرور ، ديوان إلى أيكة الملتقـى ، ص ٦٩ .
٣. أبوسرور ، المسودة من المخطوطة الأصلية ، ص ٤ .
٤. أبو سرور ، ديوان الى أيكة الملتقى ، ٤٦ .
٥. أبو سرور ، المسودة من المخطوطة الأصلية ، ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذ أصبح بناؤها كما يلي :

تدير الأنس بين بنى هواها ... مدلهة على جنب السـمير
تغازلها الطبيعة في هواها ... ويطر بها الحمام من السرور (١)

وقد أحسن الشاعر في هذه المزاوجة بين الأبيات ، فمدلهة تتناسب وكونها تدير الأنس بين أبناء جنسها ، وعندما تغازلها الطبيعة بجمالها الخلاب ، كان مناسبا أن يطرب لها الحمام من السرور .

وقد يزاوج الشاعر بين كلمتي الروي في القصيدة ، كما حدث في قصيدته الغزلية " إلى أيكة الملتقى " في البيتين التاليين :

وعلي وعلك نمشي معا ... لروض الثقافة إذ ينشدون
فنشرب كأس المنى والهنا ... على نبرة الشعر إذ يطربون (٢)

حيث تبادلت كلمتا " ينشدون ويطربون " (٣) مواقعهما وذلك لتناسب " ينشدون" مع البيت الثاني وإن لم يدخل فيهما معنى جديدا ، ولكنهما أديا وظيفتهما اللغوية بشكل أفضل لا سيما في البيت الثاني .

والمظهر الثالث : من مظاهر التنقيح عند شاعرنا يتجلى في حذف أبيات بكاملها من القصيدة وإن كان ليس من الهين أن يتخلى الشاعر عن بيت شعر قاله ، فمن الممكن أن يبدل الشاعر مفردة بأخرى أفضل منها تخدم العمل الشعري وتؤدي المعنى بصورة افضل، وهذا شيء متعارف عليه عند الشعراء ، أما أن يلغي الشاعر بيتا من قصيدته حفاظا على وحدتها وتماسكها لركاكة أو ضعف في الأسلوب أو لأنه رآه مقحما في القصيدة ، فذلك أيضا أمر معقول ، وإن كان بعض الشعراء حريصا على بنات أفكاره ، يعز عليه أن يتخلى عن بيت شعر قاله، لأن الشاعر عادة يكون ضنينا بشعره ، مفتونا به ، فما الذي حدا بأبي سرور، لأن يتخلى عن عدد كبير من أبيات قصائده ؟

إن معاودة الشاعر لنتاجه الشعري مرة بعد أخرى ، وكثرة نقله من مخطوطة الى أخرى ، جعله يعاود النظر في بناء قصيدته الشعرية ، رغبة في مسايرتها للواقع السياسي والاجتماعي ، وأملا في قبولها من قبل المتلقين ولا سيما

---

١. أبو سرور ، ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٨٦ .
٢. أبو سرور ، المسودة من المخطوطة الأصلية ، ص ٤٦ .
٣. أبو سرور ، ديوان الى أيكة الملتقى ، ص ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا كانت ذات صلة مباشرة بالعصر وأحداثه ، ولكن الشاعر أغفل في كثير من قصائده مناسبة القصيدة ، التي قالها فيها ، فإذا ما نالها التغيير والإصلاح تصبح غريبة على ذلك الحدث ، وبالتالي فان إقحام موضوعات جديدة فيها لم تعد مناسبة لبداياتها الأولى ، وزمنها الذي قيلت فيه قبلا .

ولننظر في قصيدته " حداة الوغى " (١) لنرى أنه حذف منها ثلاثة وعشرين " بيتا ، وهي لب موضوع القصيدة ، وفيها من جمال البناء اللفظي والمعنوي ما يجعلها جديرة بأن تثبت ، منها قوله :

سراة العلى هذي العلى في سجونها تناديكم في قيدها والسلاسل
بني المجد هل يرضى النعيم غشمشم على أنفه للذل وطأة خامل (٢)

وعندما قام بطبع ديوانه الأول " باقات الأدب " أضاف إليها خمسة عشر بيتا ، بعدما ألغى من قاموسها الأبيات الثلاثة والعشرين ، رغبة في الحديث ، عما كان مناسبا في تلك الأيام من تفشي بعض الثورات التي لم يكن الشاعر يلتقي معها في أيديولوجيتها من مثل قوله :

أيسطو الشيوعيون فينا بكيدهم ونحن رجال الله أسد التقاتل
ويغزو حمانا ظالم ظل رشده ونحن لدى الهيجاء أسد الغياطل (٣)

وغيرها من الأبيات التي أضافها الشاعر (٤) .

ونال المطبوع أيضا نصيبه من الإصلاح والتنقيح ، فقلما نجد قصيدة إلا وأبدل فيها وغير وحذف وأضاف ، مراعاة منه لمتابعة نتاجه . ولكن القارىء يندهش من جرأة الشاعر على حذف عدد كبير من أبيات قصائده ، وإبدالها بأخرى، قد لا تصل في بنائها وجودة سبكها إلى مستوى الأبيات المحذوفة ، ولكن رغبة الشاعر في التجديد ، وإسرافه في التنقيح ومراعاة الواقع ، جعلته يطال المطبوع من شعره ، والذائع منه ، والباحث لا يجد عناء كبيرا في الاستدلال على ذلك (٥) ، وقصيدته السابقة " حداة الوغى " قد عدل فيها على تعديله السابق حيث

---

١. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٥٢ .
٢. أبو سرور ، المسودة من المخطوطة الأصلية ، ٦٢ .
٣. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٥٣ .
٤. المصدر السابق ، ص ٥٣ ، ٥٤ .
٥. انظر /أبوسرور: القصائد التالية في المطبوع والمخطوط الجديد: عمان الماضي ، مجدك يا عمان ، العماني في باسه ، حداة الوغى ، صرخة الفدائي ..الخ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حذف منها اثني عشر بيتا وزاد فيها ثمانية عشر بيتا ، وأبدل وغير في سبعة أبيات ، ولا ريب أن ذلك هدر لطاقة شعرية ، وأبيات كانت تعبر عن فترة زمنية محددة ، بملابساتها وظروفها ، فكان يجدر بالشاعر إبقاؤها على ماهي عليه، أو تعديلها بشكل طفيف لا يمس جوهر القصيدة ، بحيث يبقي على المعنى ، لا أن يغير وجهتها من كونها قصيدة وطنية في بلده " عمان " إلى قصيدة قومية ، متحدثا فيها عن هموم الأمة ، وبعض قضاياها الراهنة ، فذلك أمر لم يعد يحظى بقبول الناقد والقارىء لشعره ، إذ أفقد القصيدة رونقها وبهاء حلتها ، فالشاعر قد هدم القصيدة الأم . وكنا نتمنى أن يعبر عن ذلك في مولد قصيدة أخرى (١) .

وحذف خمسة عشر بيتا من قصيدته " ليالي في سمائل " وهي التي يشير فيها إلى مصادرة ديوانه " باقات الأدب " وعند نشره حذفها وكان يجدر به إبقاؤها لما تشكله من أهمية في إلقاء الضوء على شاعريته ، وغيرته على بنات أفكاره وهي أبيات يشكو فيها حاله ويبث فيها حزنه على ديوانه الذي لم يتسر له نشره كقوله :

أرى الأيام قد بخلت علينا | بنشر كتابنا الأدب الشهير
عسى الملك الكريم يجود يوما | فيفرج عنه فضلا من قدير
وليس عداء هذا الدهر يثني | نوانا أو يزعزع للمصير (٢)

وقد يكون حذف الأبيات ناشئا عن ضعف في البناء وركاكة في الأسلوب كحذفه البيتين التاليين من قصيدة " يا فلسطين " لا سيما في البيت الثاني :

تلكم مصائب مارزئنا قبلها | بمصائب والحادثات تنوب
وكأن ما نشكوه لم يبرح بنا | إذ أننا للدين ليس نؤوب (٣)

وأما المظهر الرابع من مظاهر التنقيح عند شاعرنا فهو التحوير في أبياته الشعرية وبنائها من جديد ، مع الحفاظ على بعض الخيوط التي تشدها بالأبيات الأولى من ذلك قوله في المسودة :

آل الخليل همو أهل الوفاء ومن | نرجو سواهم له قوما ينميه (٤)

---

١. قارن القصيدة في ديوانه باقات الأدب ، ص ٥٣ والمخطوطة الجديدة من الوطنيات ، ص ١٣٢ .
٢. أبو سرور : المسودة من المخطوطة الأصلية ، ص ٢٦ .
٣. المصدر السابق : ص ٤ .
٤. المصدر نفسه : ص ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبدله في المطبوع بقوله :

ومن يعج نحو أبناء الخليل يجد | للعدل قيمته القصوى تحييـــه (١)

وفي قصيدته " حب تخطى العقبات " يقول في المسودة :

مدايمين الشرع عهدا موثقا | في عشرة محمودة الأوصاف (٢)

أبدله بقوله :

ثم انبرى للشرع عند وليها | عقد الكتاب مقدس الأوصـــاف (٣)

والمظهر الخامس : يبدو في التقديم والتأخير الذي يعمد إليه الشاعر في أبيات قصائده حين مضى يلف الأبيات إلى قرائنها ، فقد أخر البيتين التاليين في قصيدته " مع الخليلي " وجعلهما بعد البيت السادس عشر في المطبوع وكان موضعهما في الأصل بعد البيت الحادي عشر في القصيدة " المسودة " وهما :

اليوسفي الفتى حمدان من شهدت | له المعالي فما أعلى معاليـــه

حذفتمو ذكره من شعركم علنـــا | أذكره علة بالشعر تؤذيـــــه (٤)

وتأخير البيتين اقتضتهما ضرورة حذف البيتين التاليين من المسودة :

فهل تفقدتمو من شعركم صحفا | قد انمحى بعضها من كف منشيه

يا ويح نفسي لأستاذ لمست بـه | بر الأبوة في جد وترفيـــــــه(٥)

وقد تبادل البيتان التاليان مواقعهمـــا :

أولئك فتية لله قامـــــوا | صحابيون في العصر الأخير

فناديهم إذا اشتبكت رماح | ونادت غيرة الباري أغيـــري (٦)

وذلك للتناسق القائم بين الأبيات الثلاثة الأولى، السادس عشر والسابع عشر مع البيت العشرين " فناديهم .." مما حدا بالشاعر إلى أن يضيف البيت التالي لمناسبته :

لقد نالوا الشهادة في المعالـــي | بها تلقاهمو حور القصور (٧)

---

٠١ أبو سرور ، ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٧٠ .
٠٢ أبو سرور ، المسودة المخطوطة الأصلية ، ص ٥٤ .
٠٣ أبوسرور ، ديوان الى إيكة الملتقى ، ص ٥٧ .
٠٤ المصدر السابق ، ص ٧٠ ، والمسودة ص ١٦ .
٠٥ أبو سرور ، المسودة من المخطوطة الأصلية ، ص ١٦ .
٠٦ المصدر السابق ،ص٢٥ ، وانظر ديوان الى أيكة المتلقى ، ص ٨٧ .
٠٧ أبو سرور ، ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمظهر الأخير من مظاهر الاصلاح هو : ظاهرة التغيير في عنوانات قصائده ، فالقصيدة التي مطلعها :

نامت عيونك والحبيب معذب (١)

عنون لها بمشكلة البريد ، ولما طبعها في ديوانه " إلى أيكة الملتقى " عنون لها بـ " أشجان معلمين " (٢) وفي ديوانه المخطوط الجديد أصبح عنوانها " أنات وأشواق"(٣) .

وقصيدته العتابية التي مطلعها :

من للوفاء على شتى معانيه من للوفاء وفي في مبانيه (٤)

عنوانها في المسودة " من للوفاء " (٥) وفي " أيكة الملتقى " " مع الخليلي " (٦) وأخيرا في مخطوطه الجديد " عتاب الأصفياء " (٧) .

أما قصيدته الإخوانيه مع " سالم الرواحي " التي مطلعها :

أديري الأنس بالقدح الكبير وغرد يا حمام على الغدير (٨)

فقد كان عنوانها في المسودة الأصل " على اسم الله " (٩) وفي ديوانه " أيكة الملتقى " عنوانها " ليالي في سمائل " (١٠) .

وقصيدته الأخوية التي مطلعها :

" عاتبيه إن كان للعتب ربح "

عنوانها في المسودة " عاتبيه " (١١) و في " أيكة الملتقى " حديث البيان " (١٢) ،

---

١. أبوسرور ، ديوان : الى أيكة الملتقى ، ص ٨٩ .
٢. المصدر السابق ، ص ٨٩ .
٣. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الاخوانيات ، ص ١٥١ .
٤. أبو سرور ، ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٦٩ .
٥. أبو سرور ، المسودة من المخطوطة الأصلية ، ١٥ .
٦. أبو سرور : ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٦٩ .
٧. أبو سرور : الديوان المخطوط ، الاخوانيات ، ص ١٦٤ .
٨. أبو سرور : المسودة من المخطوطة الأصلية ص ٢٤ ، الى ايكة ، ص٨٦ .
٩. أبو سرور : المسودة ..... ص ٢٤ .
١٠. أبو سرور : الى أيكة الملتقى ، ص ٨٦ .
١١. أبوسرور : المسودة .... ص ٣٢ .
١٢. أبوسرور : الى أيكة الملتقى .. ص ٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما قصيدته بعنوان " صحف البريء" (١) ، فقد كان عنوانها في المسودة " خلاصتي " (٢) ، وبالجملة فان معظم عنوانات قصائد الشاعر قد أصابها التغيير والإصلاح مما يشي باهتمام الشاعر بهذه العنوانات لتؤدي وظيفتها الإيحائية للقصيدة .

وحاصل القول في هذا الموضوع أن الشاعر كان يعمد إلى أسلوب التنقيح والاصلاح لسببين :

الأول : وهو الأكثر أهمية ، سبب فني ، يتعلق بدقة المعنى وانسجامه مع الفكرة ومع بناء القصيدة .

أما السبب الثاني : ويقل أهمية عن الأول ، فهو سبب سياسي ، يتلخص في رغبة الشاعر أن يجعل قصيدته منسجمة مع الواقع نظرا لابتعادها عند طباعتها ، عن المناسبة التي قيلت فيها ، رغم أن مثل هذه القصائد كانت تنطوي على مقدرة فنية عالية .

---

١. أبوسرور ، إلى أيكة الملتقى ، ص ١٠٣ .

٢. أبو سرور ، المسودة من المخطوطة الأصلية ، ٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا" : اللغــة

اللغة من أهم العناصر التي تتشكل منها القصيدة ، ويبنى عليها معمارها الفني ، وكلما تمكن الشاعر من تعميق صلته باللغة لمعرفة أسرارها ، استطاع أن يمتلك قدرة على هتك أستارها ، وتفتيق أكمامها ، وتفجير طاقاتها ، بما يكفل لها الاستثارة وتحريك المشاعر . وقدرة الشاعر على أن يبث في معانيه طاقات إيحائية، يشحنها بعاطفته ، ويسبغها بذاته ، تمنحها قدرة على أن تتلون بطابعه ، فـ " اللغة ليست ألفاظا لها دلالة ثابتة جامدة ، ولكنها لغة انفعال مرنة "(١) واللغة الشعرية ، هي اللغة المعبرة التي تحتوي طاقات شاعرها الوجدانية ، بحيث تكون وسيلته في نقل تجربته ، وما من شك في أن اللغة الشعرية تعتمد على الصياغة التي تنتقل بها من تقاليد النظم الشعري إلى طريقة خاصة في تعامل الشاعر مع أداوته " فاللغة هي أداة الفن الشعري ووسيلة إبرازه " (٢) .

ومن هنا فإن الصياغة في العمل الأدبي تتوقف على الدقة في اختيار الألفاظ بوصفها مادة البناء الأدبي " وذلك لأن الشاعر يعتمد على ما في قوة التعبير من إيحاء بالمعاني في لغته التصويرية الخاصة به "(٣) ووضعها في إطار سياقها التاريخي والإجتماعي ، لأن "ماهية الشعر هي كيفية خاصة في التعامل مع أداة عامة هي اللغة ، وتتبدى هذه الكيفية في طرائق مخصوصة تؤلف بين الكلمات وتنظمها ، للوصول إلى أنظمة وأنساق وتراكيب وأبنية تفجر الطاقة (الشعرية) ، وتخلق موازاة لرمزية هذا الواقع " (٤) .

---

١. عزالدين اسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ط٣ ، ١٩٨٦م ، ص ٣٤٠ .

٢. عدنان حسين قاسم ، الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر في مصر ، المنشأة الشعبية ، للنشر ، ليبيا ، ط١ ، ١٩٨١ ، ص ٧٥ .

٣. محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، ط٣ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٤١٥ .

٤. عبدالمنعم تليمة ، مداخل إلى علم الجمال الأدبي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، دون ط ، ص ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والوقوف عند هذا الجانب المهم من جوانب الدراسة الفنية لهذا الشاعر أمر ضروري ، لتتبع الخصائص التي تميزت بها لغته الشعرية "فمكونات الشعر وصفاته تتركز في لغته ، لذا فإن " اللغة هي الباب الرئيس للدخول والتمعن في الشعر ، وهي الطريق المهم لدراسته "(١) .

والألفاظ عند الشاعر الأصيل تتولى تسليط الضوء على الأبعاد النفسية والإنسانية والخصائص الفنية عنده ، فهنالك " رابطة خفية بين الشاعر ولغته التي يستعملها في نظم الشعر "(٢) وتمتاز الكلمة الشعرية باعتبارها وسيلة الاتصال الأمثل للتعبير عن كل ما يجيش بنفس الشاعر ، لتكون مهمته مهمة فنان ، وسيلته الكلمة ، وبذلك تكتسب كلمته الشعرية نكهة خاصة في ذائقته ، لتقوم بأداء وظيفتها في موقعها ومكانها ضمن تركيب النص . فهنالك علاقة بين العاطفة واللغة في الخطاب الشعري ، وخير ما يكتشف لنا قوة العاطفة وصدقها ، والتصوير الجمالي فيها ، هو النص الذي نقوم بتحليله ولغة الشاعر كيان قائم بذاته ، يجب دراستها في إطار وظيفتها الأدائية (٣) .

إن خصوصية التشكيل اللغوي ، تمنح التعبير الشعري طابعه المميز ، فتحمل ألفاظه دلالات نفسية وشعورية خاصة متناسبة مع دلالة الحدث الخارجي الذي يتعامل معه الشاعر ، بحيث نستطيع القول أن لكل كلمة في القصيدة موضعا يناسبها .

ومن هذا المنطلق الذي مهدت به لدراسة لغة أبي سرور الشعرية ، فإنني سأقف عند المفارقة اللغوية ، التي ضمها قاموس الشاعر ، والاختلاف الواضح في لغة قصائده ، لا سيما القصائد الوجدانية والحماسية ، وما يتبع ذلك

---

١. محمد رضا مبارك ، اللغة الشعرية ، في الخطاب النقدي العربي ، تلازم التراث والمعاصره ، دار الشؤون الثقافية . بغداد . الطبعة الأولى ١٩٩٣، ص٢٥ .

٢. نازك الملائكة . سايكلوجية الشعر ومقالات أخرى . دار الشؤون الثقافية، بغداد ، ١٩٩٣م . دون طبعه ص ٩ ، مبحث بعنوان ، الشاعر واللغة .

٣. محمد رضا مبارك – اللغة الشعرية . مصدر سابق ، ص ١٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من استخدام الشاعر للغة الايحائية ، واللغة التقريرية المباشرة ٠ ومن ثم أتطرق إلى أثر التراث بمختلف معطياته في شعر أبي سرور وكيف بدت مظاهر تواصله بهذا التراث ، بعدها أفرد الحديث عن بعض الظواهر اللغوية المتصلة بشعره ، التي تنتمي إلى بعض السمات الأسلوبية ، كالتكرار وارتكاب بعض الضرائر الشعرية عنده ٠

- ١ -

ومما يمكن أن نتوصل إليه من خلال دراستنا لشعر أبي سرور أن شخصيته تبدو واضحة جلية فيه ، وكانت لغته الشعرية تتناسب مع المقام الذي يتحدث عنه ، أو ما يسمى عند البلاغيين " مراعاة مقتضى الحال " فتناسبت ألفاظه مع طبيعة موضوعاته الشعرية ، فإن كانت القصيدة في الغزل الصرف ، وجدناه يستخدم ألفاظا رشيقة عذبة سهلة ، كما في قصيدته " عذوبة الحب " والتي يقول في مطلعها :

عتابك أحلى من الفستق ... وأندى ذكاء على مفرقي (١)

نجد فيها الألفاظ التالية " الفستق - أندى - ذكاء - أبرد ٠ سلسل - رقيق المعاني٠ الغرام - الياسمين - ورد - الزنبق - نشاوى ٠٠٠ الخ " فشعره الغزلي الوجداني سهل التراكيب ، مع ما في ألفاظه من رقة ، كقوله :

أفي غير حبك لي من شجون ... فأنت الغرام وأنت الشجون
وأنت الصبابة أنت الهوى ... وهل غير حبك إلا مجون (٢)

أو قوله يخاطب حمامة ، ذكرته بأهله وأسرته الذين بعدت به الشقة عنهم :

حمامة رأس الحلف غنى ورجعي ... فإني بإنشاد الهوى جد مولع
رعاك الهوى ذات الجناحين إنني ... وإياك في دعواك سيان فاسمعي
فلا تعتبي الأيام فالدهر دائما ... يفرق للأحباب في كل مرتع
تعالي بجنبي في حديث مع الهوى ... وكيف صنيع الدهر يا هذه معي
أما تنظري داري فأين أحبتي ... وكيف حياتي دون حبي أماتعي(٣)

ومع أن القصيدة تنتظمها حالة ذاتية أسرية ، إلا أن الشاعر استطاع أن يبعث فيها جوا نفسيا مؤثرا ، انبعث من صدق العاطفة ، فارتبطت عاطفته بلغته

---

٠١ أبو سرور ، حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الأدب ، ص ٥٥ ٠
٠٢ أبوسرور ، حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان الى أيكة الملتقى ، ص٥٣ ٠
٠٣ أبوسرور ، حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٣٠ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي جاءت سهلة مصورة للموقف ، وحس الشاعر المرهف جعله يجسد مشاعره وإحساساته من خلال العبارات والتراكيب الموحية وذلك أعطاه الإحساس ليعبر حتى عن آلام غيره ، بما في ذلك الطير والحيوان ، رأى الشاعر يوما حمامة رسمتها يد فنان على عود يابس لا خضرة فيه ، فأوحت إليه بحالة نفسية ، فقال :

وقائلة من ذا له ذوق شاعـــــر وتنقـــــــاد فنان وتنفيذ حاكم
فقلت لها هاتي وان شئت فاسكتي عرفت الذي تشكينه من مظالم
شكوت وقوفا فوق أجرد يابـــس تساقط عنه كل أخضر ناعـــم (١)

وشعر أبي سرور ، تتبدى فيه شخصية المحب الصادق والأحاسيس الجياشة ، والقوى العاطفية التي تظهر في رقة ألفاظه ، المعبرة عن نزعته الشعرية للغزل وحب الجمال ، فكانت المرأة عنده أحد مفاتيحه الأدبية ، التي كان الشاعر يستلهم منها نظرته الجمالية والأدبية في الحياة ، يقول :

فلولا عتابك مالذ لي رقيق المعاني ولا منطق (٢)

ووصل به الأمر أن طلب من المحبوبة أن تعينه على ذلك قائلا :

وعلي وعلك نمشي معـــا لروض الثقافة إذ يطربون
فنشرب كأس المنى والهنا على نبرة الشعرا ينشدون (٣)

وقد جاءت لغة الغزل عند شاعرنا متراوحة بين المثالية والواقعية ، فعبرت عن نوازع نفسه ، ومتطلبات عقله ، بعد أن تناوب على الشاعر حالتان ، الواقع الذي يحياه ، والمثال الذي يدعوه إليه عقله ، وبالتالي فلا غرابة بعد ذلك أن تقترن ألفاظ العفة بألفاظ المكاشفة ، وأن تتجاور لغة الغزل مع لغة الحماسة ، ولطالما ركز على العفة في كثير من قصائده الغزلية ، فشاعت عنده هذه اللفظة ، وما في معناها في أغلب شعره ، الذي تقاربت فيه لغة المثال مع لغة الحس ، حين يقول :

هذي مساجد ما بنيت من الهوى هي شاهد الإبكار والأسحـــــار
أنا لم أبارح بالصلاة رياضهـــا لم تشك لغـــوي أو تنازح داري
تلك المحاريب التي قـــد شيدت صبري وماء الطين من أبصاري
سل يا مدله تلفنـي متعلقـــــا تلك الحنايا مدمن استغفـــــاري (٤)

---

٠١ أبو سرور ، حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص٧٤
٠٢ أبو سرور ، حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الأدب ، ص ٥٥ ٠
٠٣ أبوسرور ، حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان الى أيكة الملتقى ، ص ٥٤
٠٤ أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ، ص ١٤٩ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله مازجا بين ألفاظ الغزل والحماسة :

أنا تائه في الحب أنشد بغيتي | إنشادي الصاروخ في خصم السلام
وعشقت فيك الحب وهو مدله | وموشح ببرود عفة ذي هيـــــام (١)

هذه اللغة الرقيقة اللينة تتقابل مع لغة ذات نبرة خطابية عاليه تستثير الحس الوطني والقومي وتقترب كثيرا من لغة الأناشيد الحماسية ، ولا يظهر ذلك في ألفاظها المباشرة فحسب ، بل في أسلوب الاستفهام الإنكاري أو التحسر وأفعال الأمر ، يقول :

بلادي بلاد المسلمين إلـــى متى | نعيش أسارى في سجون الأراذل
بلادي استعدي إنما المجد والعلى | بأيديك رغم الحادثات المعاضـــل
بلادي على شرق البلاد وغربها | أبيحي دماء الغاصبين وناضلـــي
أيلقى كتاب الله خلف ظهورنـــا | وتحكمنا الأرجاس مـن كل سافل
فأين حمى الاسلام منكم وصوته | وأين نخا الآباء أهل الطوائـــل
أرى العربي الشهم يخجل أن عزي | إلى عربي تحت قد الأسافـــل (٢)

إن الحث والاستنفار واضحان في ألفاظ هذه المقطوعة ، بما يضعها في خانة قصائد التعبئة ؛ ومن مثل هذه القصائد تنطوى على قدر كبير من الفاظ الحرب وافعالها ، كقوله في مطلع قصيدة وطنية :

عمان أيعدو عليك الدخيـــل | وسيف الكمي لدينا صقيل
ويبغي يسومك ســـوم العذاب | وشبل البلاد شجاع أصيل (٣)

ويكثر في هذه القصيدة – كما في غيرها من قصائد الحماسة – من ألفاظ القوة وأدوات الحرب والاستثاره مثل (السيف – المدفع – القنبلة – الصاروخ – استنطاق التاريخ – الوطن – الأعداء – الحق – الحمى – الموت –الوغي– الهجمات – برق البنادق – رعود المدافع – الغاشم – الظلوم – شراب الدماء ٠٠٠الخ " وغير ذلك من المفردات القوية التي تغلب على قصائده الحماسية التحررية ، والقومية المعبرة عن قضايا الأمة ٠ وقوة الألفاظ هنا ليست في فخامتها ، بل في خطابيتها وسهولتها ، ووضوحها ، إذ أنها موجهة أصلا للغالبية من الناس ، بقصد إثارة انفعالهم الوطني كما أسلفنا ٠

---

٠١ أبو سرور: الديوان المخطوط ، الغزليات من الجزء الأول ، ص ١٦٦ ٠
٠٢ أبوسرور ، الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ١٠٩ ٠
٠٣ أبوسرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٢١٣ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد لا تأتي الاستثارة من خلال (المقاربة) بين نماذج الحاضر والماضي ، بل تأتي بوقع أكثر من خلال (المفارقة) الصارخة بين الحاضر الرديء المستكين وبين الماضي المشرق ، الذي يحضر هنا بأسلوب أداة الحاضر، أو السخرية منه ، بقصد حمله على التمرد والإفاقة من غيبوبته ، يقول :

أيها القدس كم تنادي ولكن | لا حياة فمن ينادي الرماما
نحن أبناء يعرب نخوات | فارغات على الجدود ارتساما
لو رأتنا الجدود قد أنكرونا | أن يكونوا أجدادنا فابك داما
شيدوا المجد والمعالي تراثا | فقضى جيلنا عليها وخاما
كانت العرب قادة للبرايا | فادعينا ميراثها أوهاما
ندعي قادة وربك إنا | قادة القهقرى ورهط الأياما(١)

- ٢ -

وكما بدا لنا فقد تميزت ألفاظ الشاعر بالسهولة التي تتيح لكل قارىء فهم شعره ، إذ أن أسلوبه سهل واضح ، بعيد عن غرابة الألفاظ وخشونتها . ويبدو أن مهنة التعليم قد أثرت في أسلوبه الشعري العام . حين ظهرت عليه بوادر إيصال الفكرة إلى المتلقين في سهولة ويسر ، مما جعل لغته في بعض قصائده تنحو منحى تقريريا مباشرا ذا دلالات محدودة ، لا سيما في قصائده التي يطغى فيها الجانب الموضوعي على الجانب الذاتي كقوله :

من لم يشد مجدا على أمجاده | ما بالمجيد ولو علاه بكاء
لاعار أنكأ من سليل سافل | آباؤه العلماء والزعماء
كم رب مجد شاده من نفسه | وقضت على أمجادها ابناء (٢)

فعلى الرغم من جمال الفكرة في هذا النص ، إلا أن لغتها جاءت تقريرية جافة، وكل لفظة فيها موظفة توظيفيا معجميا ، وكل عبارة تؤدي معناها القاموسي ، حتى أن القارىء لا يرى فيها شيئا من الخيال والتصوير الشعري واللغة الشاعرة ، والمعروف أن القصيدة تفقد روح الشعر ، وتستحيل إلى نظم رتيب ، إذا انعدم منها الإيحاء والتصوير ، وكانت رؤيته التقليدية للشعر باعتبار وظيفته الاجتماعية والذاتية ، سببا آخر في تعامله مع اللغة تعاملا وظيفيا ، مما

---

١. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٧٨ .
٢. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الأخوانيات ، ص ١٠ ، ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جعلنا نجده في كثير من المواطن يقتصر استخدامه على استغلال الجانب المعجمي ذي الدلالة المحدده ، دون ان يستغل ما في الكلمات من طاقات ايحائية ، يقول شاعرنا :

ألا يا طامحا نحو المعالـــــــي ورفع المستوى الوطني مجـــد
سبيلك للتقدم والمعالـــــــي سبيل العلم منهجك الأســـــد
سبيل العلم موصلك الأمانـــي فلا كالعلم غايات وقصـــــد
ترى الأيام تأتي كل يـــــوم بمخترع جديد لا يحـــــــد
ترى الغواص تحت البحر يجرى وصاروخ الفضا للبدر يعـدو
تفوق جيلنا في كل فـــــن ولم يبرح يزيد ويستجـــــد
فما بال الشباب بني عمـــان تثاقل ماله أخـــــذ ورد
سلو تاريخ سالفكم سلـــــوه وقيد الأرض ركنكم الأشـد (١)

فاللغة هنا تقريرية مباشرة ، وهي أقرب إلى اللغة النثرية التي لا رواء فيها ، وقد سرى هذا اللون حتى في بعض قصائده الذاتية ، فحين يقول :

ولست أهاب الموت في العز والهدى وموتي على مرضات ربي محامدي
وكل عظيم رام كيدي فإنـــه حقير لدى عيني وقلبي وماجـــدي
أبى موقفي إلا البسالة والهـــدى وحسب آمرىء كانا له من محامـد
ألبي ولي الله بالروح والقنـــا وأقضي على الأعداء لوكان ساعدي(٢)

فمع أن النص يتحدث عن هم شخصي ، كان من المفروض أن يفجر فيه الشاعر طاقاته الإبداعية واللغوية والتشخيص الخيالي ، ولكن لغته التقريرية ، أبت عليه إلا أن يقف عند المعنى المعجمي المحدد لكل لفظة ، مع ما في القصيدة من إمكانيات إيحائية .

ولكننا نجد أن لغة الشاعر تأتي في أحايين كثير موحية ومصورة، فيها من الحوار الداخلي في النص ما يمنحها حيوية ، ومن ذلك قصيدته في رثاء الشيخ ابراهيم بن سعيد العبري ، حيث جاءت لغته مشحونة بالتأثر الناجم عن عظم الرزء ، التي عبرت عن إحساسه مما منح القصيدة شيئا من الحيوية المنبثة

١. أبو سرور ، باقات الأدب ، ص ٦٧ ، ٦٨ .
٢. المصدر السابق ، ص ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن الكآبة المسيطرة على جوها العام فجاء الحوار الداخلي في النص ، ليكسبها طابعا يبعدها عن الرتابة ، يقول الشاعر :

يأيها الأيام ماذا تبتغـــــــــي في كل يوم قتل شهم شـــاك
تتخيري الأعلام مـــن أبطالنـــا كل كألف إن دعـي لبـــاك
هل معك قصد ان تميتى للعلـــى يوما وتأتي ما حلا لهـــواك
لا ليس ذاك بواقع لو تفهمـــــي فالنـــاس ذو همم وذو إدراك
نحن الألى ما شاب طفل عدونا إلا بصولة ليثنا الفتـــــاك
ما إن اطحت بماجد فـي حادث إلا وقام أماجـد للقـــــاك (١)

— ٣ —

إن من يتصدى لدراسة شاعر ينتمى إلى مدرسة الإحيـاء ، لا بد لـه أن يتحدث عن استعانته بالتعابير المختلفة ، التي امتاحها فأدخلها في قاموسه اللغوي الشعري . وأبوسرور بانتمائه هذا ، واحد من الشعراء الذين تمثلوا هذه الصيغ والتراكيب ، حيث عرفت بعض العبارات الجاهزة طريقها إليه ، أو عرف هو طريقه إليها . تلك العبارات التي صارت ملكا لجميع الشعراء ، لم يختص بها شاعر دون آخر . وقد نالت هذه العبارات عناية الشاعر وحرص على إدخالها في قصيدته ، ساعيا إلى هدف واضح ؛ هو بث روح لغة التراث في تلك القصائد ، بما يشكل عنده ، تمسكا بهذا التراث وتشبثا به .

ولا ريب أن كثيرا من الشعراء حين يعمدون إلى الاستعانة بمثل هذه التعابير ، لم يكونوا متمثلين للمواقف والمناسبات التي قيلت فيها . غير أن همهم الوحيد أن يمنحوها حركة إحيائية ، بحيث تصبح ملكا مشاعا لكل أديب يستطيع أن يتجاوز استخدامها التقليدي ، بما يشيعه فيها من أجواء معاصرة ، ليجعلها قادرة على الإيحاء بما تحمله هذه الألفاظ والتراكيب من قدرة على التماهي مع شخصية الشاعر ، فتعبر عن تجربته تعبيرا صادقا .

وشاعرنا – أبو سرور – حين مضى يستلهم الألفاظ التراثية والتراكيب الجاهزة ، والقوالب المكرورة التي ربما استطاع الشاعر الإفلات من سيطرتها ، ليحملها طاقة إبداعية خاصة ، فيدخلها في قاموسه الشعري ، متجاوزا بها طابعها الأول ، لينفذ إلى خصائص مشتركة .

---

١. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٢٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشاعر المحكوم بسلفيته الشعرية واتجاهه التقليدي النابع من ثقافته ، ينحو منحى تعبيريا على نمط من الأنساق المرسومة ، التي من أبرز سماتها تكرار الجمل والتراكيب الشعرية ، فيعمد إلى ذاكرته مستفيدا من الأقوال المحفوظة ، من حكمة وقول مأثور ، وأمثال سائرة ، وتراكيب شائعة ، وهي في مجملها قوالب لغوية جاهزة ٠

وقد انعكس ذلك التأثر على لغته الشعرية وأسلوبه الأدبي ، فعبر عن أحاسيسه الذاتية ، وهمومه الوطنية والقومية ، من خلال قاموس لفظي يحمل دلالة اجتماعية وحضارية خاصة ٠ واستطاع عبر هذه اللغة أن يعبر عن أحداث عصره ، ودخائل نفسه ٠ وقد جاءت معظم هذه التراكيب متماسكة مع جسد القصيدة ، بحيث تجاوز فيها الشاعر مرحلة التقليد ، وأصبحت مستساغة ، حين جعلها قادرة على التعبير عن أحاسيسه ، وإن كان ذلك في نمطية تراثية ٠ ولا يعني هذا أن معجمه الشعري تشكل في نطاق من الألفاظ التراثية والقوالب المكرورة ، بل لما تمثله هذه التراكيب من حضور لافت ٠ والعبارات الجاهزة التي خضع فيه الشاعر لسيطرة التراث على نفسه الشعري ، تلك التي تناثرت في قصائده المختلفة عبارات من مثل (فخر العروبة ، سامي الأرومات عيص العز ، كريم نجار ، استفحلت عضدا ، بنات الدهر ، اشتبك القنا ، عضد الإخاء ، جنة الدنيا ، ترياق الهوى ، وردية الخدين ، در الفصاحة ، عيل التصبر ، رحى الهيجاء ، كريم المساعي ، ظل القساطل ، فلذة أكبادي ، قرة عيني ، سهام القضا، زنبقة الصدغين ، نسيم الصبا ، ربة الغنج ، صرم الحبيب ، صريع الغواني ، واحر قلباه ، جن الظلام ٠٠٠٠٠) (١) ٠

إن مثل هذه التراكيب الجاهزة تعبر عن أثر معجم التراث في شعر أبي سرور ، وإن كان من الصعوبة أن نسثل مثل هذه التراكيب من عناصر القصيدة الأخرى ، بوصفها كلا متكاملا ، لا يمكن فصلها بمعزل عن جسم القصيدة ٠ إذ إن مثل هذه التراكيب قد جاءت متشابكة مع عناصر القصيدة الأخرى ٠

---

١٠ انظر القصائد التالية : حداة الوغي ، ص ٥٢ ، دولتنا ، ص ٤٦ ، في رضى الله ، ص ١٢٧ ، من ديوان باقات الأدب ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن خلال هذه الدراسة نتبين أن الشاعر لم ينقطع عن التراث بمستوياته المختلفة ، بل تعمق فيه ، ليشكل له في بعض الأحيان ملجأ يعبر من خلاله عن واقعه المعاصر . وقد ظل الشاعر يمتح من المعجم التراثي ألفاظا وتراكيب ، حتى في قصائده المخطوطة الحديثة ، يقول في إحدى قصائده الذاتية منها :

أنا مارضيت من الزمان بما رضي ... اقبل زماني إن تشا أو أعرض
إن كنت تطمع أن تراني خانعا ... فسل المهندفي كريم المقبض(١)

ومن الصيغ القديمة التي تواصل بها الشاعر مع الأنماط المرتبطة بالتراكيب التراثية ، التي بنى عليها عددا من أبيات قصائده ، هو ابتداء البيت بالنداء الذي يعقبه فعل الأمر ، وما يتبع ذلك من توكيد وتقرير ، مثل قوله :

يا طيف حي من الفيحا أعاليها ... حي الرياض وحي لي فواغيها
حي المساجد حي القائمين بها ... رهبان ليل أسودا في دواهيها (٢)

وقوله :

يا جرة رفعت لنا علم الهدى ... قومي بمجدك لقينه بنيه (٣)

ومن ذلك أيضا أن يبدأ بيته الشعري بجملة منفية ، يعقبها بأداة الاستثناء " إلا " مثل قوله :

ما كان ما كان إلا من تفرقنا ... إن التفرق تلفي غبه النكدا (٤)

ومن هذا القبيل الجملة الدعائية المبدوءة بلا ، يتبعها بجملة فعلية كقوله :

لاعاش عمر النوى حتى أرى أملي ... ولا ذوي عود أمالي وأوراقي (٥)

أما تعبيراته النمطية التراثية فهي أكثر من أن تحصى في مثل هذه الأمثلة من ذلك قوله:

واحر قلباه لم تهدأ مطوقتي ... إلا شجاها إمام كان ميمونا (٦)

وقوله :

محال ينال العدو المراد ... فدون بلادي خرط القتاد (٧)

---

١. أبو سرور : الديوان المخطوط ، آراء ، ص ٢٠١ .
٢. أبوسرور : ديون : باقات الأدب ، ص ٢٠ .
٣. المصدر السابق : ص ٣٥ .
٤. المصدر نفسه : ص ٤٤ .
٥. أبو سرور : الديوان المخطوط ، الغزليات ، ص ٥٢ .
٦. أبو سرور : الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ٤٦ .
٧. أبوسرور : ديوان باقات الأدب ، ص ٢٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله :

فيا حسرتاه من يخاطب ميتا | ويا عمراه لا تزال المآتم (١)

ومنها استخدامه لواو الندبة بما يشكل ظاهرة ، واضحة في بنائه الشعري من ذلك قولة :

واطول شوقاه في لقياك يا أملـــي : ..... (٢)

وقوله : واحيرة الشعراء من قاضي الهوى : ..... (٣)

وقوله : فوا ألمي وجدت شباب قومـــــي : ..... (٤)

وهذا يدلنا على نفسية الشاعر ، التي نطقت بمثل تلك الصيغ الدالة على ثقل المعاناة وشدة الأحزان ٠

إن تلك الأمثلة تكشف مدى اقتراب الشاعر من الصيغ التراثية وتأثره بها ، وإصراره على تكرارها في غير موضع من شعره ، لما لهذه التراكيب من أثر في نفس الملتقي ، بما تحتوي عليه من إيحاءات خاصة ٠

— ٤ —

التصق الشاعر بالموروث الأدبي ، الذي يشكل تاريخ الأمة ، فراح يتمثل هذه اللغة ، من خلال مستويات متعددة ، ضمن اتجاهه للإفادة من التراث بمعطياته المختلفة ٠ ويتضح ذلك في قيام الشاعر بتوظيف مفردات تراثية ، ليست شائعة في الاستخدام اللغوي المعاصر ٠ أو استيحائه لأجواء لغوية موروثة سواء كان ذلك عن طريق الإشارة أو التضمين أو الاقتباس ٠

ولقد ظلت سطوة التراث ترافق الشاعر على مدى نتاجه الشعري المتواصل ، فتناثرت المعاني والألفاظ التراثية ، لتمثل جانبا مهما من مكونات شعره ٠ ومن يقرأ قصائده يلحظ بجلاء تأثره باللغة التراثية والقرآن الكريم والحديث الشريف ٠إن ما نقصده باللغة التراثية ، هي تلك اللغة التي يمتح من التراث ألفاظها وتراكيبها وأجواءها الشعرية العامة ٠

---

١٠ أبو سرور : الديوان المخطوط – القوميات ، ص ٨٤ ٠

٢٠ أبوسرور : الديوان المخطوط ، الغزليات ، ص ١٥٢ ٠

٣٠ المصدر السابق ، ص ١٦٧ ٠

٤٠ أبو سرور : ديوان باقات الأدب ، ص ١٧٠ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولغة التراث وإن هي استحوذت على مساحة واضحة من قصائده ، لكنه لم يتعامل معها تعامل المستسلم لها الذي يجترها اجترارا ، وإنما كان ينظر فيها، ويسعى لتمثلها ، فهي في حقيقتها تنتمي إلى التراث من جهة ، وتنتمي إلى الشاعر نفسه من جهة أخرى ، فمن ناحية الألفاظ يأتي معجمه الشعري مليئا بها ، حيث نرى ، ألفاظا مثل (ربع – سيف – صقيل – همام – غشمشم – الظبا٠٠٠الخ) إذ أن كثيرا من هذه الكلمات تسربت إلى لغة الشاعر ، التي تتجلى من خلالها مكانة التراث القديم في معجمه الشعري ٠ وتنتظم هذه الألفاظ في داخل القصيدة ، وغالبا ما تكون واضحة رغم قوتها ، على الرغم من كونها أصبحت ألفاظا مهملة في قاموس الأدب الحديث ، الذي لا يستسيغ في عصرنا هذا أن يستخدم الشاعر ألفاظا من مثل " الصقيل – الغماد – البتار – الخ) ٠

فهنالك من يرى أن " المسألة اللغوية تكمن في المقدرة على التعبير عن روح العصر بلغة موروثة "(١) ولننظر في قول الشاعر :

صدأ الحديد من الصقيل الماضي فعدا يئن على حديد ماض
ألف الغماد ولم تكن عاداته حب الغماد على أسى مضاض
من في البرية من لشحذ حدوده؟ في رأس من ظلموا البرية قاض
هل يغد البتار إن رفض الهدى إلابرأس التارك الرفاض (٢)

إن من يمعن النظر في هذه الأبيات يلحظ أن الشاعر اختار كلماتها وتراكيبها من المعجم التراثي ، ليثير في القارىء حالة نفسية خاصة ، تعبر عن الرفض والثورة ٠ فالشاعر هنا يريد منا أن نتجاوز الدلالة التقليدية لهذه الألفاظ ، لاسيما وهو يعلم أننا نعيش عصر الذرة الذي لا تنفع معه أسلحة كالصقيل سواء أغمد أم استل ، ولكن هذا الربط التقليدي الظاهر أراد منه الشاعر أن ينفذ إلى الأعماق ، بما يشكل إثارة حسية ، لما تثيره هذه الكلمات التراثية التقليدية من كآبة وحزن ،حين مضى يصرخ ساخطا من الوضع المأساوي الذي تتخبط فيه الأمة* ٠

---

١٠ طراد الكبيسي ، كتاب المنزلات ، الجزء الأول منزلة الحداثة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٢م ، ص ٢٢٢ ٠

٢٠ أبو سرور : الديوان ، القوميات ، ص ٥١ ٠

* إن الإشارة إلى السيف والغمد لا تعني بالضرورة دعوة من الشاعر لاستعماله بمعناه الحرفي ، بل هو هنا قيمة من قيم الشجاعة والبطولة ترمز إلى القوة وضرورتها والاستعداد لملاقاة العدو بأسلحة العصر وإمكاناته ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل تعلق الشاعر بالماضي وعزه ، جعله يرتبط ارتباطا وثيقا بموقفه الذي جاء على صيغة من التساؤل في البيتين الثالث والرابع ، وفيهما نرى نفس أبي سرور المتعطشة لمقاضاة الظلم ، والمتلهفة للوقوف في وجه من تسول له نفسه العبث بعقيدة الأمة ٠فاختلط عنده الماضي والحاضر ٠ لتكون الثورة والرفض سمتين بارزتين في جوه الشعري ٠

ولو وقفنا أمام نص عنوانه " حداة الوغى "(١) لهالنا اتساع حجم توظيف المفردة التراثية ، حين عمد إلى توظيفها توظيفا متلاحقا ، بحيث أصبحت مفرداته وعباراته التراثية تحمل طابع أسلوبه اللغوي ، استوحى الشاعر فيها أجواء لغوية موروثة ، تدفقت بعفوية واضحة وكأن القصيدة نسج على منوال الشعر العربي القديم ٠ ولنا أن نتصور هذا الحشد من الألفاظ التراثية في قصيدة واحدة " وعرها والحمائل – زرق القنا ، كرام المساعي ، ظل القساطل ، أباة الضيم ، أسد التناضل، نحمي عريننا ، بسمر عواسل ، حداة الوغى ، تكشف الغماء ، يوم التنازل ، كتائب أبطال ، كماة أكامل ، صارمهم جذ ، واسقهم كؤوس المنايا ، الكمي الحلاحل ، أكرم بهم من عباهل ، ظهور الصواهل ، العاديات الضوابح ، تشق بنا الميدان بين الجحافل ، إذا الدهر أرخى كلكل البغي ٠٠الخ"(٢) فهي لغة فخمة جزلة كما يقال ٠

ويتجلى لنا من هذا النموذج مدى قرب الشاعر من التراث لغة وأسلوبا، كما يتضح أيضا وقوعه في أسر التقليد والنمطية التراثية ومعطياتها ، ومع ذلك فالشاعر وفق في استثارة القارىء ، وشحنه بالعاطفة ، بحيث أصبحت مثل هذه الألفاظ تتجاوز معناها الحرفي إلى معاني مماثلة ، فالشاعر حتى وهو يصف معركة حربية معاصرة فإن مصطلحات الحرب القديمة التراثية تبقى حاضرة في شعره ، ولا ريب أن الشاعر يدرك بأن هذه الألات الحربية القديمة لم يعد لها مكان بين الألات الحديثة " الطائرات الحربية والدبابات والقاذفات والصواريخ والقنابل " ، فألفاظه التراثية تلك عبارة عن قيم وأخلاقيات ، تقوم نيابة عن القوة ورمزيتها – كما أسلفنا – بما تحمله هذه الألفاظ من شحنات عاطفية تؤدي دورها المعاصر ، وقد استطاع الشاعر فيها أن يحرك سكون الماضي ، ليستثمر ما فيها من دلالات شعورية،وإيحاءات تراثية،تستثير المشاعر والأحاسيس والقيم المعاصره

---

١٠ أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٥٢ ٠

٢٠ المصدر السابق ، ص ٥٢ ، ٥٣ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن يقرأ قصيدته " صرخة الفدائي " (١) ير معالم هذه اللغة الغاضبة وإن جاءت في جو من التعبيرات الموروثة ، ذات الأساليب المألوفة . فالقصيدة بما فيها تشبه أن تكون جلجلة وقعقعة سيوف وخطبة شاعر يدفع الفدائي إلى القتال والموت في سبيل استعادة الحقوق المغتصبة ، وإن كانت القصيدة تخلو من الخيال .

ـ ٥ ـ

أما استيحاء الشاعر للنمط الموروث من الأجواء اللغوية ، وتمثله للتراث الشعري الأدبي بشكل عام . سواء تم هذا الاستيحاء بالإشارة أو التضمين أو الاقتباس . فإن كل ذلك يعبر عن موقف الشاعر ورؤاه الفكرية والثقافية التي أثرت في بلورة لغته التراثية وأسهمت في تشكيل قصيدته .

أما مستوى الإشارة بالصيغة التي يذكرنا بأصلها فكقول الشاعر :

وصحابة نادمتهم في جلق　　أكرم بهم في العلم من حذاق (٢)

فإنه يذكرنا بقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

لله در عصابة نادمتهم　　يوما بجلق في الزمان الأول (٣)

وقوله : ومن بالنفس جاد فذاك حقا　　يجود بماله من دون مين (٤)

فإنه يذكرنا بقول مسلم بن الوليد :

تجود بالنفس إن ظن الجواد بها　　والجود بالنفس أقصى غاية الجود(٥)

وقول أبي سرور من قصيدة رثائية يخاطب الموت :

أفي كل يوم أنت تمسى وتغتدي　　وتنهب أرواح الكرام أمن حقد ؟

وكذلك قوله :

يا أيها الأيام ماذا تبتغي　　في كل يوم قتل شهم شاك

تتخيري الأعلام من أبطالنا　　كل كألف إن دعي لباك (٦)

---

١. انظر ديوان الشاعر ، باقات الأدب ، ص ٢٠١ .
٢. المصدر السابق ، ص ٦٠ .
٣. حسان بن ثابت : ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ضبط الديوان وصححه عبدالرحمن البرقوقي ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨٠، ص ٣٦٤ .
٤. أبوسرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٥٧ .
٥. أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود ، شرح التلخيص .دراسة وتحقيق د.محمد مصطفى رمضان صوفية ، المنشأة الشعبية ، ليبيا ، ط١ ، ١٩٨٣، ص ٤٢٥ .
٦. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٢٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فان ذلك يذكرنا بقول طرفة بن العبد :

أرى الموت بعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشـــــدد(١)

ومن يقرأ قول أبي سرور :

والله يحفظ فينا عزمة شهـــــرت غنى بها السيف والتاريخ والقلم(٢)

فإنه لا بد من أن يتذكر قول المتنبى :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والضرب والطعن والقرطاس والقلم(٣)

أو قول الشاعر متغزلا :

أحل انتحاري يا فلتـــــــــي وكيف حياتك بعدي تكـــــــــون (٤)

إذ يذكرنا بقول الشاعر : *

أهيم بدعد ما حييت فـــان أمت فواحزنـــا مـــن ذا يهيم بها بعـــدي (٥)

وقد يذهب تأثر الشاعر أكثر من ذلك حين يستوحي الفكرة كاملة مثل قوله :

لإبن ثوان من نبينا قليلـــــــة تخر الأعادي ركعـــا سجدا صغرى (٦)

فإنه مأخوذ من قول عمرو بن كلثوم :

إذا بلغ الفطام لنا رضيع تخر له الجبابر ساجدينـــــا (٧)

---

١. أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي جمهرة أشعار العرب ، شرح وضبط وتقديم الاستاذ : علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٢، ٢٠٥ .

٢. أبو سرور : ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٤٤ .

٣. أبو الطيب المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، بشرح أبي البقار العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، دار المعرفة ، بيروت د.ط ، د.ت ج٣ ، ص ٣٦٩ .

٤. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الغزليات ، ص ١٩١ .

٥. ابن رشيق القيرواني ، العمده في محاسن الشعر ، ٢ - ٧٦٦ .

٦. أبو سرور الديوان المخطوط ، الوطنيات ، ص ٢٢ .

٧. أبوزيد ، محمد بن أبي الخطاب القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، مصدر سابق ، ص ١٩٥ .

* هو نصيب بن رباح ، مولى عبدالعزيز بن مروان ، شاعر فحل مقدم في العصر الأموي توفي عام ١٠٨ هـ .انظر،ابن قتيبة ،الشعر والشعراء،طبع دار المعارف ، تحقيق أحمد شاكر ، ج٤١٢/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أخذ هذا المعنى أيضا قبله الشاعر العماني ناصر بن سالم الرواحي ، ولكنه قد تجاوزه قائلا :

قوم على صهوات الخيل طفلهمو يربو له من دم الأبطال ألبان (١)

أما قول الشاعر :

نثرت تمائم الدنيا علينـــــــا فما لتمائـم الدنيـــا تـــذوب (٢)

فانه أخـذه من الشاعر الرثائي المعروف أبـي ذؤيـب الهذلـي * وإن كـان المعنـى بعيدا :

وإذا المنية انشبت أظفارهـــــا ألفيت كـــل تميمة لا تنفـــــع (٣)

وكذلك قوله :

ما حك جلد المرء إلا ظفـــره حلك العدو يخلف الأخـــدودا (٤)

فهذا أحد الأمثال العربية ، وقد أخذه من الإمام الشافعي أيضا :

ما حك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك (٥)

وقول الشاعر :

لا يعرف الشرف الرفيع من الملا إلا شريف الأصل والأجداد (٦)

فإنه مبني على غرار قول المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم (٧)

كما جاء بيت الشاعر :

لا يغسلن دنس الأعداء من بلد إلا دماء رجال الله في الطرق (٨)

---

١. أبو مسلم الرواحي ، ديوان أبي مسلم الرواحي ، مخطوط ، ص ٢٣٩ ، بقلم ابن اخ المؤلف سالم بن سليمان الرواحي .
٢. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٤٠ .
٣. أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، جمهرة أشعار العرب مصدر سابق ، ص ٣١٤ .
٤. أبوسرور : الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ٣ .
٥. الإمام الشافعي : ديوان الامام الشافعي ، جمعه وحققه وعلق عليه ،محمد زهدي يكي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ١٤١ .
٦. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الإخوانيات ، ص ١٦ .
٧. ابو الطيب المتنبي : ديوان ابي الطيب ، بشرح ابي البقاء العكبري ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١٢٥ .
٨. أبو سرور : ديوان باقات الأدب ، ص ١٥٠ .

* خويلد بن خالد ، أبو ذؤيب الهذلي ، جاهلي إسلامي ، انظر ابن قتيبة الدينوري ، الشعر والشعراء ، مصدر سابق ، ص ٤٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاء متأثرا بالبيت السابق للمعنى ، وقد استوحى المعنى التالي :

ما بالمظاهر تدرى الناس لو علموا لكن بالفعل مزت الصخر والدررا (١)

من قول عمر بن معد يكرب :

ليس الجمال بمئزر فاعلم وإن رديت بـــردا

إن الجمال معـادن ومناقب أورثن مجـــــدا (٢)

وكذلك قوله :

أأموت من فرط الهوى والحب يخطر غصن بان (٣)

تأثرا بقول الشاعر أبي الطيب المتنبي في :

بدت قمرا ومأست غصن بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا (٤)

أما تأثر الشاعر بشعراء الإحيـاء والتراث ، فيتضـح من خـلال انتقائـه لأساليب الشعراء البارودي وحافظ ابراهيم واحمد شوقي وأبي مسلم الرواحي وأبي الصوفي ومحمد بن سالم الرقيشي ، فمن صـور تـأثره بشـعر البـارودي تخميسـه لقصيدته الدالية المعروفة التي يقول في مطلعها :

رضيت من الدنيا بمـــا لا أوداه وأي أمرىء يقوى على الدهر زنده (٥)

فقد خمسها أبوسرور ، ومن ذلك قوله :

تقدم على سرح المنايا مزاحما صناديدهـــا تـــردي عتـــلا وظالما

---

* ومثلة قول المتنبي : نثرتهم فوق الاحيدب نثرن كما نثرت : كما نثرت فوق العروس الدراهم .

١. أبو سرور : الديوان المخطوط ، الأخوانيات ، ص ٦٩ .

٢. عمرو بن معد يكرب الزبيدي : ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي صنعة هاشم الطعان ، سلسلة كيف التراث ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد، ص ٦٨ ، دون تاريخ

٣. أبوسرور : ديوان باقات الأدب ، ص ٢٢٢ .

٤. أبو الطيب المتنبي : ديوان المتنبي ، بشرح ابي البقار العكبري ، ج٣، ص٢٢٤ .

٥. محمود سامي باشا البارودي ، ديوان فقيد السيف والقلم ... محمود سامي باشا البارودي ، ضبط وشرح وتصحيح محمود الإمام المنصوري ، مطبعة الخريدة ، دون تاريخ ، من الجزء الأول ، ص ٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأفضل عيش أن ترى العز قائما وأقتل داء أن ترى العين ظالما
يسيء ويتلى في المحافـــل حمـــــده (١)

ومن صور تأثره بحافظ ابراهيم قصيدته التي يقول في مطلعها :

حمامة رأس الحلف غني ورجعي فأني بإنشاد الهوى جدمولـــــع

حين بناها على غرار قصيدة حافظ ابراهيم التي أنشاها في أمير الشعراء ، ومطلعها :

بلابل وادي النيل بالمشرق اسجعي بشعر أمير الدولتين ورجعـــي (٢)

وكذلك قول أبي سرور :

إن المعلم للشعوب رسولهـــا يوحي الرشاد ويبعث التوحيـــدا
لو تدرك الأجيال فضل معلم خروا لديه ركعا وسجـــــــودا (٣)

فإن هذين البيتين استوحاهما الشاعر من قول أحمد شوقي :

قم للمعلم وفيه التبجيـــــلا كاد المعلم أن يكون رســـــولا (٤)

وكذلك قول أبي سرور :

والأمهات على البيوت مدارس كبرى تخط المجد والتجنيدا (٥)

مأخوذ من قول حافظ ابراهيم الشهير :

الأم مدرسة إذا أعددتهـــــا أعددت شعبا طيب الأعراق (٦)

أما قول الشاعر من قصيدة غزلية :

يا حبيبي كم أوراي ولكم حب أداري (٧)

فانه جارى فيها قول الأديب الشاعر محمد بن سالم الرقيشي الذي يقول في مطلع قصيدة غزلية أيضا :

يا حبيبي لا تمـــــار في هوى ذات الخمـــار (٨)

---

٠١ أبو سرور : ديوان باقات الأدب ، ص ١٨٥ .
٠٢ حافظ ابراهيم : ديوان حافظ ابراهيم ،ضبطه وشرحه ورتبه أحمد أمين وآخرون ١/ص١١٩ .
٠٣ أبو سرور : الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ٢ .
٠٤ أحمد شوقي : الشوقيات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة العاشرة ، ١٩٨٤ – ج١/١٨٠ .
٠٥ أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ٣ .
٠٦ حافظ ابراهيم ، ديوان حافظ ابراهيم ، ج١ / ٢٨٢ .
٠٧ أبو سرور ، مسودة مخطوطة ، ديوان ابي سرور ، ص ٣٩ .
٠٨ المصدر السابق ، ص ٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يقتصر تأثر الشاعر بالشعر وحده حين مضى يمتح معجمه الشعري من الأمثال العربية ، ولنا أن نأخذ بعض الأمثلة التي تشير إلى ذلك ومنها قوله :

إن التواضع ثوب زان صاحبه دنيا ويكبره مع كل ذي بصر (١)

فإنه يعود إلى القول لا يكون التواضع في شيء إلا زانه ، وكذلك قوله :

إن المحبة في الفؤاد مكانهـــا تبدو جواهرها مـــع التضييق (٢)

مستوحاة من المثل القائل " الصديق وقت الضيق " ، وقوله :

إن التهور في الأمور ندامـــة ورضاك عن ذنب فذنب ثان (٣)

مأخوذ من قول القائل " في العجلة الندامة " ومن قول الشاعر *

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقوله : ولزامـــا أقول قولة حـــق كل فرع يعود طبعا لأصـــل (٤)

مأخوذ من قول " الفرع عائد الى أصله " .

وغيرها مما استوحاه الشاعر من مثل هذه الأجواء اللغوية .

أما الصورة الأخرى من صور التأثر بشعر الأقدمين فهو تضمين أبيات من قصيدة معروفة لشاعر معروف ، كقوله مضمنا لبيتين من قصيدة للشاعر جرير ، حين قال :

اللـــه في حور قد زان طرفكـــم مذكرا بجريـر حين غنانـــا (٥)

"إن العيون التي في طرفها حـور قتلننا ثم لا يحيين قتلانـــا "

" يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا "(٦)

---

١. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٧٥ .

٢. أبو سرور ، ديوان إلى ايكة الملتقى ، ص ٧٨ .

٣. المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

٤. المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

٥. أبو سرور الديوان المخطوط، الاخوانيات ، ص ٧٦ .

٦. جرير بن عطية الخطفي : ديوان جريـر ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٤٩٢

* البيت (للقطامي) وهو عمير بن شييم بـــن عمرو بن عباد ، من بني تغلب ، شاعر ، غزل ، فحل ، وهذا البيت مما يتمثل بـــــه من شعره ، انظر ، ابومحمد ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، الشعر والشعراء ، أو طبقات الشعراء ، تحقيق وضبط ، د. محمد قميحة ، والاستاذ نعـيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥ ، ص ٤٨٣ ، ٤٨٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله مضمنا بيتي القاضي الجرجاني ** مستثمرا ما فيهما من طاقة شعرية إيحائية حين قال :

وأكبر عار أن ترى العلم صاغرا أطاح به أهلوه يشكو التألمـــا (١)
"ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنســـوا محياه بالأطماع حتى تجهمـــا (٢)

- ٦ -

ولآي الذكر الحكيم حضور في شعر أبي سرور ، فقارىء قصائده يلحظ التأثر الواضح بأساليب القرآن الكريم في كلماته وألفاظه ، وتعابيره وطرائقه وموضوعاته ، حيث شكل ركيزة مرجعية لشاعرنا ، حين استمد كثيرا من ألفاظ معجمه الشعري من خلال النص القرآني بشخوصه وأعلامه ، وقصصه ومفرداته.

ولعل المواطن التي تم رصدها في هذا المبحث تعطي صورة عن حجم تواصل الشاعر مع هذا المصدر ، واستيحائه منه .ويستطيع الباحث أن يجد في شعره كما هائلا من مستويات التأثر بالقرآن الكريم ، فعلى مستوى تعدد الأغراض والموضوعات التي طرقها الشاعر . بل حتى قصائده الغزلية يتجلى فيها تأثره بألفاظ القرآن الكريم ، وإن جاء هذا التأثر في كثير من الأحيان في صورة تكرار لتعابير شعرية ، أعادها الشاعر على المسامع ، بقصد تفجير الأحاسيس، بما تشكله هذه الكلمات من إيحاءات تلقي بظلالها على الصورة التعبيرية التي ينطلق الشاعر من خلالها ، ويتكيء على ما تشكله من طاقات معنوية يستثير بها وعي المتلقي .

** هو علي بن عبدالعزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني ، قاضي الري إبان الصاحب بن عباد ، انظر ، ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج١٤ ، ص ١٤ .

١. أبو سرور : الديوان المخطوط ، الاخوانيات ، ص ٥١ .

٢. الثعالبي : يتمـــه الدهـــر ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ج٤ ، ص ٢٣ ، وانظر : ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١٤ - ص ١٨ ، دار الفكر ، بيروت ط٣ ، ١٩٨٠م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخذ تأثره بهذه التراكيب والقيم مستويات متعددة ، فاستعان بألفاظ القرآن الكريم ليعبر من خلالها عن واقع معاصر ، يتفق وما ترمز إليه الآية في الكتاب العزيز ، كقوله واصفا جرائم اليهود وتنكيله بالشعب الفلسطيني المسلم :

قد ذبحت أطفاله واستحييت منه النساء وشرد المرهوب (١)

فهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى ((وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناؤكم ويستحيون نساءكم ، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم)) (٢)

ومن ذلك أيضا قوله :

فأنتم أبابيل القتال حصاكم حجارة سجيل فهبوا بها نصلا (٣)

وذلك تأثرا بقوله تعالى " وأرسل عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول " (٤) وفيها يدعو الشاعر الإنتفاضة الفلسطينية وأطفال الحجارة إلى مواصلة كفاحهم ومقاومتهم للاحتلال الغاصب .

ومن ذلك أيضا قول الشاعر مشيرا إلى جهاد الجزائرين وبلاءهم ، إبان معركة الاستقلال عن فرنسا :

فقاتلوها وما هانوا وما ضعفوا وما استكانوا وكانوا الصبر فانتصروا(٥)

وذلك تأثرا بقوله تعالى " وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين "(سورة آل عمران ، آية ١٤٦) .

وكذلك قول الشاعر :

جاهد وأنت لوجه الله متجه من ناصر الله لا ينفك في ظفر (٦)

وهو مأخوذ من قوله تعالى " يا أياها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " (سورة محمد – آية ٧)، وفيه يحث الشاعر على جهاد العدو من منطلق إسلامي ، مشروط فيه الحصول على النصر بنصرة الله سبحانه .

---

١. أبو سرور ، ديوان الى إيكة الملتقى ، ص ٤٥ .
٢. سورة البقرة ، آية ٤٩ .
٣. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٩٨ .
٤. سورة الفيل ، آية ٣ –٥ .
٥. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٦٢ .
٦. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الوطنيات ، ص ٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك قوله :

إلى متى نحن للطاغوت نحتكم ونطلب العدل من خصم هو الحكم (١)

فمطلع البيت مأخوذ من قوله تعالى " ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به ..." سورة النساء آية ٦٠ ، ولا يخفى ما تشيعه كلمة الطاغوت " وما توحيه من معنى منفر ، لا سيما وأن المسلمين قد نهوا عن التحاكم اليهم (الطواغيت) فكيف اذا كان هؤلاء الطواغيت هم الخصوم .

ويتجاور في هذا البيت أيضا تأثر الشاعر بقول المتنبي :

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم (٢)

على ما بين البيتين من فرق في الجو العام للمعنى .

وقد يشير الشاعر إلى الكتاب العزيز وبعض السور ذات الدلالات الخاصة كأن يقول مثلا :

فما عملوا من سورة العصر واجبا ولم يجهلوا والله ما قالت العصر (٣)

وذلك في معرض حديثة عن الأمة التي تخلت عن القرآن الكريم بأوامره ونواهيه، فالقت كتاب الله خلف ظهورها ، إشارة إلى سورة العصر ، التي تحمل معاني عظيمة ، من الصبر والتواصي عليه والحق والتزامه .

ويقول في معرض الوعظ والإرشاد والحكمة متمثلا قوله تعالى :

" كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام "

سور الرحمن آية (٢٦-٢٧)

كل شيء على البسيطة فان غير ربي أما علمت المنونا (٤)

وكذلك قول الشاعر :

هلم بني القرآن آل محمد إلى ما حوى القرآن وهو منير

كتاب عزيز ليس يأتيه باطل تفجر عنه العلم وهو بحور (٥)

---

١. أبو سرور ، ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٤٤ .
٢. أبو الطيب المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، بشرح أبي البقاؤالعكبري، ج٣ ، ص ٣٦٦ .
٣. أبو سرور : الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٨٧ .
٤. أبو سرور : الديوان المخطوط ، المراثي ، ص ١٤٧ .
٥. أبوسرور : ديوان باقات الأدب ، ص ٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إشارة إلى قوله تعالى في وصف القرآن الكريم " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " سورة فصلت بآية (٤٢) وقد جاء في معرض دعوة الشاعر الأمة المحمدية للرجوع إلى القرآن الكريم وما حواه بين دفتيه من علوم لا تنضب ، ويتجاور ذلك التأثر بالحديث الوارد ٠ عن رسول الله "ص " في وصف القرآن الكريم عندما قال :" ستكون من بعدي فتن كقطع الليل المظلم ، قيل يارسول الله وما المخرج منها ، قال : كتاب الله فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ٠٠٠٠٠ الخ الحديث " (١) ٠

ويأتي تأثره بالقرآن الكريم ، أحيانا ، في نطاق من الدعوة إلى التزامه منهجا وتبيان عاقبة الابتعاد عنه قائلا :

ما كالتمسك بالكتاب ونوره نصر إذا ما صالت الأيام
فإذا أرادوا أن يعودوا للعلى أموا الهدى ينصرهم العلام
أينوب عن شمس الضحى وضيائها غسق خلا من كوكب وظلام (٢)

وذلك في إطار إشارته إلى الأمة التي استمدت قوانين وضعية حينما ضربت بشريعة القرآن عرض الحائط " بقوانين صاغتها عقول البشر ، وأنظمة معوجة لاصلة لها بالفطرة الإنسانية " (٣) ٠

أما المظهر الآخر ، لتأثر الشاعر بالنص القرآني فيتجلى من خلال إفادته من الجو العام للنص القرآني ، معبرا عن حالة تختلف عما ورد فيها النص، عندما يستعين به لإشاعة جو إيماني مشحون بعاطفة قرآنية ، منبئة عن تأثره بمثل القرآن الكريم وقيمة السامية ، مستعينا بما فيه من قصص وألفاظ وعبارات، استوحاها من خلال النص القرآني بلغته وصوره وأساليبه ٠

---

٠١ أبوعيسى ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩ - ٢٧٩) الجامع الصحيح ، وهو سنن الترمذي ، الجزء الخامس ، بتحقيق وتعليق إبراهيم عطوة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دون تاريخ ٠

٠٢ أبوسرور : الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ١٠٠ ٠

٠٣ (الشيخ) أحمد بن حمد الخليلي : جواهر التفسير ، مكتبة الاستقامة سلطنة عمان ، ط١ ، ١٩٨٤م ، ج١ ، ص ٥ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبذلك فإن الشاعر استطاع أن يستغل الطاقات القرآنية فيولد من خلالها معاني جديدة ، ويلبسها معاني معاصرة ، كقوله من قصيدة غزلية قصصية واصفا دهشة الحاضرين من جمال المرأة المتقدمة للشكوى :

وخروا على أذقانهم سجدا لها | حيارى ولا يدرون ما ذا لهم جرى (١)

حيث أفاد الشاعر من الصورة القرآنية الواردة في قوله تعالى :

" يخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا " سورة الإسراء آية ١٠٩ ، فاستوحى هذه الصورة مستعينا بها لما يخدم نسيج قصته ، مجسدا تلك الصورة الفنية فيها واصفا حالة أولئك النفر الذين أذهلتهم الفتاة بجمالها ، ويستوحي الشاعر قصة موسى عليه السلام عندما ألقته أمه في البحر لتحفظه من فرعون وقومه الذين أرادوا قتله ، حيث وظف الشاعر هذه القصة في قصيدة له بعنوان " لا عيش دون الأحبة " أسقط فيها قصة موسى عليه السلام على حاله وحال صديقه الذي يودعه ، مستغلا ما في القصة من إيحاءات رمزية ، فيقول :

يا ريم هل لك أن أودعه | تابوت موسى الود والبر
إني أنا أخشى عليه مدى | فرعون عنف الدهر والمكر
كم طفل قوم ذبحت يده | قبل الفصال وجال بالشر
فكأن قائلة تقول هنا | لصبابتي ألقيه في البحر
وضحى غير سيرد في جذل | بعناية من خالق الفجر
وغدا تربيه يد فتكت | بالأبرياء مخافة القهر
لتكون بعد عند لهم حزنا | وسعادة للود والعصر
ويشيد من دنيا اللقا مدنا | وممالكا تأبي يد القسر
فلتفعل الأيام كيف تشا | لا بد أن يأتي ضحى النصر (٢)

حيث تحول الشاعر بالقصة القرآنية إلى حالة خاصة به ، موظفا ما في أجوائها من حالة الظلم والقهر والاستبداد . وهنا يضفي الشاعر – فضلا عن المعنى الديني– معنى رمزيا استعان فيه بجو قصة موسى عليه السلام ليشيع من خلالها حالة من الترقب والتفاؤل وذلك واضح من البيت الأخير في النص السابق ، إذ يشي بتفاؤل الشاعر ونظرته إلى المستقبل الواعد الذي لا بد أن يقضي على الفراعنة .

---

١. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ١٢٦ .
٢. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، الإخوانيات ، ص ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكثيرا ما تواصل الشاعر بالمفردات القرآنية من خلال توظيفه لعدد كبير من مصطلحات القرآن الكريم ومفرداته ، في إطار تأثره بثقافته الدينية كقوله في مخاطبة الهوى :

أدائما أنا أشكو يا هوى ألما كم بت لم ترع لي إلا ولا ذمما (١)

استوحاها من قوله تعالى " وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة " سورة التوبة آية ٨ ٠ وهذا التأثر شائع في كثير من قصائده الغزلية، بما وظفه الشاعر من ألفاظ قرآنية وعبارات فقهية متأثر فيها بالمعاني القرآنية ومن ذلك "القصاص" حين يقول مخاطبا الحبيبة :

لا أظن الحبيب يأمل قتلي إن قتل النفوس ظلما محرم (٢)

وقوله :

فإن تقتليه تقتلي بغرامه وقتلكما خطب جسيم على الورى (٣)

وقصيدة الشاعر " وضوء الصبابة يحتشد فيها عدد من الألفاظ القرآنية من مثل " العقاب ، الذنب ، أوزار ، وضوء ، مساجد ، الأسحار ، الصلاة ، لغو ، المحاريب ، استغفار ، مشرك ، العذاب ، النار " وغيرها من الألفاظ التي أعطاها دلالات أخرى وحملها معاني جديدة ٠

وهكذا تتجلى سور القرآن الكريم بما تحتوي عليه من قصص ، ومعان إيحائية وألفاظ ، وبما تثيره في النفس من مشاعر إنسانية ، تتسع لتجسيد نظرة الشاعر الخاصة به ٠ فكان القرآن بصوره وأساليبه وألفاظه وعباراته وروحه وقيمه ، حاضرا في شعره ، مشكلا البنية الأساسية في تعامله مع التراث حيث وظفه في التعبير وفق النمط التراثي ؛ حين راح يعبر عن حالاته الوجدانية وآمال الأمة ومعاناتها من خلاله ٠

ومن مظاهر التعامل مع القرآن في شعره ، استخدامه الشخصيات القرانية ، كالأنبياء ، أو الشخصيات المنبوذة ، رموزا للتعبير عن حالات معاصرة من مثل شخصية ، يوسف عليه السلام ، وموسى عليه السلام ، أو الطغاة مثل فرعون في قوله :

---

١٠ أبو سرور : الديوان المخطوط ، الغزليات ، ص ١٤٧ ٠
٢٠ المصدر السابق ، ص ١٧١ ٠
٣٠ أبو سرور : الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ص ١٢٨ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كل يقول أنا فرعون فانتظموا تحتي عبيدا والا سمتكم نكدا (١)

وما من شك في اقتران هذا الاسم " فرعون " بالظلم والطغيان والوقوف في وجه الدعاة، وتناول هذا الشخصية عند الشاعر كان دافعه الرفض السياسي للواقع المعاش ، واستيحاء الأجواء النفسية والطاقات الإيحائية التي يؤديها هذا الرمز الذي تعامل معه على أساس ما يرمز إليه من سلطة فردية وظلم سياسي واجتماعي ٠

- ٧ -

ويكون التاريخ أحد المصادر التراثية التي تواصل بها الشاعر فاستدعى في كثير من قصائده التعبوية ، الوقائع التاريخية ، بشخصياتها الخالدة ، التي تفاعل معها وحشدها في شعره الاستنهاضي وفق ما تدل عليه هذه الأحداث والشخصيات ، وبما تمنحه من دلالة شمولية ٠ واستخدام أبي سرور للشخصية التراثية ، لا يخرج في حقيقته عن تجربته الشعرية ، حين يقوم بتوظيف الشخصية التراثية ، لتصبح في جانب منها ، إحدى وسائله التي يعبر من خلالها عن مواقفه المعاصرة ٠ فيحملها بذلك بعدا رمزيا ، نظرا لما تتسم به هذه الشخصية من خصال أصبحت سمة لها ٠

وهنالك أسماء كثيرة لشخصيات متعددة ، أصبحت تحمل ثوابت قيمية من خلال أعمالها المتميزة ، وبنى الشاعر جزءا من قصائده من خلال حشده لهذه الشخصيات التي استدعاها في حالة حركية ، عن طريق محاورتها وندائها مشيرا إلى ارتباطها بزمن وأحداث معينة ٠ إذ ارتبطت شخصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالفتوحات والعدل ، وارتبطت شخصية " صلاح الدين الأيوبي" بتحرير الأقصى وفلسطين ، كما ارتبطت شخصية " طارق بن زياد " بفتح الأندلس ومقاتلة الصليبيين في عقر دارهم ، وارتبطت شخصية الإمام الصلت بن مالك الخروصي، بنجدة أهل سقطره وطرد النصارى الأحباش منها ٠

ولم يكن الشاعر يغوص في الأحداث التاريخية وجزئياتها ، بقدر ما كان يستغل هذه الأحداث والشخصيات ، فيتواصل معها ويحاورها ، ويعيد

---

١٠ أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٤٤ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مخاطبتها مرة بعد مرة ، مجسدا واقع الأمة المعاصر ، وأملها في عودة مثل هذه الشخصيات اليها ، وبذلك استطاع الشاعر أن يشيع في نصه الشعري مناخا تراثيا محكوما بما تدل عليه هذه الشخصيات . وعلى أية حال فإن المناخ الذي كان يشيعه في قصائده نتيجة استدعائه لمثل هذه الشخصيات ، إنما كان نابعا من القضايا الرئيسة ، التي استدعى تلك الشخصيات من أجلها .

ويأتي توظيفه لعدد من الأسماء التاريخية وسيلة لإثارة الانتباه إلى المفارقة بين ما كانت عليه الأمة ، وما أصبحت فيه ، كقوله :

مضى عمرو المجد ولى وراءه مع العدل أما الغي قاض وحاكم (١)

فإنه يربط فيه الواقع المعاصر بشخصية تراثية ، لها عملها الخالد ، الذي أصبح مرتبطا بها ، فهو وإن استخدمها استخداما سكونيا هنا ، إلا أنه استطاع أن يعبر عما في نفسه ، لتصبح قصيدته جزء من الخطاب السياسي والعاطفي في زمن الانكسارات . كما أشار الشاعر إلى شخصيات من مثل أبي بكرالصديق وعمر بن الخطاب وخالد ابن الوليد وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي ، وهي في مجملها تحمل بعدا دينيا وقوميا ، تعمق في وجدان الشاعر ، بما اكتسبته هذه الشخصيات من ثوابت قيمية ، وتميزت به من أعمال خالدة ، جعلت الشاعر لا يحتاج الى عقد مقارنة ، بين ما ترمز إليه هذه الشخصيات ، والحالة المعاصرة التي اراد أن يجسدها ، كقوله :

يا فلسطين خالد قد تقضى لم يخلف والله إلا حطاما
أين عنا صديقنا ومضاه لم يقلد أخا اليهود وساما
أين فاروقنا مجلي الرزايا أين عنا جراحنا أين عاما (٢)

ويتواصل الشاعر مع الشخصيات التراثية من خلال محاروتها ، ومد جسر بينها ، ليصف من خلالها معاناة الأمة وشجونها :

فأين خال نادوه لينقذنا يا ابن الوليد غدونا أمة لعبا
فأين سيفك يمحو العار من دمنا لا عار أنكأ من هون بنا ركبا
يا طارق بن زياد وكيف تتركنا أسرى لأسراك بالأمس الذي ذهبا
لو كنت فينا لما كان الهوان بنا لكن لو عرفت لم تبعث الرطبا

---

١. أبوسرور ، الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٨٤ .
٢. المصدر السابق ، ص ٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا شهم أنت صلاح الدين هب تجد تلك الفتوحات تبغي منك حد شبا
تمزقت بين ذي شرك وذي وثـن بكاؤها يا صلاح الدين هب أبـا
يا صلت يا قائد العليا ومنقذهـا لمـا اشتكت ضرها قد أنقذ الحقبا
جرد أساطيلك اللائي عرفت بهـا تقـذا يمزق من للبغي قد ركبـا
هذي سقطرية الإسلام قد أسـرت أغير سيفك يمحو العار والكربـا (١)

وقد حظيت شخصيات مثل عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي وطارق بن زياد ، بنصيب وافر من تواصله مع هذا التراث ، بما تشكله هذه الشخصيات من نماذج قيادية جهادية من ناحية ، ولارتباط قسم كبير منها بفلسطين وفتحها وتحريرها من أيدي الصليبين من ناحية أخرى ، وقد كان الشاعر يقيم معها الحوار طالبا منها أن تهب من رقدتها الكبرى ، ومستنجدا بها لنصرة هذه الأمة في واقعها المعاصر .

— ٨ —

الظواهر اللغويـــــة :

١. التكـــرار :

وفي لغة أبي سرور الشعرية بعض الظواهر اللغوية التي تبرز بوضوح ، منها التكرار الذي يعد من الظواهر اللغوية القديمة في تراثنا الشعري العربي ، استخدمها الشعراء وسيلة لإبراز موضوع معين من خلال تكراره للفت الانتباه إليه ، بما يتضمنه من إمكانيات تعبيرية ، ووظيفة إيحائية ، تكشف عن رغبة الشاعر في التأكيد على المعنى الذي يسوقه .

وقد تلقف الشعراء المعاصرون هذه الظاهرة وتوسعوا في استخدامها ، لما تشكله من قدرة دلالية على إيصال المعنى وأدائه ، مع ما تكتنفه من مآخذ على أداء الشاعر الفني ، إذا لم يحسن السيطرة عليه ، بحيث يتحول التكرار إلى ألفاظ مبتذلة لا تؤدي معنى جديدا (٢) .

وشاعرنا – أبو سرور – وإن كان شاعرا معاصرا إلا أنه ما زال مرتبطا بالتراث ، وجـــاء التكـــرار عنده استثمارا لما في هذه الظاهرة من دور

---

١. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ١٢١ .
٢. انظر ، نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، ص ٢٦٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٧ ، ١٩٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعبيري ، وبالتالي فإنه يشكل دلالة على منحى الشاعر النفسي والفكري . إذ يعبر عن مدى انفعال الشاعر وتأثره حين " يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف اهتمام المتكلم بها ، وهو بهذا ذو دلالة نفسية قيمة (١) .

وارتباط شعر أبي سرور بالوجدان ، والهموم القومية والإسلامية جعله يعبر عن معاناته ببث عواطفه . فجاء التكرار عنده سمة لغوية يقوم " بوظيفة إيحائية بارزة ، وتتعدد أشكاله وصوره ، بتعدد الهدف الإيحائي الذي ينوطه الشاعر به "(٢) . وبالتالي يأتي أتكاؤه على التكرار وسيلة لإشاعة جو من الحيوية، التي تمنحها طاقة موسيقية مرتبطة بالمعنى العام . وتأتي معبرة عن أجواء الشاعر النفسية ، لما تقوم به الألفاظ المكررة من إثارة ، " فالتكرار يثير الحماسة في صدور المحيطين به "(٣) وتأتي استعانة أبي سرور بهذه الظاهرة الفنية متصلة باتجاهه الأدبي الذي تشكل الحماسة فيه ، عنصرا بارزا في فنه الشعري . ولذلك جاء التكرار ليؤدي دورا وظيفيا بما يمنحها من إثارة للأمر الذي يود التوكيد عليه.

ومن هنا فقد استطعت أن أحصي قدرا وفيرا من احتفال الشاعر بهذه الظاهرة التي جاءت ضمن صور متعددة حملها مهمة خاصة ، ومن ذلك :

أ. **تكرار الحرف** : ويعمد إليه الشاعر بدافع تعزيز الحالة الإيقاعية التي تنسجم مع الحالة النفسية له ، بما يحدثه تكرار الحرف من أثر يضفي على القصيدة جوا نفسيا خاصا ، كما في قول الشاعر :

للمجد هيا بنا بالصارم الذكر ... بالمدفعية بالصاروخ بالبتر
بالجد بالموت بالإيمان نطلبها ... أعنى المعاني لا بالنوم في السحر (٤)

فقد كرر حرف " الباء " عشر مرات وكرر حرف " الراء " رويا خمس مرات ، ليضفي على القصيد حالة إيقاعية ، انسابت في عفوية تلقائية لتؤكد على

---

١. نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، ص ٢٤٢ .
٢. د. على عشري زايد،عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، دار الفصحىللطباعة / مصر ، ص ٦١ .
٣. نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، ٢٦٧ .
٤. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ١٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحالة الشعورية التي جسدها حرف " الباء" الذي تلازم في صورته المعنوية ، باعتباره دالا على الاستعانة ، حين استقر في ذهن الشاعر ، واختزن في ذاكرته ، أن المعالي والمجد لا يتحققان إلا بملازمة ما ذكر ،إذ جاء تكرار الراء حرف روي في القصيدة خمس مرات ليمنحها نبرة وإيقاعية ودلالة معنوية ، ويعمد الشاعر إلى تكرار حرف " النون" في قصيدته " عمان الماضي " بشكل لافت للنظر ، بحيث أصبح من النادر أن نجد بيتا لا يتوافر على عدد كبير منه ، وكما في سابقه فإن الحرف يتكرر بشكل تلقائي ، دون قصدية من الشاعر حين يقول:

كنا ملوكا لنا الأجيال ساجـــــدة قبل النبي على الدنيا أساطينـــــا
نحن الذين أتينا المصطفى شرفـا في ركب مازن والإيمان يحدونا
نلنا الهدى وثناء المصطفى فعلت قناتنا بثناء المصطفى فينـــــــا
وقد وفدنا على الصديق في همم نبيع أنفسنا لله شارنيـــــــــا (١)

ففي الأبيـــات الأربعة يتكرر حرف " النون " عشرين مرة ، فضلا عن التنوين الحاصل في أربع كلمات ليبلغ تكراره أربعا وعشرين مرة ، أما القصيدة التي تبلغ " سبعة وخمسين " بيتا فقد تكرر فيها حرف " النون " أكثر من " مائتين وعشرين" مرة فضلا عن التنوين فيها ، وعلى الرغم مما قيل أن تكرار الحرف أقل أنواع التكرار قيمة فنية إلا أنه يعبر عن حالة شعورية سيطرت على وجدان الشاعر ، ربما لاتصال النون ، بضمير الأمة الواحدة وماضيها العريق ليحمل قصيدته شيئا من ذلك .

ويأتي تكرار الشاعر " كم " تجسيدا لحالة نفسية عنده حين يلح على تكرارها قائلا :

كم ظلمنا وليس للظلم فينـــــا من سبيل لكي نرى ظالمينـــا
كم جهلنا والحق يملأ منـــــا كل عين ، ضياؤه مستبينـــا
كم طوينا على الضلوع طوايا من سواد النفاق لا مخلصينا
كم ضحكنا مسرة عن رزايـا في أخينـا وكان ذاك الحنونا (٢)

ويحاول الشاعر في تكراره للفظة (كم) أن يصور كم تمادى الإنسان في غيه ، فجهل عواقب الأمور ، وظل سادرا لا يردعه شيء .

---

١. أبو سرور : ديوان الى أيكة الملتقى ، ص ٣٥ .
٢. أبو سرور : ديوان باقات الأدب ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويكرر الشاعر – أحيانا – صيغة " إلام " وهي مختصر للتركيب " إلى متى " ولا ريب أن هذه الصورة تحمل بعدا شعوريا فيه دلالة على ملل الشاعر من أمته التي رضيت بالهوان واستمرأت الذل ، كأن يقول مكررا :

إلام تنادي الحي للحي غيرتي ... وتطلب منهم للهدى صبح فتية
إلام تنادي الباسلين عقيرتي ... ندائي أحياء ندائي لميت
إلام تنادي في بنيها عزيزتي ... بحي على نهج الفلاح أعزتي
وحي إلى فكي من الأسر نصرتي ... فأسري أسر الأمة العربية
وحي إلى إعزاز ديني وملتي ... أحاطت بها الأعداء من كل وجهة (١)

حيث أن تكراره لصيغة " إلام " و " تنادي " و " وحي" جسدت الحالة الشعورية لأحاسيسه ، التي ألقت بظلالها على أسلوب تكرار الشاعر لهذه الألفاظ والحروف، ليقوم بإفراغ شحناته العاطفية الغاضبة عبرها ٠

ويكرر أداة الاستفهام " أين " في قصيدة " هذي سمائل " (٢) اثنتين وأربعين مرة ، عند تساؤله عن شخصيات تراثية من مدينته " سمائل " وقد جاء تكرارها في معظم القصيدة ناشئا عن قصدية واضحة ، لتذكر مثل هؤلاء الأعلام، دون أن يحملها معنى جديدا في كل مرة ٠ وليس تكرار الحرف يحقق فائدة تعميق المعنى أو تأكيده فقط ، وانما يعبر عن ظاهرة ايقاعية تقتضيها حالة الانفعال فيتداخل في بعض الاحيان متطلب اللغة مع الموسيقي في ذلك ٠

ب- تكرار الكلمة : وتأتي لتحقيق غاية فنية وجمالية ، لتعكس المشاعر والإحساس والمعاناة ، لما في الكلمة المكررة من القدرة على الغوص في أعماق مأساة الشاعر – الانسان –، وتجسيد أحاسيسه الداخلية بشكل عميق يتسم بطابع التدرج نحو الإنفعال ٠

وقد جاء هذا الضرب من التكرار أيضا عند أبي سرور في صور متعددة ، كان يلح على تكرار كلمة بعينها في عدة أبيات متتالية من مثل قوله :

ناجي حبيبي يا نسيم ... ناجيه يا برء السليم
ناجيه يا روح المنى ... ناجيه عن قلب سقيم
ناجيه من بين الغصون ... بعرفها العطر الشميم (٣)

---

١٠ أبو سرور : ديوان باقات الأدب ، ص ٩٤ ٠
٢٠ أبو سرور : الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ٣٩ ٠
٣٠ أبو سرور : ديوان باقات الأدب ، ص ١٢٨ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو أن تكون الكلمة المكررة في عدة أبيات متتالية ومتفرقة من مثل قوله :

تعالي تعالي فما لي اصطبار ... أما تعلمينى بأني حنـــــون
تعالي تعالي ولا ترهبـــــي ... وقري عيونا فكلي عيـــــون
تعالي لأجني بخد الهـــوى ... زهور الصبابة ليس الغصون
تعالي أضمك ضم اشتيـــاق ... . (١)

فالحاح الشاعر على كلمة " ناجيه " في القطعة الأولى و " تعالي " في الثانية ، جاءتا مرتبطتين بسياق النص ، حيث أن التكرار لم يكن وليد ضيق التعبير ، بقدر ما كان وسيلة لإفراغ شحنة عاطفية عند الشاعر .

وقد يلجأ الشاعر إلى تكرار ألفاظ ومفردات في بداية أبيات متتالية لا سيما المطالع ، كتكراره لصيغة " يا من " في أكثر من بيت بشكل تتابعي ، بما يشير إلى الحالة الانفعالية للشاعر حين يلح على تشكيل لفظي بعينه ، للدلالة على الحالة الشعورية التي عاشها أثناء كتابة نصه الشعري ، بما يحمله هذا النداء المتكرر " يامن " في قوله :

يا من تملك مهجتي فأذابهـــا ... وبروح وعي من هواه أثابهـا
يا من دعاني للعلى فأجبتـــه ... أنشودتي ما زلت أطرق بابها
يا من سقاني من كؤوس إخائه ... صرفا منزهة الأذى ما شابها (٢)

وقوله :

من للوفاء على شتى معانيه ؟ ... من للوفـــــاء وفي في مبانيه ؟
من للوفاء وقد رثت أواصره ... أواصر الحب شيء من رواسيه
من للوفاء وقد داست مقدســه ... ســوائم الغدر عاثت في روابيـه
أين الوفاء ؟ ويا أين الوفي به ... واحر قلبي ! عزيز في لياليـــه! (٣)

فتكراره للفظة " يامن " في الأولى و " من " في الثانية ، أضفى حالة تعبيرية على القصيدة ، مبتعدا بتكراره عن الصيغة اللفظية المملة لما تقوم بذكره من شيء جديد إثر كل لفظة يكررها ، وجاء تكراره منسجما مع بناء القصيدة ، الذي ارتكز بصورة واضحة على إثارة حالة عاطفية من خلال اعتماد الشاعر على أسلوب النداء والاستفهام .

---

١. أبو سرور : ديوان الى أيكة الملتقى ، ص ٥٤ .
٢. أبو سرور : ديوان بقات الأدب ، ص ٨٩ .
٣. أبو سرور : ديوان الى أيكة الملتقى ، ص ٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما تكراره للفعل الماضي " حمي الوغي "(١) في مطلع قصيدة حماسية فإنه يدل على الجو المسيطر على حالة الشاعر الذي أراد التأكيد على أن قتال العدو قد حان ، ولا ينفع معه تواكل أو تأخر .

ويكثر عند الشاعر تكرار صيغ الإستفهام والنداء والتعجب في مطالع قصائده من مثل قوله " يا بلبل الأيك " و " أدون الحبيب " و " هل فيك من عرف الحبيب " و" يا من تملك مهجتي " و " يادار " و " من للوفاء " و "أدائما ... الخ " مما يوحي بسيطرة مدلولات هذه المطالع على حالته الشعورية التي أدت به إلى عدم الاكتفاء بذكرها مرة واحدة ، بل أعاد تكرارها عدة مرات ، أما تكراره لكلمة " نحن " فإنها تفصح عن انتماء الشاعر ، وتشبثه بصيغة الجمع وتمسكه بوحدة الأمة ولننظر إلى هذا النموذج :

نحن ابناء الملا نحن أرباب العلا نحن أشبال الوغي نحن مجد ذهبي
نحن شيبنا الزمان نحن جانبنا الهوان
نحن أرباب الطعان سائل الليث الأبي
نحن نبني المكرمات نحن أهل الطائلات
نحن نمضي في ثبات للعدو الأجنبي (٢)

إذ لا يخفي ما في تكرار هذه الكلمة من هزة عاطفية .

وقد يكرر الشاعر الكلمة الواحدة في البيت الواحد مثل قوله :

أحفاد راعي الفرض إن لفرضكم فرضا ينادي الفرض هل تدرونا

حيث كرر الشاعر هذه الكلمة " الفرض " أربع مرات ، وهي كلمة يقصد بها الفريضة الغائبة ، وإلحاح الشاعر عليها بتلك الصورة أعطت القارىء إيحاء بمدى أهميتها ، وضرورة العودة إليها والالتزام بها ، كي لا تهمل وتشطب من قاموس اللغة ، فسيطرة هذه الكلمة على فكره جعلته يعمد إلى تكرارها بهذ الصورة .

أما تكرار التراكيب والعبارات ، فقد يأتي متتابعا في بيت واحد كقوله:

وإني للعليا خطيب وشاعر وإني للعليا لليث وصارم (٣)

وقد يكرر الشاعر عبارة بكاملها كقوله :

ما أكرم البطل الجندي إن نطقت مدافع " الهاون " تردى ظالم البشر

---

١. انظر ديوان الشاعر : باقات الأدب ، ص ١١٧ .
٢. أبو سرور : ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٤٨ .
٣. أبو سرور : ديوان باقات الأدب ، ص ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما أكرم البطل الجندي إن قذفت قنابل الميج والميراج من سقـــــر
ما أكرم البطل الجندي منتظمـــا أسطول بحرية الهيجاء في الشرر (١)

حين كررها ثلاث مرات ، على الرغم مما اتسم به هذا الأسلوب من تقريرية وسردية في الخطاب .

وأحيانا يكون التكرار عنده رديئا حين لا يؤدي معنى جديدا ولا يجسد حالة شعورية بقدر ما يكون إعادة للمعنى نفسه ، وتكرارا للصورة نفسها ، فحين يقول :

هيا بنا نبنيه فـي أدواره متناسق اللبنات ليس لـــه صدع
هيا بنا نبنيه صفا واحدا متماسك الأركان ليس بمنصدع (٢)

اذ أنه لم يأت بجديد في البيت الثاني بقدر مـا شكل إعادة مملة للمعنى نفسه في البيت الأول .

ج : **تكرار المعاني** : ومن اللافت للنظر عند أبي سرور تكراره لمعانيه في كثير من قصائده ، حيث يعمد الشاعر إلى تكرار المعاني وتقليبها في أوجه عدة ، نتيجة لكثرة نتاجه ، كأن يقول واصفا بعض القادة والزعماء العمانيين :

أولئك فتية لله قامـــــــــوا صحابيون في الزمن الأخير (٣)

ثم عاد فقال ذاكرا الشخصيات :

وصالح وسعيد قطب دولتـــه والغاربي صحابيون موفونا (٤)

وكذلك قوله :

لو لم تلد غيره أنثى لكان كفى بعد النبيين أبرارا كميينـــــا (٥)

ثم عاد فقال :

لو لم تلد غيره أزدية بطـــلا ما كان قحطان بين الناس مغبونا (٦)

ويكرر المعنى قائلا ضمن قصيدة غزلية :

---

١. أبو سرور : ديوان باقات الأدب ، ص ١٣٨ .
٢. المصدر السابق : ص ٨٨ .
٣. أبو سرور : ديوان الى أيكة الملتقى ، ص ٨٧ .
٤. أبو سرور : الديوان المخطوط ، الوطنيات ، ص ١٨ .
٥. المصدر السابق ، ص ١٨ .
٦. أبو سرور : الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإذا مت قبل لقياك مـــــــــري من ضريحي وذا لنفسي كفاها (١)

فقال مكررا :

نادوا الحبيبة إن مرت على جدثي تهدي السلام تحييها زوايـــاه (٢)

وقوله مكررا المعنى أيضا من قصيدة وطنية ، واصفا بلاء العمانيين وإقدامهم وهيبتهم :

لم يرهب الدهر إلا من رماحهمو فلا أمان إذا أشحوا بآمينـــا (٣)

فقال :

لم ترهب الأيام غير رماحنـــــا إن يبلنا دهر فسوف نبيـــد (٤)

وقوله :

فإذا حربنا فالزمان محـــــارب وإذا نصالح فالزمان سعيـــد (٥)

كرر ذلك قائلا :

إذا غضبنا رأيت الدهر في قلق وإن رضينا فما أحلى مراضينا (٦)

ويعيد تكرار المعنى نفسه أيضا قائلا :

إذا ابتسمت لم تلف في الأرض عابسا وإن وهبت لم تلف بين الورى فقرا

وإن سالمت لم تلف في الأرض خائفا وإن حاربت لم تلف إلا العدى أسرى(٧)

وقد يكرر المعنى واللفظ مع تغيير طفيف ليناسب القافية كقوله :

هذا الجلندى إمام قاد دولتنـــــا ميمونة تحت شرع الله ميمونـــــا(٨)

أعاد ذلك قائلا :

أين الجلندى إمام قاد دولتنـــــا ميمونة تحت شرع الواحد الهـــادي(٩)

---

١. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الغزليات ، ص ١٦١ .
٢. المصدر السابق ، ص ١٤٦ .
٣. أبو سرور : ديوان باقات الأدب ، ص ١٩٦ .
٤. أبو سرور : ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٣٩ .
٥. المصدر السابق ، ص ٣٩ .
٦. المصدر السابق ، ص ٣٥ .
٧. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الوطنيات ، ص ١٩ .
٨. أبو سرور ، ديوان إلى ايكة الملتقى ، ص ٣٦ .
٩. المصدر السابق ، ص ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا" : الضرورات الشعرية :

ومن الظواهر اللغوية الأخرى في شعر أبي سرور ، هي وقوعه في الضرورات الشعرية ، حيث وجدت هذه الضرائر مجالا في شعره ، فانزاح في جانب من لغته الشعرية إلى استخدام ضرورات شعرية ناشئة عن اضطراره إلى التغيير الذي يجريه على بنية الكلمة ، إضافة أو حذفا ، ناتجا عن مقتضى إقامة الوزن ، أو بسبب من استدعاء القافية ، لا سيما تلك الضرورات التي أجازها النقاد .

ولا ريب أن النقاد القدماء قد منحوا هذه الظاهرة نظرة تسامحية ، فسوغوا للشاعر ما لم يسوغوا لغيره ، يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي " الشعراء أمراء الكلام ، يصرفونه أنى شاءوا ، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده ، ومن تصريف اللفظ وتعقيده ، ومد المقصور وقصر الممدود ، والجمع بين لغاته ، والتفريق بين صفاته " (١) .

أ. ومن الضرورات التي وقع فيها الشاعر قصر الممدود وهي من المسائل التي أجمع النحويون على جوازه (٢) من ذلك قوله :

أبنا فلسطين على ساعدكم رد الحمى لا العاشقين الترفا (٣)

وقوله :

يشعل اليأس في حشاه سعيرا والرجا يمطر السعير مياها (٤)

وقوله :

لبوا ندا الأقصى العزيز وبادروا عار إذا لم تنهضوا وتجيبوا (٥)

فـ " أبنا " و " الرجا " و " ندا " كلمات ممدودة وقد قصرها الشاعر لضرورة إقامة الوزن فأصلها " أبناء " و" الرجاء " و "نداء " وهذه الظاهرة متكررة في شعره ، مترددة في أبياته منها " العليا " و " الأعدا " و " الغبرا" و " سعدا " و " السما "

---

١. حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق ، محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٦ ، ص١٤٣ .

٢. انظر ابن عصفور الاشبيلي ، ضرائر الشعر ، مصدر سابق ، ص ١١٦

٣. أبو سرو ، الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٩٤ .

٤. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الغزليات ، ص ١٦٠

٥. أبوسرور : ديوان باقات الأدب ، ص ٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و" الأنبيـا " و " القضا " وغيرها (١) وأصل هذه الكلمات هي : العلياء ، الأعداء ، الغبراء ، سعداء السماء ، الأنبياء ، القضاء " ، وهذه الظـاهرة تكـررت عند كثير من الشعراء ، ومن ذلك أيضا " حذف الفتحـة التـي هـي علامـة إعـراب مـن أخـر الاسم المعتل، تخفيفا وتشبيها للمنصوب بالمرفوع والمخفوض "(٢) من ذلك قوله :

يا طيف حي من الفيحا أعاليها حي الرياض وحي لي فواغيها (٣)

وقوله : " والخافضين من الأعدا أعاليهـــا " (٤)

وقوله " مضى مشيخا على حرف تجوب به شتى الفدافد لا يخشى ضواريها(٥)

فالقوافي " أعاليها و " فواغيها " و " أعاليهـا " و " ضواريهـا " جـاءت فـي موضـع نصب ، وهي مع ذلك مسكنة الأواخر ٠

وأحيانا يحذف الشاعر حركة من عين " فعل " مبالغة في التخفيف كقوله:

تهينم في تلك الرياض إذا جرت كهمسة مشتاقين في غفلة الحرس (٦)

وقوله :

فذاك حنوطي إن أمت في سبيله ومن قطع الصاروح كفني أصيبه (٧)

وقوله :

إذا ما الملك قد نصح الرعايـــا تحقق ما يروم ولا مـــــــــرد (٨)

وقوله :

فطر فوق السما والأفق حـــــر شهابا ثاقبا والجـــــو زنـــــد (٩)

فالكلمات " الحرس ، كفني ، الملـك ، الأفـق " حـذف الشـاعر حركـة العيـن فيهـا ، اضطرار لإقامة الوزن ٠

---

١٠ انظر ديوان الشاعر : باقات الأدب الصفحات ، ٢٠ ، ٣١،٤١،٤٤،٧٠،٧٢

٢٠ ابن عصفور ، ضرائر الشعر ٠٠ مصدر سابق ، ص ٩١ ٠

٣٠ أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٢٠ ٠

٤٠ المصدر السابق ، ص ٢٠ ٠

٥٠ المصدر السابق ، ص ٢١ ٠

٦٠ المصدر السابق ، ص ٩١ ٠

٧٠ المصدر السابق ، ص ١٢٦ ٠

٨٠ المصدر السابق ، ص ٦٨ ٠

٩٠ المصدر السابق ، ص ٢٥ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك حذف أن الناصبة وإبقاء عملها مثل قوله :

فقال وربي المنشيك ليثـــا فوجه الذئب علمني أصيبـــا (١)

تقديره علمني أن أصيب " فحذف أن وأبقى عملها لحاجة " علمني " إلى ذلك .

ومنه أيضا حذف " نون الوقاية " من " ليت " وهذا مطرد عند شاعرنا ويكثر منه كقوله :

فليتي ما ذقت فيك الهـــــوى وليتي ما كنت شيئا يهـــــون (٢)

وقوله :

ليتي أعار جناحا منك يحملنـــي لو أن ليت لها في الحب أربـــاح (٣)

وقوله :

ليتي جهلت الهوى لكن بليت به يا ليت في الابتلا حظي وأرزاقي (٤)

" ولا يجوز في الكلام إلا ليتني " (٥)

ومنه حذف " نون " يكن " لالتقاء " الساكنين ، تشبيها بالتنوين " (٦)

مثل قوله :

لويك الكون كله صفحـــــات ليس يحوي مساويا كاتمينـــــا (٧)

ومنه أيضا حذف الهمزة للتسهيل التي هي ليست همزة مد مراعاة لضرورة الوزن من ذلك قوله :

ها نحن حولك فالإخوان قد حضروا كل له شغف فيما له جينا (٨)

وقوله :

اقرا عندي لقوم لوط (ولولا رهطك) الكثر كان رجم وذبح (٩)

وقوله: كيف يهنا على فلسطين عيش ليهود وأنت شهم الكنـــــود (١٠)

---

١. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٥٨ .
٢. أبو سرور ، ديوان الى أيكة الملتقى ، ص ٥٤ .
٣. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٩٨ .
٤. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الغزليات ، ص ١٥١ .
٥. ابن عصفور ، الاشبيلي ، ضرائر الشعر ، مصدر سابق ، ص ١١٤ .
٦. المصدر السابق ، ص ١١٤ .
٧. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٨٧ .
٨. المصدر السابق ، ص ١٩٣ .
٩. أبو سرور ، ديوان الى ايكة الملتقى ، ص ٧٢ .
١٠. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٢٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله :

تسير نحو شواطي الحب حاملـــة روحي تقلبها ريح وأمـــــواه (١)

وقوله :

فلا تفضحي حبي فيشمت حسدي ويعبا بدائي يابثين سطـيـــح (٢) *

فالكلمات " جينا " و " اقرا " و " شواطي " و " يعبا " حذف الهمزة منها لإقامة الوزن ٠

وأما الزيادة الناشئة عن الضرورة والتي أخذت موقعها في شعر أبي سرور فهي كقطع الموصول وإثبات الهمزة في ابن " الموصولة بالكلام كقوله :

وساءلت فيها من فقيه وعالم كابن عبيد كاشفا حالك اللبس (٣)

وقوله :

يا إبن زيدون إن الموت ما جرحت سكينة جائشات منك تدوينا (٤)

وقوله قاطعا صلة " اسم "

أفيقي أنادي كل فرد بإسمـه وغني على كأس الحيدث ورجعي (٥)

ومنها زيادة حركة في وسط الكلمة وذلك مثل قول الشاعر :

إلى متى الناس في دينا همو انهمكوا مثل الفراش على نار بلا عقل(٦)

وقوله :

يزاحمونا على خيرات ثروتنـــا ويسبكوهـــا سلاح الجو والسهل (٧)

حيث حرك الكلمتين " عقل – وسهل " ليتناسب مع الوزن (٨) ٠

---

١٠ أبو سرور : الديوان المخطوط ، الغزليات ، ص ١٤٤ ٠

٢٠ المصدر السابق ، ص ١٤١ ٠

٣٠ أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٩٣ ٠

٤٠ المصدر السابق ، ص ١٩٤ ٠

٥٠ المصدر السابق ، ص ١٣٢ ٠

٦٠ المصدر السابق ، ص ١٧٢ ٠

٧٠ المصدر السابق ، ص ١٧٣ ٠

٨٠ ابن عصفور الإشبيلي ، ضرائر الشعر ، ص ١٧ – ١٩ ٠

* سطيح : هو كاهن من بني ذئب ، كان يتكهن في الجاهلية ، قيل سمي بذلك لأنه كان لاعظم فيه سوى رأسه ، فكان أبدا منبسطا ، منسطحا على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود ٠ انظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ، ٢ ص ٤٨٣ ، مادة (سطح)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ٠ أما الأخطاء اللغوية والهنات الأسلوبية التي وقع فيها الشاعر فتتمثل في أمور عدة ، كأن يستخدم لو وإذا الشرطيتين جازمتين مثل قوله :

لويك الكون كله صفحات ، (١) وقوله : فإذا تكن روح الوفا في أمة (٢)

ومنها جر حرف الجر بحرف جر مثله كقوله :

فناجني من على الفيحاء ناج هوى ٠٠٠٠٠٠٠٠

وناجني عن على الحباس في فنن ٠٠٠٠٠٠٠٠ (٣)

وقد استخدمها للضرورة " إجراء لها مجرى ما هي في معناه "(٤)

حين جاءت بمنزلة " جانب ، أو عند " ويبدو لي أن على هنا حشو زائد لا تؤدي معنى جديدا بدليل أنه يمكن الاستغناء عنها فنقول مباشرة " ناجني من الفيحاء " ٠

ومن ذلك أيضا استخدامه لم الجازمة في موضع لا " النافية مجاراة لضرورة الوزن من جهة الفعل مثل قوله :

ومهما الشعب كان أخا إباء فلم يرضخ لسيطرة المعادي (٥)

وأصلها " فلا يرضخ "

وكذلك استخدامه " لأن " بدلا من أن " والسياق يقتضي ذلك كقوله :

درس صغير بالقنابل والقنا خير لأن يتكرر الإنـــذار (٦)

ومن الظواهر اللغوية التي وقع فيها الشاعر هي " جر أداة الاستفهام أين" و " متى " ومناداتهما ، وإن أجراهما الشاعر إجراء لما تدل عليه " أين "من المكان " و " متى " من الزمان كقوله :

ما خط بارليف على غلوائـــه في أين أمسى هل له آثـــار (٧)

وقوله :

يا أين أحمد في شعر منمقـــة سطوره حكما غرا عناوينـا (٨)

---

٠١ أبو سرور : ديوان باقات الأدب ، ص ٨٧ ٠

٠٢ المصدر السابق : ص ١٢٧ ٠

٠٣ المصدر السابق ، ص ٩٩ ٠

٠٤ ابن عصفور الإشبيلي ، ضرائر الشعر ، ص ٣٠٥ ٠

٠٥ أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٩٩ ٠

٠٦ المصدر السابق ، ص ١١٨ ٠

٠٧ المصدر السابق ، ص ١٢١ ٠

٠٨ المصدر السابق ، ص ١٩٤ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله :

فإلى متى دكت جبالك يا متـــى إن الرجا دون القنا أسقـــــام (١)

وقد يعامل ليت " في مواضع كثيرة معاملة المعنى " التمني " :

إن دون الأماني خوض المنايـا لم تفد ليت دون بيض صقيلـــه

ليت حرف وكم أطلناه درســـا ليت شعري وآن أن لا نديلـــه (٢)

ومن الأخطاء اللغوية الناتجة عن الضرورات الشعرية " حذف تاء التأنيث من آخر الفعل الماضي كقوله :

فتاة حباسنا وتاه عمان (٣) ٠٠ وقوله " يوم مرير شنه الأقدار " (٤)

وقد يعمد إلى العكس فيؤنث الفعل الدال على المذكر كما في قوله :

قد ظلمتنا المترفون واشتروا بنا الهوان والهوى والسخفا (٥)

ومنها أخطاء نحوية تولدت نتيجة الضرورة الشعرية ، وجاءت من أجل استقامة الوزن ، وهي لا تعبر في مظهرها عن ضعف الشاعر وقصور لغته، وهو الرجل المتمكن في علم النحو ، المؤلف فيه ، من ذلك قوله :

فإلى متى هذي الشعوب رهائـن بيد العدى أفلا تفك فتـدفع (٦)

حيث جزم الفعل تدفع ومحله الرفع ، ومن هذه الأخطاء أيضا الإتيان بصيغ الجمع على غير المألوف ، إذ جمع كلمة دهر على أدهار (٧) ٠

---

٠١ أبو سرور ، الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٩٩ ٠

٠٢ أبو سرور ، ديوان بقايا الأدب ، ص ١٢٧ ٠

٠٣ المصدر السابق ، ص ١٣٧ ٠

٠٤ المصدر السابق ، ص ١١٠ ٠

٠٥ أبو سرور ، الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٩٤ ٠

٠٦ أبوسرور ، ديوان بقايا الأدب ، ص ٥٠ ٠

٠٧ وذلك في قول الشاعر: ديوان بقايا الأدب ، ص ١٢٣ ،

والبطش لن أبدته صولة قادور عجزت ترد صموده الأدهار

قال ابن منظور نقلاً عن ابن سيده : وجمع الدهر أدهر ودهور ٠٠٠ لأنا لم نسمع أدهارا ، انظر: ابن منظور : لسان العرب : مجلد ٥ ، ص ٢٩٢ ، مادة " دهـر" ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعاشق (١) على عواشق ، وإنما المطرد في ذلك : دهور وعشاق ٠
ومن ذلك تضعيف الحرف لمناسبة الوزن مثل " يسقى ، يسرع " (٢) وهي كلمات هابطة في مستواها الشعوري ٠
ومن هذا القبيل ، فك المدغم ، كقوله :

ونطلب من جيش الأشقاء نجدة وقد أسروا عقلا وقد غللوا رجلا (٣)

وأحيانا يلجأ الشاعر إلى استخدام بعض الألفاظ غير الفصيحة ، أو الدارجة المستهلكة ، من مثل " المشاقق ، النعل ، التخنفس " وغيرها ٠

وهذه الأساليب التي ألجأت أبا سرور الضرورة الشعرية إليها ، إنما كانت في إطار علاقته بالتراث ، ومعرفته بأساليب العربية ، التي تجيز له الخروج على الاستعمال العادي للغة ، في إطار من الارادة الشعرية الخلاقة ، التي تتيح له الخروج على بعض سننها ، مراعاة للوزن والبناء الشعري ، زيادة أو نقصانا ، أو خلافا للقياس الشائع ، دون أن يشكل ذلك مغمزا في لغة الشاعر ٠

---

١٠ انظر ابن منظور : لسان العرب مجلد ١٠ ، ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ، مادة "عشق " ٠
٢٠ أبو سرور : ديوان باقات الأدب ، ص ١٣٣ ٠
٣٠ أبو سرور : الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٩٨ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثـــا : الصـورة

تعد الصورة الشعرية واحدة من أهم مميزات فـن الشـعر عـن غيره مـن الفنون ، فبواسطتها " يشكل الشاعر أحاسيسه وأفكـاره وخواطـره ، فـي شـكل فنـي محسوس "٠(١) فإذا عد الإيقاع أهم ما يميز الشعر عن النثر ، فإن الصورة أهم مـا يفرق بين لغة الشعر ولغة النثر باعتبارهـا " الأداة الفنيـة القـادرة علـى رسـم أبعـاد التجربة الشعورية ، والإيحاء بظلالهـا ، والتصويـر الفنـي بذلـك هـو الحيـاة التـي تسري في عروق الشعر "(٢) ٠

والصورة " في أبسط معانيها رسم قوامـه الكلمـات " (٣) وهـي " تشـكيل لغـوي يكونهـا خيـال الفنـان مـن معطيـات متعـددة ، يقـف العـالم المحسوس ، فـي مقدمتها "(٤)٠ وتستعمل كلمـة (الصـورة) " للدلالـة علـى كـل مالـه صلـة بـالتعبير الحسي ، وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الإستعاري للكلمات "(٥) ويتخذها الشـاعر وسيلة لـ" نقل فكرته وعاطفته معا إلى قرائه أو سامعيه "(٦) وتشكل الصورة أهميـة كبيرة في الدراسات النقدية الحديثـة ، لمـا لهـا مـن قـوة تـأثير باعتبارهـا " المعـادل الفنـي للفكـرة " (٧) التـي ينقلهـا الشـاعر ، فتـؤدي لـه دورا وظيفيـا فـي عمليتـه الإبداعية٠

---

٠١ علي عشري زايد ، عن بناء القصيدة العربية ، مصدر سابق ، ص ٦٨ ٠

٠٢ عدنان حسين قاسم ، التصوير الشعري ، التجربة الشعورية ، وأدوات رسم الصورة الشعرية ، المنشأة الشعبية ، ليبيا ، ط١ – ١٩٨٠ ، ص ١١ ٠

٠٣ سي – دي لويس ، الصورة الشعرية ، ترجمة أحمد نصيف وآخرون ، دار الرشيد ، ١٩٨٢ ، دون ط ، ص ٢١ ٠

٠٤ علي البطل ، الصورة في الشعر العربي ، حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الاندلس ، ط٢ ، ١٩٨١م ، ص ٣٠ ٠

٠٥ مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية ، دار الاندلس ، بيروت ، د٠ط ٠ د٠ت، ص ٣ ٠

٠٦ أحمدالشايب، أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٥ ، ١٩٥٥، ص ٢٤٢

٠٧ سيمون عساف ، الصورة الفنية ونماذجها في إبداع أبى نواس ، المؤسسة الجامعية للدارسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢ ، ص ١٢ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولذلك تعد الصورة من المعايير المهمة ، في الحكم على التجربة الفنية وأصالتها عند النقاد . فعن طريق الصورة يجسد الشاعر رؤيته ، وينقل تجربته ، بفضل ما يمتلكه من خيال ، الذي هو أساس مكونات الصورة وسبب منحها وظيفتها في العمل الأدبي ، لتؤثر صورتها الجميلة على القارىء أو السامع ، بفعل قدرة الشاعر على تشكيل الصورة وتأليفها ، منطلقا من قدراته الإبداعية ، ومن خلال رؤية شعرية تستمد قيمتها ، من تعميق الوعي بالواقع ، الذي يلعب فيه الخيال دورا خلاقا بوصفه منتجا للصورة ، التي هي نتاج الخيال ، وهي كما قيل عنها " ابنة الخيال الشعري الممتاز الذي يتألف عند الشعراء من قوى داخلية ، تفرق العناصر وتنشر المواد ، ثم تعيد ترتيبها وتركيبها ، لتصبها في قالب خاص"(١) والجودة في الشعر لا تقاس بلفظه ولا بمعناه ، وإنما بالصورة التي يكون عليها ".(٢) لأن الشعر " جنس من التصوير".(٣) إن التجربة الشعرية للشاعر تبقى الأساس الذي ينطلق من خلالها في رسم صوره ، وتأليف أجزائها ، ليخلق في وجدان متلقيه استجابة وتفاعلا مع أحاسيسه وتوجهاته . لتكون له منفذا يعمد إليه بعيدا عن التصريح الذي يشكل عائقا أمام قناعاته الشخصية .

نستنتج مما ذكر آنفا ، أن الصورة الشعرية وسيلة راقية ، يستعين بها الشاعر في إظهار معانيه ، وتجسيد عواطفه ، وتقريب أفكاره ، وبذلك يلون الشاعر صوره الشعرية ، بمواقفه الحياتية ، ومشاعره الذاتية ، التي يستطيع من خلالها ، التأثير في المتلقي إيحاء ورمزا .

وعلى الرغم من أن أبا سرور – كما أشرت – شاعر تقليدي إلا أن صوره الشعرية ، استطاعت إحداث استجابة في نفس متلقيها ، لما كشفته من حركة الشاعر النفسية في عدد من قصائده .

---

١. عبدالقادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، نشر بدعم من جامعة اليرموك إربد ، الأردن ، ط١ ، ١٩٨٠م ، ص ١٤ .

٢. أحمد عبدالسيد الهادي ، النقد التحليلي عند عبدالقاهر الجرجاني ، دراسة مقارنة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ١٩٤ .

٣. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) الحيوان ت : عبدالسلام هارون مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٥، ج٣ ، ص ١٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن شاعرنا ليس شاعر صورة مكتضة مقصودة لذاتها ، إنما كان يلجأ إليها بعفوية واضحة ، دون أن يكد ذهنه ، أو يشغل خياله في تشكيلها ، فما جاء في شعره إنما هي صورة عفوية ، كان التشبيه والاستعارة والتشخيص أبرزها ظهورا فيها ، وقد تميزت صوره في بعض نماذجها بالحيوية التي أدت دورها ، داخل السياق العام للقصيدة . ومعظم هذه الصورة جاءت نابعة من أعماق نفسه ، منبثقة عن مشاعر اقتضتها المواقف النفسية للشاعر ، إذ زخرت بحركته النفسية الذاتية . وإن جاءت أغلب صوره متنوعة ومتباينة في تمثلها ، لكنها عبرت عن تمثل حقيقي لمواقفه الفكرية ، وأحاسيسه الذاتية .

ولنا أن نطـــرح بعد ذلك السؤال التالي : ما مصادر الشاعر التي يمتح منها صوره الشعرية ؟

من خلال النماذج التي اختارها الباحث يستطيع القول ، أن الصورة في شعر أبي سرور ، إنما هي مزيج من الواقع بنواعيه الحسي والذهني ، ومن الخيال .

وخلال تتبعي لصور أبي سرور الشعرية ، اتضح لي أنه استوحى أغلب صوره من المصادر الآتيـــة :

١. الحياة ومشاكلها .
٢. الطبيعـــــــة .
٣. المرأة .
٤. الثقافة .

ولست معنيا بتتبع هذه الصورة كلها واستقصائها ، إذ أن طبيعة البحث لا تحتمل ذلك ، وحسبي الإشارة إلى هذه الصور ، لمعرفة مخزون الشاعر الذهني الذي أعانه على تشكيلها ، تبعا للحالة النفسية ، التي تتناسب وكل صورة فيها .

١- لقد كونت الحياة بدقائقها وعلاقاتها المتشابكة والمتداخلة ، فعلا استرجاعيا ، أغنـــى خيـــال الشاعر . وفي هذا الإطار ، يستوقف الدارس لصور أبي سرور الشعرية ، بعض صور العلاقات الإنسانية كالوفاء والصداقة يقول :

من للوفاء وقد رثت أواصره ... أواصر الحب شيء من رواسيه
من للوفاء وقد داست مقدسه ... سوائم الغدر عاثت في روابيـــه
أين الوفاء؟ ويا أين الوفي به ... واحر قلبي ! عزيز في لياليـــه !(١)

---

١. أبو سرور ، ديوان الى أيكة الملتقى ، ص ٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فصور الشاعر حالته النفسية ، إزاء ذلك الأمر ، حين تحدث عن نكث العهد وقطع المودة ٠

وتتكرر إشارة الشاعر لهذه الصور ، في غير موضع ، مجسدا المعنى أحيانا من خلال المرأة ، فيقول :

تكاد الجبال الشم من خدع النسا ... تزول ولا كادت بمكر المنافق
سحرن اللبيب الشهم في حلبة الهوى ... وعذبن مختار الهدى في المضائق
فأدخلنه سجن العزيز ونلنه ... بما لم يلق من مثله في الخلائق
فأين نساء الحب والدين والوفا ... عزيز عزيز غير لؤم مطابق(١)

ويقابلنا الشاعر باسترجاعه للمعنى الذهني المجرد من الصداقة ، الذي يتمثل في المودة والصلة والوفاء للصديق الذي عز هذه الأيام فيقول :

مالي أراك وكنت أنت صديقي ... باعدتني دهرا بكل عقوق
قد كنت من أعددته لنوائبي ... لو عضني ناب الزمان بضيق
لو كان بي جرب لكنت معالجي ... فأنا الصحيح وأنت غير رفيق
علمتني لا أطمئن لصاحب ... أبدا وأن أخشى ثياب شقيقي(٢)

٠٢ واستحوذت الطبيعة على نصيب وافر من صور الشاعر ، فأولاها أهمية خاصة ، فقد مثلت الطبيعة بمظاهرها المختلفة ، الساكنة منها والحية ، الجانب الأكبر من مصادر الصورة الشعرية عنده ٠ إذ حاول رسمها من خلال الطبيعة ، ليقترب من الشاعر الرومانتيكي الذي " يستعين على جلاء الصور بالطبيعة ومناظرها "(٣) ٠ فالشعراء الرومانتيكيون يخلطون " مشاعرهم بالصور الشعرية ، فيناظرون بين الطبيعة وحالاتهم النفسية ٠ ويرون أن الأشياء أشخاصا تفكر وتؤاسي ، وتشاركهم عواطفهم "(٤) فهم يلجأون بالهرب إلى الطبيعة والامتزاج بها، هربا من فساد المجتمع وما يموج به من ظلم وشرور "(٥) وبالتالي جعل الشاعر يعتمد في تصويره على التشخيص ، وهو " وسيلة فنية قديمة ، عرفها شعرنا العربي " والشعر العالمي منذ أقدم عصوره "(٦) من ذلك مايقوله شاعرنا مصورا معاناته ، مجسدا آلامه ، ومشخصا الطبيعة من حوله :

---

٠١ أبو سرور : ديوان باقات الأدب ، ص ١٦٥ ٠
٠٢ ابو سرور : ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٧٨
٠٣ محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، مصدر سابق ، ص ٣٩٢ ٠
٠٤ المصدر السابق ، ص ٣٩٢ ٠
٠٥ علي عشري زايد عن بناء القصيدة العربية ، مصدر سابق ، ص ٨٠ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كم لذت بالأفق لكن ما نظرت به إلا نجومـا حيارى في زوايـاه
ورحت للماء أستسقي ينابعـه فبات ينزف دمعي في قضايـاه
وجئت للطير أشكو ما أكابـده من الحبيب فراعتني شكـاواه
وعذت بالبر خوفا من عواذ لـه فبر لكن بسيل من بلايـاه ...
شكوت للبحر آلامي فجسدهـا زوارقا تتهادى فـي ثناياه
تسير نحو شواطى الحب حاملـة روحي تقلبها ريح وأمـواه
فعانق البحر في أمواج ساحلـه فإنما أنا نشر من طوايـاه (١)

إن ملاحظة هذا الإلحاح على الطبيعة ، بل ومحاولة التوحد معها في البيت الأخير ، يوحي برومانتيكية الشاعر - غير المقصودة - في هذا الموضوع، فالشاعر " يجعل الطبيعة ذاتا ، ومن الذات طبيعة خارجية "(٢) ، لا سيما وهو يمنح صفة الإحساس لهذه الطبيعة حين يشخصها .

٣- ويمزج الشاعر بين المرأة والطبيعة في تصوير جمالها وفرادتها ، وإن كان قد آخذ الصورة من تركيبة تراثية مفادها " أين الثرى من الثريا " فيقول :

شتان ما بين محبوبي وزيفكم أين الثرى من غرامي من ثرياه (٣)

ويتدخل ذوق الشاعر ليرسم لنا صورة أخرى مستمدة من الطبيعة عن جمال المرأة، حين يقول :

أبرق قد تبسم بالبشـارة أبـدر بالرضا يزهو إناره
أفجر مد كفا بالإشـارة إلى شمس تضيء لـه نهاره
أخود بنت ست مع ثمـان سعت لحبيبها تبغي مـراره
بلى تلك التي بالحور تزري وبالقمرين شأنا واستنـاره (٤)

فالبدر والشمس والنجوم والبرق وبياض الفجر من مظاهر الطبيعة التي استعان بها الشاعر لتشكيل صوره ، وفق ما يمليه عليه إحساسه ، ويستثيره خياله ، وهذه الصورة أقرب إلى الصور التراثية منها إلى المعاصرة .

ويجسد الشاعر معاناته الوجدانية ، متلمسا تشبيهاتها من الصور الطبيعية أيضا في صور متلاحقة ، وفي ربط بين حالته الإنفعالية ، وما يتصل بأوضاعه النفسية ، فقد مزج بين مظاهر الطبيعة ومعاناته ، قائلا :

---

١. حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات ، ص١٤٣ .
٢. مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية ، ص ٧ .
٣. حميد بن عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات ، ص ١٤٤ .
٤. حميد بن عبدالله الجامعي ، بقات الأدب ، ص ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما البحر إلا من جوارف أدمعي لولاي لم يك ذا الخضم العاتي
قلبي المبعثر في حنايا موجه قم والتمسني تلف فيه فتاتي
والبحر عذبا كان لولا أن جرت فيه مرارة لوعتي ورفاتي
وإذا رأيت به الكلاء وحوته والدر فهو محبتي وصفاتي (١)

في صور من المبالغة والتهويل ، مما جعل الصورة منفرة ، لم يوفق في اختيارها٠ ويعود ليكرر الصورة ، التي جاءت أفضل من ذي قبل ، ليس لأنها خلت من ذلك المبالغة ، بل لما فيها من ألفاظ عذبة تتناسب ومقام الغزل ، بخلاف الصورة الأولى ، التي جاءت محملة بألفاظ من مثل (جوارف، خضم ، مبعثر ، فتات ، مرارة ، رفات ٠٠) بخلاف هذه الصورة التي جسد فيها حالته الوجدانية قائلا فيها :

كم سمعت الطيور بالروض تشدو ذاك شوقي تشدوه كل أصيل
كم رأيت الرياح تزجى سحابا تلك عمري دقات قلبي العليل
كم تراءيت ساحل البحر يوما إنما البحر أدمع من عويلي
كم أتتك الصبا بذيل ندي ذاك ظني الجميل فيك وقيلي (٢)

ولننظر في هذه الصورة التي استقاها الشاعر من منظر عادي ، ولكنه أكسبها تصويرا جماليا ، فجاءت راسمة لمشهد ، يحسه القارىء ويدركه المتأمل ، حين يقول :

تيها مشيت وما انثنيت لعاشق دنف وصب متعب بهواك
أمشي وراءك ذاهلا متحيرا وكأنني أمشي على أشواك (٣)

وتتميز صور أبي سرور بغلبة الطابع الذهني ، الذي يدخله الشاعر في خياله ، ويجري عليه شيئا من إبداعه ، ويعتمد فيه على عنصر التشخيص وسيلة لإبراز الصورة ، فيقيم مع عناصرها علاقات جزئية ، ويحملها أمورا غير مألوفة، كأن يطلب من النسيم حمل تحياته ، ليبلغ المحبوب بحالته قائلا :

ناجي حبيبي يا نسيم ناجيه يا برء السليم
ناجيه ياروح المنى ناجيه عن قلب سقيم
ناجيه من بين الغصون بعرفها العطر الشميم (٤)

---

١٠ حميد بين عبدالله الجامعي ، الديوان المخطوط ، الغزليات ، ص ١٥٧ ٠
٢٠ المصدر السابق ، ص ١٦٢ ٠
٣٠ المصدر السابق ، ص ١٣٨ ٠
٤٠ أبو سرور : ديوان باقات الأدب ، ص ١٢٨ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعدها يدعو الشاعر النسيم إلى الترفق بالمحبوب ، راسما صورة الحراسة الطبيعية عليه ، إذ هو مثل الوردة المحاطة بسياج من الحماية . فالشوك الذي يحيط بالوردة – الحبيبة – صاحب بأس وسطوة ، يقف حارسا أمينا ، لهذه الوردة عن أن يمسها أحد بسوء ، راسما الطريق التي يسلكها النسيم حتى يقوم بتوصيل رسالته ، فيقول :

واستأمني مـــــــن ورده ... فالورد ذو بأس عظيم
من ضاع في أشواكـــــــه ... بات السقيم من الكلوم
ولتخلصي لسريـــــــره ... بين الزهور ولا ملوم
والياسمين لك الدليل لحضرة ... الحب الكريـــــــم
وترفقي إن تهمســـــــي ... في أذنه باسم السليم (١)

وقد يميل الشاعر إلى التصوير الحسي الذي جاء خاطفا وهو يخاطب المحبوبة قائلا:

أنهليه من كوثر الحب كأســـا ... شرعة الحب والهوى حللته
واطرحيه على ضفاف التهاني ... هضبة الواديين قد أسرتـــه
إن قضاها هناك فهو شهيـــد ... سعد رمانة هنا قتلتـــــه (٢)

وقد يستقي صورته الشعرية من منظر عادي ، يمر به ، كما يمر أي صاحب أسرة ، من ذلك هذه الصورة التي التقطها من واقعه الأسري ، ومنظر أبنائه وهم يحفون به ، تتعالى أصواتهم بالنداء ، يطوفون حوله ، إذا طلب أحدهم شربة ماء تسابق الآخرون يطلبون السقيا غيرة من بعضهم ، فقال مجسدا هذه الصورة وراسما لها :

ولو خلتني يوما وإني بينهـــــم ... لأبصرتني في حمير مثل تبـــــــع
يحفون بي والأنس يغمر مجلسي ... وكل يناديني بصوت تضـــــــرع
يطوفون بي مثل الحجيج بكعبـة ... زحاما وكل ضارع في تـــــــورع
ولو خلتني أسقيهم الماء واقفـــا ... على " الحب " أبصرت العجاب بمجمع
كأني ابراهيم في زمزم الصفـــا ... يسقي ضيوف الله من كل مهيـــــع
فلا يشربون الماء إلا براحتـــي ... جميعا ولا يأتونه في تـــــــوزع
إذا قال فرد أطلب الماء يابـــي ... تسابق كل فاسقني الماء أســـــرع
كمثل القطا إن طار فرد لوجهـة ... تطاير معه الكل فورا بلا وعـــي (٣)

---

١. أبو سرور ، ديوان بقات الأدب ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .
٢. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الغزليات ، ص ١٧٠ .
٣. أبو سرور ، ديوان بقات الأدب ، ص ١٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- وكانت ثقافة الشاعر ذات أثر كبير في تشكيل صوره ، حيث تدخلت هذه الثقافة لتمده بطاقة يستدعيها عند الحاجة إليها . وكان لثقافته الإسلامية الأثر الأكبر في اجتلاب صوره ، مما أعانته على صبغ شاعريته بطابع إسلامي ، مستثمرا ما في القرآن الكريم والمصطلحات الإسلامية ، من صور فنية استعان بها ليلقي بظلال على معالم صوره الشعرية من ذلك قوله :

هذي مساجد ما بنيت من الهوى هي شاهد الإبكـــــار والأسحار
أنا لم أبارح بالصلاة رياضهـــا لم تشك لغوي أو تنـــازح داري
تلك المحاريب التي قد شيـــدت صبري وماء الطين من أبصاري
سل يا مدله تلفني متعلقـــــا تلك الحنايـــــا مدمن استغفاري (١)

حيث جعل من الألفاظ القرآنية والفقهية معادلا لألفاظه وصوره الغزلية .

وقال مصورا طرقات فتاة جاءت إلى بيتـه لبث دعوى قضائية ، فشبه دقها الباب بنقرة الفنان الموسيقي على عوده ، مما يجعل السامع يتصور كيف كان ذلك :

فدقت علي الباب دق مـــؤدب بنقـــرة فنان يداعب مزهـــرا
وقد سلمت تحت الحياء وهينمت بصوت رقيق كالنسيـم إذا جرى
فقلت لمن أهدى السلام تحيتـــي سلام كعرف الفل إن بلـــه الثرى (٢)

ويستثمر الشاعر قصة إسلام " مازن بن غضوبة " الصحابي الجليل فيرسم صورة شعرية لرحلته من عمان إلى المدينة المنورة ، ليعلن إسلامه أمام رسول الله صلى عليه وسلم ، فيصور الشاعر هذه الرحلة تصويرا حيا ، مجسدا حركة الناقة التي حملته إلى تلك الأماكن ، مصورا قوة جريها فيقول :

مضى مشيحا على حرف تجوب به شتى الفدافد لا يخشى ضواريها*
تخلف الريح حسرى أن تلاحقهـــا وتسبق البرق في أدنى مجاريها
يسوقها مزعج الإيمان مسرعـــة من قبل داع من الهادي يناديها(٣)

---

١. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الغزليات ، ص ٤٩ .
٢. أبو سرور ، الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ١٢٧ .
٣. أبو سرور ، ديوان باقات الأدب ، ص ٢١ .

* الحرف : الناقة الضامرة ، والمهزولة ، والعظيمة ، والحرف من كل شيء طرفه ومن الجبل أعلاه الممدد ، وواحد حروف التهجي ، والمراد بـــه هنـــا الناقة ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ٩ ، ص ٤٢ ، مادة (حرف) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنها صورة استمدها الشاعر من ثقافته ومن الطبيعة المتحركة : الناقة – البرق – الريح ، فالصورة : للناقة التي كانت تسرع الخطى ، لأن سائقا داخليا جعلها تحث المسير ، وهو داعي الإيمان ، فرسم لنا منظر الناقة وهي تقطع الفيافي حاملة مازن بن غضوبة ، وقد جعلت الريح غير قادرة على ملاحقتها ، ثم أردفها بصورة أخرى ، وهي صورة البرق الخاطف ، ولكنها أيضا تسبقه بسرعة جريانها . لا ريب أنه تجسيد حي ، حتى وكأن الناقة تتراءى للقارىء أو السامع. فيتصور ذلك الموقف ، ويتجسم أمامه ذلك المشهد ، مما دعا الشاعر إلى مواصلة الصورة ذاتها على لسان الناقة ، متلبسة بلسان صاحبها ، حين قال :

حتى أتت حضرة المختار قائلة الله ربي وحسبي أنت هاديها
آمنت بالله ربا والهدى أبدا دينا وأنت نبي مصطفى فيها
بدت على وجه خير الخلق غايته من السرور وقد أثنى لطائيها (١)

ونجد الشاعر يستخدم – أحيانا – الصور التشبيهية ، التي هي حصيلة معطيات التراث ، استمدها من الطبيعة السمائلية ، رابطا بينها وبين مصادر الجمال عنده ، حين يصف " سمائل " في ذروة شوقه إليها ، فيقابل بين الطبيعة والمرأة ، عاكسا مشاعره النفسية وانفعالاته ، يقول :

هي الروضة الغنا عزيز نضيرها وهل لجنان الخلد شبه بلالبس
أحاطت بها حفظا جبال شوامخ كمثل سوار قد حوى معصم العرس
كما اختطها واد جميل نظامه كمبسم ثغر زانه بارق الضرس
ومنه ترى الأنهار تجري نشيطة لتسقي نباتي ضفتيه على جرس
تهينم في تلك الرياض إذا جرت كهمسة مشتاقين في غفلة الحرس
جنان بها الأشجار والنخل والهنا وما تشتهيه النفس من أيما جنس(٢)

لقد تداعت هذه الصورة في إطار محكوم بالمحفوظ التراثي ، الذي قام بتغذية خيال الشاعر ، في سلسلة من العناصر التصويرية المستمدة من مصادر الطبيعة في صور تشبيهية .

إن أهم ما يسترعي الانتباه في شعر أبي سرور ، هو نزوعه إلى تصوير الواقع النفسي ، كما هو في بساطة وسلاسة ، دون اعتماد على المحسنات البديعية من جناس وطباق ونحوهما ، ودون إغراب في الخيال ، إنه تصوير حي منتزع من

---

١. حميد بن عبدالله الجامعي ، باقات الأدب ، ص ٢١ .
٢. المصدر السابق ، ص ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عالم الأحياء ، تقاس فيه الأبعاد والمسافات بالمشاعر والوجدان ، فيصور الشاعر حالته النفسية ، وهو يكتب رسالة إخوانية ، كيف فاضت عبراته وسالت دموعه على القرطاس الذي يكتب فيه ، قائلا :

جار الزمان مفرقا أجسامنـــا ... إلا الصبابة ما استطاع تبابها
لم أنس تقديمي تحيـة نـــازح ... تجلو كهولة حالتي وشبابهـــا
لكنني ما اسطعت من أثر النوى ... نطقا وعيني ما أسح سحا بها
ما رمت أسبك باليراع جمانـــة ... إلا وأسرع مدمعي فأذابهـــا (١)

ويصور الشاعر معركة (اكتوبر ١٩٧٣) واصفا احتدامها ، وراسما لها لوحة فنية أحتوت أدق تفاصيل القتال ، وصولات الرجال ، فيقول :

وتراسلت نحو السما أبطالنـــا ... بالطائرات لها الفنا أمطـــار
والبحر يمخر بالقتال عبابـــه ... ودم الوغى طوفانه والنـــار
والبر مما فوقه متضائـــق ... والكون من هول الوغى محتـار
وصوارخ مازال تعترك الوغـــى ... مع طائرات يهود مهما طـاروا
فإذا بدا سرب تلقى نسفـــه ... سرب صوراخ كلهن دمـــار
فكأن أبواب الجحيم تفتحـــت ... وتغيظت وعلا لها إسعـــار
فمن الثرى حتى السماء تصاعدت ... نار تلظى صوتها هـــدار
بحر من النيران هاج سفينـــه ... دبابة طيارة طيـــار
ومدافع وصوارخ وقنابـــل ... وفيالق ضاقت بها الأقطـــار
فكأن يوم الحشر بعض مشاهـد ... منه ولكن للجحيم يصـــار(٢)

ويصور خط " بارليف ، " الذي دمره المقاتل العربي بقوله :

ما خط برليف على غلوائـــه ... في أين أمسى هل له آثـــار
قد كان يحكي سد ذي القرنين في ... غلوائه فإذا به ينهـــار
فكأنه أحلام نوم مريضـــة ... لعبت بها الأسقام والأسحـار
أو أنه مثل الخيال لشاعـــر ... لعبت على أفكاره أفكـــار
مثلا بقى يقرا وليس لشخصـــه ... عين تـرى آثارها الأبصـار (٣)

ولم يتجه أبو سرور إلى الصورة الشعرية والزخرفة اللفظية بشكل مقصود لغايتها ، بقدر ما كان يستعين بها لتعميق حالة شعورية ، وتمثيل موقـف

---

١. أبو سرور ، ديوان بقايا الأدب ، ص ٨٩ .
٢. المصدر السابق ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .
٣. المصدر السابق ، ص ١٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفسي ، فجاءت الصورة عنده مؤدية لما أنيط بها من دور ، فحين وصف حمامة بريئة وقعت فريسة للمكر والخديعة ، رسم صورة الضياع وما تضمنه من أسى ومكابدة قائلا :

أسيرة عش قد تورم ريشها | كأن بها داء وخيما ومجتوى
إذا فتحت عينا تغمض أختها | كمنبتة قد آيست تبصر الصوى
فآوت الى ظل من اليأس ليلة | ولا ترتجي إلا القضا يرسل التوى
وما فتحها عينا وإغماض أختها | سوى كوداع للحياة لما لوى
فليس لها إلا لناب ومخلب | مقر ورأس الموت في رأسها استوى(١)

إنها صورة الحمامة الوديعة التي حاول الشاعر على امتداد قصيدته أن يرسم صورة ضياعها ، فكان أن صور تلك الحالة ، بمن يفتح عينا ويغمض أخرى ، إنها صورة مستمدة من حالة واقعية ، تعكس مدى الشعور بالألم والاضطهاد . إن تصوير الوطن - الشاعر - بالحمامة الوديعة وتجسيده للواقع ، الذي يصور خبث المستعمر وخسته ، إنما هو تصوير تقليدي سبقه إليه الكثير من الشعراء .

ويستخدم أبو سرور الصورة الرمزية ، وسيلة للتوصل إلى آفاق فكرية، ورؤى تأملية ، يتجلى فيها تعلق الشاعر بالقصة الرامزة ، لتقوم بعبء التعبير عن تجاربه وآرائه ، وتوصيلها إلى المتلقين في صورة تجريدية . ولكن هذه الصورة الرامزة جاءت لتكريس ظرفه وواقعه الذي يفرض عليه ذلك. وإلا فإن شاعرنا لا تتسرب إليه هذه الظاهرة إلا عند الاضطرار إليها ، رغبة في نقل مشاعره وصور أحاسيسه ، حين اتخذ الغزل أو القصة الغزلية وسيلته لإيصال أفكاره ، يقول :

لطفا بعاشقك الطريح صليه | فلطالما قال البعاد صليه
أسمعت فيه وشاية من حاسد | إن كان قصدك تركه فسليه (٢)

إلى أن يقول راسما صورة هذا العاشق الذي أصبح في عالم التيه :

وسعى كقيس ليس يملك رشده | في غابة الحساد دون نبيه
رأت النوى ما فيه قد فعل الهوى | فبكت وكان بكاؤها يبكيه
نظرته عين الكيد من حسده | ووشت به الرقبا إلى قاليه
فتآمروا ليجرعوه حتفه | فأبت أيادي السعد من باريه
أوحت إلى روح السعادة رحمة | ألقيه في يم الرجا ألقيه (٣)

---

١. أبوسرور : ديوان بقايا الأدب ، ص ١٥١ .
٢. المصدر السابق ، ص ٣٤ .
٣. المصدر السابق ، ص ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذ عن طريق هذه الصورة استطاع الشاعر تجسيد أحاسيسه وتشخيص خواطره ، وكشف رؤيته الخاصة ، وهذه القصيدة تشكل نوعا من الصورة الممتدة التي تكتنف أبياتها كلها ، في مشهد تصويري ، ضمن صورة كلية امتدت عبر القصيدة.

وهكذا نرى أن القصيدة قد تحولت إلى وعاء يحمل تجربة شعورية ، اضطرمت فيه العواطف وتلاحمت ، مكونة نسيجا أفصح عن مكنونات الشاعر تارة ولعله أخفق تارة أخرى ، وهي في كل الأحوال تعبر عن ذات الشاعر، وإن أخفقت في تبيان حالته فجاءت باهتة لم يوفق في رسمها وذلك مثل قوله :

لوحل شرعا أكل لحمي في القرى لشويته أكلا لضيف مقامي
فأنا المقصر في الأحبة دائمـــــا والله يستر حالتي بســـلام (١)

إذا لا يخفى ما في هذه الصورة من تجسيد تأباه النفس وترفضه الفطرة السوية ، وإن كان الشاعر أراد منها المبالغة في إكرامه للضيف .

---

١. حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان الى أيكة الملتقى ، ص ٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التشكيل الموسيقى

الموسيقى عنصر أساسي من عناصر الشعر ، وأداة من أبرز الأدوات التي يستخدمها الشاعر في بناء قصيدته "(١) ، وهي من أبرز مقومات القصيدة ، إذ حظيت باهتمام بالغ إلى الحد الذي جعلهم يعرفون الشعر بأنه " قول موزون مقفى يدل على معنى "(٢) ويعد من أكثر الفنون ارتباطا بالموسيقى وقربا منها " فليس الشعر في الحقيقة إلا كلاما موسيقيا ، تنفعل لموسيقاه النفوس ، وتتأثر بها القلوب "(٣) .

ولذلك فان الشاعر يتوسل إلى هذه الموسيقى الشعرية ، لينقل ما يدور في نفسه ، ويجيش في خاطره ، لارتباط طبيعة الشعر بموسيقى الألفاظ . فالألفاظ تبقى عاجزة عن إبراز تجربة الشاعر ، مما يجعله يتوجه إلى اللحن ، ليبرز ما عجزت الكلمات العادية عن إظهاره .

ومن هنا يأتي تعدد بحور الشعر العربي لتمثل التنوع في موسيقاها ، وبالتالي تتيح للشاعر التعبير عما اختزنته ذاكرته ، ووعاه عقله ، ليختار اللحن والإيقاع المناسب " فأوزان تتسم إيقاعاتها بالتنوع والطول ، وأخرى تتميز بالهدوء والرتابه ، وثالثة بالخفة والتوثب ، وأخرى قصيرة الإيقاع "(٤) .

تتم دراسة موسيقى القصيدة من زاويتين ، وضمن مستويين ، يكمل بعضهما بعضا ، إذ أن موسيقى القصيدة قسمان خارجية يحكمها العروض وحده ، تتمثل في الوزن والقافية " وداخلية تحكمها قيم صوتية باطنية ، وهي أوسع من الوزن والنظام المجردين "(٥) .

---

١. علي عشري زادي ، عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، ص ١٦٢ .

٢. قدامه بن جعفر ، نقد الشعر ، ت د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، بيروت ، د.ط .د.ت ، ص ٦٤ .

٣. ابراهيم انيس ، موسيقى الشعر ، دار القلم ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٢،ص٢٢ .

٤. محمد علي سلطاني ، العروض وموسيقى الشعر العربي ، دمشق ، ١٩٨٢م ، ص ٩

٥. شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، نقلا عن لامبورت Lambort ، في كتابه أسس النقد ، دار المعارف ، ١٩٦٥ ، ط٥ ، ص ٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ١ - الأوزان

يعد الوزن في الشعر العربي العنصر الرئيس من عناصر الشعر ، إذ أنه يشكل " أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية "(١). والوزن في الشعر العربي " هو مجموعة التفعيلات التي يتألف منها البيت . وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة " (٢) . وهو " صورة منضبطة من صور الإيقاع "(٣) إذ أنه شكل من أشكال الإيقاع المعتمد على مجموعة من المقاطع الصوتية المتشابهة في كل بيت " أي أن القصيدة تتألف من أبيات يحتوى كل بيت منها على مجموعة من المقاطع ، هي نفس مقاطع الأبيات الأخرى عددا وترتيبا "(٤) .

وقد حاول بعض الدارسين ونقاد الأدب في العصر الحديث كما فعل ذلك بعض القدماء أن يجدوا علاقة تربط بين الأوزان والأغراض الشعرية ، فهذا أحد النقاد القدماء يقول : " ومن تتبع كلام الشعراء في جميع الأعاريض ، وجد الكلام الواقع فيها تختلف أنماطه بحسب اختلاف مجاريها من الأوزان ، ووجد الافتتان في بعضها أعم من بعض . فأعلاها درجة في ذلك الطويل والبسيط . ويتلوهما الوافر والكامل ... "(٥) .

غير أن التعرض للعلاقة بين الوزن وموضوع القصيدة ، أمر لم يحسم، ولم يتفق عليه لا في القديم ولا في الحديث ، وإن كنا نجد من ربط بين الأوزان وبين المعاني النفسية وحالاتها كقول أحد النقاد " ولما كانت أغراض الشعر شتى ، وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة ، وما يقصد به الهزل والرشاقة ، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم ، وما يقصد به الصغار والتحقير ، وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان يخيلها للنفوس ..."(٦).

---

١. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق القيرواني ، ت . محمد قرقزان ، ج١ ، ص ٢٦٨ .
٢. محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، ص ٤٣٦ .
٣. تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، د. عباس علوان ، ص ٢٢٦ ، منشورات وزارة الاعلام العراقية ، ١٩٧٥ .
٤. مصطفى جمال الدين ، الإيقاع في الشعر العربي ، من البيت إلى التفعلية ،النجف الأشرف ن ط٢ ، ١٩٧٤ ، ص ٧ .
٥. حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط٣،١٩٨٦ ، ص ٢٦٨ .
٦. المصدر السابق : ص ٢٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن خلال استعراض أوزان القصائد القديمة وأغراضها ، نجد أن الربط بين موضوع الشعر ووزنه ، لا يشكل مقياسا حقيقيا دقيقا ، فليس هنالك علاقة بين مضمون القصيدة وغرضها ، وبين البحر الذي نظمت فيه ٠ وممن حاول الربط بين الغرض والوزن من المحدثين ، سليمان البستاني في مقدمته لإلياذة هوميروس (١) ٠وعبدالله الطيب في " المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها " (٢) أو البحث في العلاقة بين الوزن وعاطفة الشاعر مثل ما فعل الدكتور ابراهيم انيس في " موسيقى الشعر " (٣) أما الدكتور محمد مصطفى هداره في كتابه " اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري " والدكتور شكري عياد في " موسيقى الشعر العربي " فقد ردا هذه الآراء إذ يقول د٠ هدارة " الحقيقة أن محاولة تثبيت لون واحد لوزن من الأوزان ، جهد ضائع ، لأن الوزن وحده لا يمكن أن يضفي على الشعر لونا معينا ، ولكن جميع عناصر الشكل تتحد في إعطاء القصيدة لونها، سواء أكان هذا اللون صارخا تشيع فيه الفتنة ، ويتأجج بالشهوة ؛ أم كان هادئا يتسم بالجد والرزانة "(٤) ٠

وهنا يهمنا أن نؤكد القول ، أننا لا نستطيع أن نتخذ من الآراء القائلة بوجوب الصلة بين الغرض الشعري والوزن أمرا مسلما به ، فهو لا يخلو من مآخذ ، وذلك " حيث لا تستطيع أن نقنن الشعر وأغراضه من خلال ذلك المقياس فالشاعر – وهو ينظم شعره لا يعد الوزن والقافية مسبقا ، فقضية العلاقة بين

---

١٠ سليمان البستاني ، إلياذة هوميروس ، معربة نظما ، مصدرة بمقدمة في هوميروس وشعره ، وآداب العرب واليونان ، بقلم سليمان البستاني ، مطبعة الهلال بمصر ، ١٩٠٤م ص ٨٩ – ٩٧ ٠

٢٠ عبدالله الطيب المجذوب : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، مصر، ط١ ، ١٩٥٥م ، ج١ ، ص ٧٤ ٠

٣٠ د٠ ابراهيم أنيس ، موسيقى الشعر دار القلم ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٢م ص ١٩٣ ٠

٤٠ محمد مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ط٣/١٩٨١م ، ص ٥٧١ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اختيار غرض القول أمر لا يمكن أن يحد بمعطيات محكمة فيه ٠ فدراسة الأعمال الشعرية لكثير من الشعراء، بما فيها هذه الدراسة لأبي سرور ، بينت أن أي بحر عروضي قابل لئن يحتضن القصيدة ، في كل غرض من أغراضها ٠

إن استقراء شعر أبي سرور ، يظهر مدى التزام الشاعر بأوزان الشعر العربي ، وما يفرضه عليه هذا الالتزام ، من نمط موسيقي يجعله شاعرا محتذيا لأوزان الخليل وبحور الشعر العربي ٠ فتقيد بهذه الأوزان ، وحافظ على قيود القدماء العروضية ، إلا أنه لم يستخدم البحور الستة عشر كلها ٠ فمن خلال تتبع قصائده نجد أن أغلبها نظمت على بحر البسيط والكامل والطويل والخفيف والوافر ٠ فقد نظم إحدى وسبعين قصيدة على بحر البسيط ، أي بنسبة قدرها ٢٤٪ وهي تقارب ربع قصائده ، وكان البحر الكامل في المرتبة الثانية ، وبلغت قصائده ما يقرب من اثنتين وخمسين قصيدة ، وشكل ما نسبته ٥و١٧٪ ، وجاء البحر الطويل في المرتبة الثالثة فاحتوى على خمسين قصيدة ، وكانت نسبته ٥و١٦٪ ، أما البحر الوافر والخفيف فقد جاءا في المرتبة الرابعة ، وكانت نسبة كل منهما ٨٪ ، وجاء المتقارب والسريع في نسبتين متقاربتين ، حيث بلغت نسبة البحر المتقارب ٣و٤٪ بينما بلغت نسبة السريع ٤و٣٪ ، وقل نظم الشاعر على بحر الرجز فكانت نسبته ٧و٪ ٠

ومن خلال الإحصائية لقصائد أبي سرور وأوزانها نستنتج أن الشاعر قد حصر أوزانه الشعرية في ثمانية بحور من أوزان العروض العربية وهي : البسيط والكامل والطويل والوافر والخفيف والمتقارب والسريع والرجز ٠ وهذه الأوزان تساوي نصف الأوزان العروضية ، فجاءت قصائده ، متنوعة في أوزانها على هذه البحور الثمانية ، في حين انحسرت عنده البحور الثمانية الأخرى ٠ وهي : المديد والهزج والرمل والمنسرح والمضارع والمقتضب والمجتث والمتدارك ٠

أما بالنسبة لدوائر الشعر العربي ، فقد احتلت دائرة المختلف المرتبة الأولى ، واختار منها بحري الطويل والبسيط ، فشكلت نسبتهما ٥و٤٠٪ من قصائد الشاعر ٠ ثم تأتي دائرة المؤتلف (الوافر والكامل) اللذين جاءا في المرتبة الثانية وشكلا ما نسبته ٥و٢٥٪ واختار البحر الخفيف من دائرة المشتبه ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمتقارب من دائرة المتفق ، أما دائرة المجتلب فقد نظم في بحر الرجز منها ، وإن كانت نسبتها ضيئلة جدا ، أي أن الشاعر قد نظم قصائده على جميع دوائر الشعر العربي ٠

ومن خلال تتبع أوزان قصائد الشاعر نجد أن أغلبها نظمت على البحور الخمسة التالية وهي : البسيط والكامل والطويل والوافر والخفيف ، والسؤال الذي يطرح ، لماذا كان أكثر القول على هذه البحور دون غيرها ؟

إن مجيء معظم أوزان قصائد الشاعر على هذه البحور ، ينسجم مع ما هو متعارف عليه من شيوع بحر : الطويل والوافر والكامل والبسيط والمتقارب في الشعر العربي القديم – وذلك مأخوذ من دراسة إحصائية حول دواوين أربعين شاعرا جاهليا ، خرجت على أن البحور الشعرية التي تحتل المرتبة الأولى من أوزان الشعر العربي القديم هي البحور الخمسة السابقة (١) ٠

وقد أظهرت الدراسة الأحصائية لنسبة الأوزان في شعر أبي سرور ، بأنه لم يخالف هذه النسبة إلا في البحر المتقارب ، إذ كان الخفيف أكثر نسبة منه حيث شكل ما نسبته ٨٪ بينما وصلت نسبة المتقارب عنده ٣و٤٪ فقط ٠

والتفسير الوحيد الذي يركن إليه الباحث في هذه المسألة أن الشاعر كان شديد التأثر بقدماء الشعراء ، فقد حفظ لهم شعرا كثيرا يعد من العيون ٠ ومن المؤكد أن تلك العيون كانت مبنية على ما أشير إليه أعلاه من بحور سائدة ٠ لذلك فإن حفظ الشاعر لتلك القصائد ، كون لديه أذنا موسيقية ، بل وملكة عروضية مبنية على تلك البحور دون غيرها ٠ حيث أكد على تلك البحور نظرا لما تشكله من غلبة على بحور الشعر العربي من ناحية ، واستثمارا لما اختزن في ذاكرته ، وعلق في شعوره اللاواعي من هذه البحور الفخمة ، التي دارت على ألسن الشعراء ، واشتهرت بها عيون القصائد العربية ٠

وهنا استمد الشاعر هذه الأوزان بما تيسر من اختزان وتغن بإيقاعاتها ، فظهرت هذه الأوزان الثمانية التي طالعتنا بها قصائد شاعرنا ، لتشكل أحد الركائز

---

١٠ انظر محمود عبدالله الجادر ، شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، دراسة تحليلية ، دار الرسالة ، بغداد ، ١٩٧٩م ، د٠ط ، ص ٥٠٨ الهامش(١)٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التراثيـة ، التي تواصل من خلالها الشاعر ، وهو ينظم قصائده ، ويختار ألحانها ، ويوزع إيقاعاتها ، فتراءت لنا اصوات شعراء سابقين في ثنايا قصائده ، حيـن ردد أوزانهم وقوافيهم ، كما أشرت إلى ذلك في دراستي لأثر الشعراء السابقين على لغته الشعرية • فظهرت في قصـائدة صـور لأمهـات القصـائد فـي الشـعر العربـي قافية ووزنا ، من ذلك قوله :

شفـاء بـــه تشفـــى العلـــى والمكـــارم (١)

وقولـه : على أسس التقوى تشاد المحاكم (٢)

حيث يذكرنا فيها بقصيدة المتنبي التي مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم (٣)

فإنها جاءت محتذية في تقاطيعها الموسيقية لمطلع قصيدة المتنبي حركة بـأخرى • وهكذا في قصائده الأخرى التي تمثل فيها تلك الأوزان ، نتركها تلافيا للتكرار •

علـى أن احتفـال الشـاعر بـأوزان دون غيرهـا ، لا يعنـي بطبيعـة الحـال صعوبة البحور المنحسرة من شعره ، والملغاة من قاموس قصائده العروضـي كمـا أن ارتياده لهذه البحور لا يشكل مقدرة وبراعة ولا رغبة منه فـي عـرض مهارتـه العروضية في مثل تلك البحور ، وإن كانت " مقدرة الشاعر الفنيـة وثقافتـه تتدخـل في اختياره لطبيعة الأوزان التي يستخدمها "(٤) •

ومما يلحظ في أوزان الشاعر وأغراضه الشعرية ، أنه لم يخصص وزنا بعينه لغرض معين ، إذ نظم على بحر واحد عددا من الأغراض ، كما أن الغرض الواحد نظمه على عدة بحور شعرية ، فالغزل نظمه في البحور التالية :

الخفيف والبسيط والطويل والكامل والمتقارب والوافر والسريع ، أمـا الرثـاء فقد انتظمته البحور التالية :

١• أبو سرور : ديوان باقات الأدب ، ص ٨٢ •

٢• أبوسرور : الديوان المخطوط ، الاجتماعيات ، ص ٢١ •

٣• أبو الطيب المتنبي : ديوان ابي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ، ج٣ ، ص ٣٧٨ •

٤• د• ابراهيم السعافين ، مدرسـة الاحيـاء والتراث ، دراسة في أثر الشعر العربي القديم على مدرسة الأحياء في مصر ، دار الأندلـس للطباعـة والنشر ، ط١ ، ١٩٨١م ، ص ٤٣٣ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخفيف والرجز والكامل والوافر والطويل والبسيط ، كما انتظمت قصائده الوطنية والقومية ضمن البحور التالية :
البسيط والطويل والكامل والمتقارب والوافر والخفيف والسريع ٠

من ذلك نستطيع أن نؤكد أن الشاعر لم يكن يلتزم بحرا معينا لقصيدته، بل إن الوزن يأتي لاحقا لا يضعه الشاعر مسبقا ٠ ولكنه على الرغم من أن الشاعر ، قد نظم بحورا متنوعة في أغراض شتى ، إلا أن الباحث يستطيع التأكيد على اختلاف نغمات هذه البحور ، حين يميز الشاعر في مفرداته وألفاظه بين قصيدتين من بحر واحد ، وفي غرضين مختلفين ، كأن تكون الأولى في الرثاء والثانية في الغزل ، بما تمنحه كلماته من دلالات صوتية وإيقاعية ، تتوزع أركان القصيدة ، مفرقة بين غرض وآخر ٠ فتتجاوب الألفاظ والعبارات والتراكيب مع الغرض المقصود ٠ فإن كانت القصيدة ، حماسية سادتها ألفاظ الحرب والثبات والبنادق والسيوف وصليلها ، والشجاعة وألفاظها والقتال ومفرداته، بينما يعمد الشاعر إلى حشد ألفاظ الرقة والسلاسة واللين في قصائده الغزلية ، وبذلك يميز الشاعر بين غرض وآخر وإن اتفقا في الوزن ، إلا أنهما يختلفان في إيقاعات الكلمات ودلالات الألفاظ وتساوق التراكيب ٠

وملاحظة أخيرة جديرة بالذكر بخصوص الأوزان في قصائد شاعرنا وهي قلة المجزوءات في شعره ، إذ لم تتعد ثلاث قصائد في مجزوء الكامل ، وثلاثا أخرى من مجزوء الوافر ، ولعله في ذلك ينهج نهج الشعراء القدامى الذين تأثر بهم ، فهم غالبا ابتعدوا عن المجزوء من البحور ، ولم تبسط هذه الأوزان سيادتها إلا على يد الشعراء المولدين ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- القافيـــــة

تعد القافية ركنا مهما من أركان الشعر ، إذ أنها شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية "(١) وقد اختلف العروضيون في تحديد القافية إذ ذهبوا في ذلك مذاهب شتى ، فقد عد بعضهم البيت كله قافية ، وجعل بعضهم الكلمة الأخيرة هي القافية ، بينما جعلها الخليل : المقطع المحصور بين آخر ساكن وأول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن الأول ، في حين جعل بعضهم القافية حرف الروي في القصيدة (٢) .

والذي نقصده بالقافية لأغراض هذه الجزئية من المبحث هي الحرف الأخير الذي أقيمت عليه القصيدة ، دون الدخول في تفاصيل تعريف القافية التي وردت عند قدماء العروضين الذين تصدوا لدراسة هذا الموضوع .

وشاعرنا التزم القوافي العمودية في أغلب قصائده ، وامتدت جذور قافيته إلى تراث الشعراء العرب الذين كانوا يبنون أغلب شعرهم بناء متحد القوافي .

وقد توزعت قصائد الشاعر بين القوافي المطلقة والقوافي المقيدة ، قال ابن رشيق " إن الشعر كله مطلق ومقيد ، فالمقيد ما كان حرف الروي فيه ساكنا ، وحرف الروي الذي يقع عليه الإعراب ، وتبنى عليه القصيدة ، فيتكرر في كل بيت وإن لم يظهر فيه الإعراب لسكونه ، وليس اختلاف إعرابه عيبا كما هو في المطلق إقواء ...."(٣) .

وقد قيد أبوسرورمن قوافيه ثلاثين قصيدة من أعماله الشعرية التي بلغت مائتين وسبعين قصيدة ومقطوعة (٤) أي بنسبة مقدارها ١١٪ بينما بلغت قوافيه

---

١. ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٢٩٤/١ .

٢. انظر هذه الآراء في ابويعلي عبدالباقي بن الحسن التنوخي ، كتاب القوافي، ت : عمر الأسعد ، ومحيي الدين رمضان ، دار الارشاد بيروت ، ط١ ، ١٩٧٠م ص ٥٩ ، وابن رشيق القيرواني في العمدة : ... ٢٩٤/١ وما بعدها .

٣. ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ... ٢٩٨/١ .

٤. تم الإحصاء من خلال ديواني الشاعر : باقات الأدب ، والى أيكة الملتقى ، إضافة الى مخطوطة ديوان الشاعر الجديدة ، ولم تدخل في ذلك قصائده الجديدة الأخرى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلقة مائتين وأربعين قصيدة وبنسبة مقدارها ٨٩٪ . وهذه النسبة يمكن للباحث أن يستنتج منها ، أن نسبة القافية المقيدة كانت محدودة بالقياس إلى نسبة القافية المطلقة . وهذه النسبة في حد ذاتها تتوافق مع ما ذهب اليه الدكتور ابراهيم أنيس في قوله :

" وهذا النوع من القافية قليل الشيوع في الشعر العربي ، لا يكاد يجاوز ١٠٪ "(١)

ومما يلحظ على قوافيه المقيده أنها جاءت متنوعة ، فقد يسبقها بمد مثل قوله من المتقارب :

جننت بحبك بين الورى ... وأصدق حب أتى بالجنون
فإن يدع المدعون الهوى ... تلقوه فنا فعندي فنون (٢)

أو قوله من المتقارب أيضا :

وإياك عمرك يفنى سدى ... فساعة أهل النهى جوهره
وكم من جواهر ضيعتها ... لتربأ بعمرك أن تخسره
فدعني وشأني وشرع الهوى ... ودونك شأنك مهما تره (٣)

وعلى الرغم من أن قافية هذه القصيدة مقيدة ، لكن ذلك لم يمنع تساوق الموسيقى الداخلية مع الموسيقى الخارجية ، فقد منحتها الهاء الساكنة طاقة موسيقية تآلفت مع تكرار بعض الحروف المتشابهة والمتجانسة ، مثل حرف الهاء نفسه ، والواو ، والنون ، وهذا ما يبدو واضحا في البيت الثالث الذي تجاورت فيه القوافي الداخلية مع تجانس الحروف فمنحته نغما موسيقيا معبرا .

وهناك من قام باستقراء شيوع حروف القوافي في الشعر العربي ، فصنفها في أربعة اقسام هي : (٤)

١. حروف تجيء رويا بكثرة وان تباينت نسبة دورانها في قصائد الشعراء وهي " الراء ، اللام ، الميم ، النون ، الباء ، السين ، العين).
٢. حروف متوسطة الشيوع وهي (القاف ، الكاف ، الهمزة ، الحاء ، الفاء ، الياء ، الجيم) .
٣. حروف قليلة الشيوع وهي (الضاد ، الطاء ، الهاء ، التاء ، الصاد ، الثاء)
٤. حروف نادرة في مجيئها رويا (الذال ، الغين ، الخاء ، الشين ، الزاي ، الظاء ، الواو) .

---

١. د. ابراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ص ٢٨٩ .
٢. أبوسرور : ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٥٣ .
٣. أبوسرو : ديوان باقات الأدب ، ١١٥ .
٤. د. ابراهيم أنيس : موسيقى الشعر ، ص ٢٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد سعى البحث إلى الإفادة من نتائج هذه الإحصائية في الأعمال الشعرية لأبي سرور ، فوجدها على النحو التالي :

١- أن الشاعر قد نظم قوافيه على عشرين حرفا ، وقعت رويا في شعره ، ويكثر من استخدام بعض الحروف ، فتكون نسبة دورانها في شعره كبيرة ، كحرف الراء الذي شكل ما نسبته ٢٠٪ من شعره ٠

٢- تركزت قافية الشاعر على الحروف التالية ، مرتبة وفق عدد القصائد التي نظمت عليها وهي :(الراء ، وكانت لها السيادة في شعره ، وهي كما أشرت تشكل ٢٠٪ منه ، ثم الدال وشكل ما نسبته ١٤٪ ، بينما بلغ حرف النون ، ٨و١٢٪ ، أما حرف الميم فكانت نسبته ٢و١١٪ ، وحرف الياء نسبته ٨و٨٪ ، بينما بلغ حرف اللام ٨٪ ، وهذه الحروف مجتمعة تشكل ما يزيد على نصف قصائد الشاعر ٠

إن هذه النسبة العالية لمجيء هذه الحروف رويا ، تتفق وما ذهب إليه الدكتور ابراهيم أنيس مع اختلاف بسيط في ترتيب نسبة شيوعها في شعره ٠

٣- تدنت نسبة حروف الجيم والزاي والسين رويا وكانت من الندرة بحيث لم نجد إلا قصيدة واحدة على كل من هذه الحروف ٠

٤- والملاحظة التي يمكن لنا أن نخرج بها أيضا أن الشاعر لم ينظم على حروف ثقيلة ، حيث خلت قوافيه من حروف الذال والطاء والغين والخاء والثاء والصاد والشين والظاء ٠

أما بالنسبة لدوران حركة حرف الروي في القصائد المطلقة ، فقد بلغت جملة قصائده ذات المجرى المكسور تسعين قصيدة ، وبلغت نسبتها ٣و٣٣٪ من قصائده ٠ وهي تقارب ثلث أشعار أبي سرور ، وهي ذات النسبة التي توصل إليها أحد الباحثين في شعر أحمد شوقي (١) ٠

أما القصائد ذات القافية المفتوحة ، فبلغت ثلاثا وثمانين قصيدة ، وكانت نسبتها ٣٠٪ من شعره ، وهي تقترب من الثلث أيضا ٠ بينما بلغت القافية ذات

---

١٠ محمد الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات ص ٣٩ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجرى المضموم سبعا وستين قصيدة ، أي ما يعادل ٨و٢٤٪ ، وهي ما يقارب ربع أعماله الشعرية ، وهذه النسب تقترب مع نسبة ، شعر أحمد شوقي (١) .

ومما وجده الباحث في قوافي شعر أبي سرور ، هو بعض التنوع الذي أوجده الشاعر في عدد من قصائده (أناشيده) ، فعلى الرغم من محافظة الشاعر على أوزان الخليل ، والقوافي العروضية ، إلا أننا لا نعدم الوقوف على بعض التجديد القافوي ، الذي أحدثه في مجمل أناشيده الوطنية والقومية ، كنشيده " عمان الكفاح " الذي يجدر بنا إثباته كاملا ، لنلاحظ مدى العناية بالموسيقى الداخلية ، والتجديد الذي أحدثه في القافية ، فمعظم أناشيده صاغها على هذا النمط ، فهي تصلح للغناء والإنشاد ، وربما ولم يغب هذا الهدف عن الشاعر ، وهو ينظم هذه الأناشيد ، لا سيما أنه كان معلما ، ويمتلك حسا وطنيا ، يقول في نشيده هذا :

بجد وإخلاصك المؤمـــــن | بسوط وخنجرك المنحنـــي
ببيض حداد مواضي الشـــبا | برمح يصوب للخائـــــن
سنبني " عمان " سنبنى العلـى | ونحمي الشريعة لا تنثنـــي
أتجهل دار العلـى دارنـــــا | عمان الكفاح عمان القنـــا
 | عمان البطولة والســـؤدد
فإن كنت غرافسل جارنـــــا | وسائل عن الموت بتارنـــا
 | مخافة نفنيك قبـل الغـــد
 | فنحن الحياة ونحن الفنـــا
أبدنا القرون ولا ضارنـــــا | وكان جنان العدى نارنـــا
 | وكان لنا النصر لـم يجحد
 | فحاذر والإ لقيـت الفنـــا
إذا ما غضبنا رأيت الزمـان | حزين الملامح يخشى عمان
 | فمهما تصالح فدهري أمـان
 | فصالح وحاذر لئن تفتنـــا
لتمضي عمان وأشبالهـــا | تشيد ما شاء أجيالهـــــا
 | تصدق للقول أفعالـــــها
 | وتسمو سموا ولا تنثنـــى (٢)

---

١. محمد الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب ، في الشوقيات ، ص٣٩ .
٢. أبو سرور : ديوان الى أيكة الملتقى ، ص ٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالشاعر لم يتجه إلى هذا التنويع في القافية عجزا عن توحيدها وإنما كان ذلك نتيجة طبيعية للصوت الجماعي ، الذي ينتظم هذه القصيدة (النشيد) كسرا للرتابة الإيقاعية ، بما يذهب السأم والملل ، ويدعو إلى المتابعة ، فتنوعت القافية بين النون المكسورة والنون المفتوحة ، والدال المكسورة واللام المتصلة بالهاء المفتوحة ، وهذه سمة تغلب على أناشيده الوطنية المتسمة بتنوع قوافيها وسرعة موسيقاها .

ومع تمكن شاعرنا من قوافيه ، ومجيئها سلسة إلا أنه وقع في بعض عيوب القافية ، وأكثرها ظهورا عنده ، هو عيب " الإيطاء " وهو " رد كلمة قد قفي بها مرة "(١) وقد ورد عنده هذا العيب المتفق عليه عند العروضيين أكثر من ثماني مرات ، كأن يكرر الكلمة المقفي بها بعد خمسة أبيات (٢) أو أن يكرر القافية بعد أربعة ابيات ، كتكراره لكلمة " ميمونا " (٣) أو تكرارها بعد ثلاثة ابيات وهي كلمة " ذكرا " (٤) وقد يكررها بعد بيتين فقط كقوله " ان التسابق للعلاء فخار" ثم بعد بيت واحد فقط قال : " طلب السلام من الكمي فخار "(٥) .

بل إن الشاعر يذهب أبعد من ذلك ، حين يجعل القافية واحدة في بيتين متتاليين في قوله :

ما كان ما كان إلا من تفرقنا ... إن التفرق تلفي غبه النكدا
كل يقول أنا فرعون فانتظموا ... تحتي عبيدا وإلا سمتكم نكدا (٦)

ومما وقع فيه الشاعر من عيوب القافية " الإقواء" وهو اختلاف حركة الروي في القافية ، أو ماعرف بـ " اختلاف الإعراب " (٧) ولكنه غير مطرد لديه، إذ لم يتجاوز مثالين في حدود ما تمكنت من استخراجه ، كقوله :

---

١. أبو الحسن بن سعدة الأخفش ، كتاب القوافي ، تحقيق د. عزة حسن . دمشق ١٩٧٠ ، د.ط ص ٥٥ .
٢. وذلك مثل تكراره لكلمة الجنود ، انظر الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٧٤ ، ٧٥
٣. المصدر السابق ، ص ١٩ .
٤. المصدر السابق ، ص ٢٠ .
٥. المصدر السابق ، ص ٨٩ .
٦. أبوسرور : الديوان المخطوط ، القوميات ، ص ٥٧ .
٧. القاضي أبو يعلي التنوخي ، كتاب القوافي مصدر سابق ، ص ١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تبك من خصم وترجو نصـــرة من خلــه هيهات ليس بمنجـع
فإلى متى هذي الشعوب رهائـــن بيد العدى أفلا تفك فتدفـــع
يا عالم العرب البواسل في الوغى اربأ بنفسك أن تصاد بمخدع (١)

وكذلك قوله في قافية مفتوحة اللام مع سكون الهاء ،

قف على المجد وارد اسلسبيله واحمد الله إذ حباك وصولـــه

ثم قال :

قد أداروا الحمام كأسا شهيـــا في هدى الله حبذا مـن ينيلـــه
ويك لو يقبل الحمام فـــــداء لافتدينا منهم فتى بقبيلـــــــه (٢)

ومن ذلك أيضا عيـب " السناد" وهو كل فساد قبل حرف الروي "(٣) مثل قول الشاعر :

أما تعلميني شربت الهـــوى مزاجا مصفى فهل تتكريـــن
ونلت بكأسي خمر الصبـــا ومن كأسك الحلو عندي فنون (٤)

وهذا هو البيت الوحيد الذي شذ عن بناء القافية التي بناها الشاعر على الواو والنون .

---

١. أبو سرور : ديوان بقايا الأدب ، ص ٥٠ .
٢. المصدر السابق ، ص ١٢٨ .
٣. أبو الحسن بن سعد الأخفش : كتاب القوافي ، مصدر سابق ، ص ٩٣ .
٤. أبو سرور : ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- الموسيقى الداخليـة

وكمـا تكـون الموسـيقى الخارجيـة (الأوزان والقوافـي) مـن مسـتلزمات الشعر الموسيقية ، باعتبارها الإطار الذي يمنع القصيدة من التبعثر فـإن الموسـيقى الداخلية في القصيدة والتي هي " ترجيع منظم في حروف الكلمات داخل البيت الواحد أوالأبيات "(١) تكتسب أهمية خاصة ، بما تمنحه كلماتها من قيم جمالية ، فتأتي من طبيعة البناء اللفظي للكلمة داخل البناء الشعري ٠ لما تشكله الكلمة من جرس موسيقي خاص ، ولا نحتاج إلى كبير عناء في الاستدلال على ما عابه بعض النقاد ؛ على عدد من الشعراء في استخدامهم كلمات ثقيلة على السمع صعبة في مخارجها ؛ على الرغم من صحتها اللغوية ، لذا ينبغي على الشاعر وهو ينظم قصيدته ، أن يختار ألفاظه متناسبة مع الذوق الشعري وصحة النغم ، ومتسقة مع الغرض في القصيدة الشعرية ٠ وبالتالي فإن على الشاعر المقتدر أن يختار كلماته المتسقة مع موضوعه ، وأن يفاضل بين الألفاظ ليختار أقربها إلى تكوينه الشعوري ويحملها طاقة تعبيرية ٠ فالجرس الداخلي للكلمة ، بما تمثله من أداة تأثيرية ، وبما توحيه من تناسق لفظي ، يضفي على الإيقاع العام للقصيدة قيما تعبيرية، ودفقات شعورية تتلاءم وطبيعة المتلقي " حيث يشكل التلاؤم الصوتي بين الألفاظ ضربا من التناغم "٠ (٢)

و" الحديث عن الموسيقى الداخلية تكتنفه الصعاب والمخاطر ، لصعوبة التحدث عنه في شعر القدماء والإحيائيين على السواء ، غير أنه مهما كانت هذه الصعاب من القوة ، فإن ذلك لن يحول دون محاولة التعرف إلى طبيعة هذه الموسيقى "(٣) ٠

وقارىء شعر أبي سرور يلحظ سهولة ألفاظه ، وعذوبة مخارجها ، وإن لم يول الشاعر المحسنات البديعية ، اهتماما وافرا ، وليس مصادقة القول : أن ماجاء بين أبيات قصائده من تناغم لفظي ، عائد إلى إيقاعات لفظية مرتبطة بتكرار الحروف وتلاؤمها مع درجة التوتر العاطفي المتصل بموضوع القصيدة ٠

---

١٠ عبدالقادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ص ٢٣٥ ٠

٢٠ ماهر مهدي هلال ، جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، ص ٢٢٣ ٠

٣٠ د٠ إبراهيم السعافين : مدرسة الاحياء والتراث ، ص ٣٩٨ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحس المرء وهو يقرأ بعض قصائد أبي سرور ، بمدى العناية التي يبذلها في اختيار ألفاظه وتشكيل كلماته ، إذ نجد في كثير منها ألفاظا ذات رنين موسيقي أخاذ ، بما احتوت عليه من حروف الصفير السين والصاد ، وكذلك حرف الراء ، كقصيدته الغزلية التي يقول فيها :

تعالي بجنبي حول الغدير على نغمات طيور الغصـــون
تغني الطيور وقد حفنـــا من النرجس الزهر حفظا عيون
عيون تعودن كتم الهوى وفي الحب أكرم بمن يكتمـــون
عيون إذا نعست عيننـــا فما للنعاس عليها ديـــــون (١)

فالقصيدة كلها على هذا النمط من الإيقاعات الموسيقية ، فضلا عما يحدثه تكرار بعض الحروف من رنين موسيقي ، كان له دوره في تغذية الطرب الموسيقي في القصيدة ، ففي البيت الأول كرر الغين في ثلاث كلمات ، والنون في ثلاث كلمات والعين في كلمتين وكرر حرف النون في الثاني أربع مرات فضلا عن التنوين، وجانس بين عيون وتعودن في البيت الثالث حيث منحها نغمة موسيقية ، أما البيت الرابع فكررفيه حرف العين خمس مرات ، كل ذلك يأتي في صورة عفوية أضفت على القصيدة لونا من المرح ، أخذ ذروته وهو يخاطب المحبوبة قائلا لها:

فأن شئت صبحا فوقت الصباح يلذ الغرام لمن يعشقون .....

وان شئت ظهرا فلا تحشيـــن رمـــاح الرقيب فرمحي منون
وإن شئت عصرا فيا حبـــذا فوقـــت اختلاس لمن يرغبون
وإن شئت بعد العشا فالهنـــا وراء العشـاء لمن يلتقـــون
هناك يهب النسيم البليل ليوقظ جفنا وتغضي جفـــــون (٢)

ويعد التكرار من أبرز صور التناسق التي تقوي النغم في الشعر وتزيده رنة موسيقية ، بما تركزه إعادة الكلمة من تقوية في الأداء الموسيقي لها ، ولما تشكله من أهمية تثير في نفس الشاعر حالة من الرغبة لإعادتها مرة تلو أخرى ، ففضلا عما تشكله الكلمة المكررة من قيمة أدائية في المعنى ، فإنها تضيف على النص (القصيدة) جوا من الموسيقي الداخلية ، ومن هنا يأتي جمال تكرار الشاعر لبعض الألفاظ في ارتكازها الموسيقي حين يقول :

---

١. أبو سرور ، ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ٥٣ .
٢. المصدر السابق ، ص ٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإنا جنود لمن ساسنـــــا بشرع الإله العزيز الجليـــل
فمنا الجنود ومنا الأئمـــة منا الملوك ومنا الفحـــول
ونحن المدافع نحن الوغى ونحن الصواريخ يوم الذحول *
وأوسع قبر لأبطالنـــــا بطون القنابل ليس التلـــول (١)

إن توسل الشاعر بمثل هذا التكرار النغمي يؤكد الموسيقي الداخلية ويمنحها نغمة خاصة ، بتكراره لهذا الحشد من الكلمات " منا " ثلاث مرات ، و" نحن " ثلاث مرات ، وأحيانا يكرر الصيغة الصرفية كما في " أجمل " و " أوسع " فضلا عما احتوت عليه الكلمات الداخلية في الأبيات من موسيقى تصلح لأن تكون نشيدا يغنى في المحافل .

ويكرر الشاعر كلمة بعينها في مطلع عدة أبيات ، ليشيع جوا من الموسيقى الداخلية ، بما يثري وقعها الصوتي ، ويقوي دورها الدلالي ، يظهر ذلك في قوله :

تعالي تعالي فما لي اصطبار .....
تعالي تعالي ولا ترهبـــي .....
تعالي لأجني بخد الهـــوى .....(٢)

فليس خافيا الدور الذي أدته كلمة " تعالي " من إضفاء حالة موسيقية معبرة عن مدى انفعال الشاعر .

ويأتي التكرار للحرف الذي يشيع أيضا جمالا موسيقيا ونغما داخليا ، يمنحه الشاعر نصه ، فيعبر عن مشاعره ، فحين يقول :

أتبرق لي لدى ملء شهـــود أصبت بصدمة من صدغيـــد
فوا ألمي وجدت شباب قومي وقد صرعوا بخاصرة وجيد

إذ أن تكرار الشاعر لحرف الصاد وحرف الدال المكسورة عبر عن خيبة أمله في شباب اليوم ، فكان حرف الدال ينزل بوقعه المدوي ، وكأنه يوحي بصرير أسنان الشاعر الغاضبة .

---

١. أبو سرور : ديوان باقات الأدب ، ص ٥٤ .
٢. أبو سرور : ديوان إلى أيكة الملتقى ، ص ١٢٤ .
* الذحل : الثأر ، وقبل طلب مكافأة بجناية جنيت عليك ، أو عداوة أتيت إليك، وجمعه أذحال وذحول ، ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ١١ ص ٢٥٦ مادة " ذحل " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخيرا فإنه على الرغم من عدم اهتمام شاعرنا بالمحسنات اللفظية ، إلا أن ما تناثر منها عفو الخاطر في ثنايا قصائده على قلة في استخدامها ، أتاحت تنويعا موسيقيا أدى إلى دفع الرتابة الناشئة عن الوزن الخارجي مما منح القصيدة تقفية داخلية . فتآلفت الموسيقى الداخلية مع الموسيقى الخارجية ، وتلاءمت أجراسها ودلالاتها وذلك مثل قوله :

خير الورى خلقا أعلا همورتبا أسماهمو هممما ما ثار ثائره (١)

وقوله واصفا القادة العمانين الأوائل :

فقرت بهم عينا وطالت بهم يدا وتاهت بهم فخرا وزانت بهم ذكرا (٢)

حيث لا يخفى ما في هذا التقسيم من رنة موسيقية تعانقت مع الوزن فشكلا معا صورة موسيقية لا سيما وأنها جاءت عفو الخاطر لا تصنع فيها بدليل قلة ورودوها عنده .

ومن هذا القبيل أيضا قوله :

المور دون النفس أحواض الردى والحاكمون صواعدا وصوادعا (٣)

أو أن يجانس الشاعر بين كلمتين في قوله :

كم شمخنا بالأمس أنفاعتوا عابرين الأثير لا عابئينا (٤)

وكذلك في الموسيقى الناشئة عن المطابقة في قوله :

والحر يسعى للعلى لا ينثني سيان صادف عذبها أو صابها (٥)

---

١. أبو سرور : ديوان باقات الأدب ، ص ١٣ .
٢. أبو سرور : الديوان المخطوط ، الوطنيات ، ص ١٨ .
٣. أبوسرور : ديوان باقات الأدب ، ص ٨٥ .
٤. المصدر السابق ، ص ٨٦ .
٥. المصدر السابق : ص ٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

كانت حصيلة الباحث في دراسته لهذا الشاعر وأعماله ، أنه توصل إلى بعض الملاحظ والنتائج التي تخص الشاعر ، وإبداعه ، والشعر العماني بعامة ، ومنها :-

أولا" : فيما يخص الشعر العماني ، فإن الباحث ما زال يشعر أن أرضه بكر ، تنتظر مزيدا من جهود الباحثين ، عمانيين وغيرهم ، لإغناء دراسته وإثرائها بما يعود بالخير على الأمة وآدابها . وإن هذه الدراسة ما هي إلا خطوة متواضعة في هذه السبيل ، وينعقد الأمل على المواصلة .

ثانيا" : لقد ظهر جليا أن مصادر التجربة الشعورية ، لها أثر بعيد في تحديد الاتجاهات والموضوعات الشعرية ، وتعميق بعضها دون الآخر ، وهذا ما يفسر لنا سر اهتمامه بغرض الفخر ، أو التغني بعمان ، تاريخا وحضارة . كما تركت الميول السياسية في بداية حياته ، لمساتها على قصيدته ، لا سيما تلك القصائد ، التي كتبها وهو بعيد عن الوطن ، إثر نشاطه السياسي ، حيث عبرت تلك القصائد عن إحساسه بالغربة المشوب بالحنين ، والشعور بالمرارة من الأوضاع السياسية.

وليست مصادر التجربة الشعورية العامة وحدها التي تركت أثرها فيه ، بل إن تجربته الحياتية الذاتية ، بكل ما فيها من صعوبة الحياة، وعنت الدهر معه، وقسوة الأيام عليه ، كل ذلك انطبع على شعره، بحيث يستطيع الباحث أن يقرر أن شعره كان تعبيرا صادقا عن وطنه وعن حياته .

ثالثا" : على الرغم من مصادر تجربته المتعددة التي أشرنا إليها ، لكننا لا نراه يصدر عن اتجاه أدبي ، أو مدرسة بعينها ، فالشعر كان عنده فطرة حاول صقلها بثقافة محدودة ، تقتصر على الجانب التراثي والتمسك به ، نأت - إلى حد بعيد - عن متابعة فروع الثقافة ، ومنجزات القصيدة الحديثة على المستوى العربي والعالمي . مما حرم قصيدته من الانعتاق من أسر الدوران في جدران المصدرية التراثية ، وبالتالي ضاعت على الأدب العماني فرصة استثمار إمكانية شعرية ، كان يمكن أن تكون علامة في تطور الحركة الشعرية الحديثة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعـــا" : لعل الشاعر يعد متفردا ، أو متميزا من بين أبناء جيله ، في طرح القضيـة القوميـة ، إلـــى جانـــب القضيـــة الوطنيـــة . وقد إحتلت " فلسطين" مساحة واسعة في إبداعه الشعري ، وهو متفرد أيضا بين أولئك الشعراء في دعوته إلى اعتماد (الشورى) المستندة إلى التراث ، المستمدة من واقع الأمة العربية وحاجاتها في آن معا .وكان في قصائده الوطنية ، صريحا مباشرا ، لم يتستر بقناعات وأغطية .

خامســا" : عبر الشاعر عن معاناته الوجدانية ، بشكل واضح ، لم يأبه بما يمثله من كونه قاضيا فقيها ، فصرح بحبه ، وكشف الستار عن دخائل نفسه ومكنوناتها. فنادى المحبوبة ، وناجي الطبيعة ، وهنا تنازع الشاعر اتجاهان : اتجاه رومانسي، من حيث المعالجة الموضوعية ، ومناجاة الطبيعة والهروب إليها، وإشارته إلى حالته النفسية البائسة ، وإن قصر الشاعر عن بلوغ هذه المرتبة ويأتي الاتجاه (الكلاسيكي) التراثي وسيلة الشاعر الفنية ، التي يعتمدها للتعبير عن هذه الموضوعات .

سادســا" : كان لمهنة التعليم التي مارسها الشاعر ، أثر كبير على لغته الشعرية ، التي تميزت بالسهولة والوضوح والمباشرة في الخطاب ، بداعي إيصال الفكرة الى الملتقين في سهولة ويسر . كما أن الرؤية التقليدية للشعر ، باعتبار وظيفته الاجتماعية كان سببا آخر في تعامله مع اللغة تعاملا وظيفيا مما أوقعه – أحيانا كثيرة – في اقتصار استخدامه للجانب المعجمي من المفردات ، دون استثمار ما في الكلمات من طاقات إيحائية .

سابعـــا": أبوسرور شاعر مكثر . وغزارة نتاجه الشعري أدت به إلى تكرار معانيه وألفاظه ، فظل يعيد الفكرة المرة تلو الأخرى ، فيقع في شرك تكرار المعاني في غير موضع من موضوعات قصائده . كما كشفت ذلك الدراسة .

ثامنـــا": آتخذ الشاعر الأسلوب القصصي والحكائي ، وسيلة من وسائل التعبير ، بحيث جعله أحد الوسائل التي كان يبث آراءه من ورائها ، ويخفي صوته خلف جدارها ، لتحقيق مآربه الذاتية والوطنية والقومية والاجتماعية .وقد أفاد من الموروث الشعبي في استيحاء قصصه ، وإن كان ذلك لا يعني إدراكه لشروط

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القصص الشعري وعناصره ، وإنما كان حسبه ، أن يستثمر موروثه الشعبي والتراثي في صياغة قصصه ، التي أغلب ما عالجته قضايا سياسية واجتماعية ٠

ومع أن الشاعر معاصر ، لكن ارتباطه بالتراث ، ظل أقوى من المعاصرة ، حين مضى يتمثل الصيغ والتراكيب الجاهزة ، فنالت اهتمامه، وعمد إلى إدخالها في قصيدته ، على نمط من الأنساق المرسومة، لكن الشاعر وإن تمثل هذه الصيغ والتراكيب ، إلا أنه لم يخضع لسيطرتها القاموسية ، إذ استطاع أن ينقل تجربته – بصدق – من خلالها ٠ فهي في حقيقتها تنتمي إلى التراث من جهة ، وتنتمي إلى الشاعر نفسه من جهة أخرى ٠ وقد تجلى تأثره بالتراث من خلال عدة محاور تم رصدها في دراسة لغة الشاعر ٠

تاسعا": جاءت الصور الشعرية عنده قليلة ، وكان يلجأ إليها بعفوية ، دون أن يكد ذهنه ، أو يشغل خياله في تشكليها ٠وكانت الحياة والمرأة والطبيعة ، هي الأساس، الذي استمد منه الشاعر صوره ٠ وقد تبين أن المرأة والطبيعة استحوذت على النصيب الأكبر من تشكيل الصورة عنده٠لا سيما حين يبث هذه الطبيعة أحزانه ويتقاسم معها آلامه ٠

عاشرا" : من اللافت في شعر أبي سرور ، كثرة تنقيحاته وإصلاحاته في شعره، التي اتخذت أشكالا متعددة ، وتباينت الأسباب حول هذه التنقيحات ، وكانت رغبة الشاعر في الجدة ومسايرة الواقع سببا رئيسا في ذلك ٠ وتبين للباحث أن اهتمام الشاعر بشعره ، وكثرة نقله من مخطوطة إلى أخرى ، ومداومة مراجعته مرة تلو أخرى ٠ كانت هي الأخرى ، أسبابا في التغيير والإصلاح ٠ ومن هنا تباين نجاح الشاعر في إحداث هذا التغيير ، فبينما نجح حين كان الإصلاح ناشئا عن اضطراب أو قلق في العبارة ، أو محاولة تكثيف المعنى ، نراه قد أخفق عند محاولته جعل القصيدة مسايرة للواقع المعيش ، وتمثل ذلك في حذف أبيات من صلب القصيدة الرئيسة ، وإضافة أبيات عديدة إليها ، مما جعلها غريبة على جسم القصيدة الأولى ٠

حادي عشر : يستطيع الباحث أن يقرر من خلال دراسة شعر أبي سرور، أن إقامة صلة بين الغرض الشعري والوزن ، أمر لا يمكن أن يؤخذ به ، ذلك أن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدراسة أظهرت أن أي بحر عروضي ، قابل لأن يحتضن القصيدة في كل غرض من أغراضها ، وأن الغرض الواحد يمكن أن ينتظم في سلك أي من الأوزان الخليلية ٠

لقد أظهرت إحصائيات شعر أبي سرور ، أن الشاعر حصر أوزانه الشعرية في ثمانية بحور هي : البسيط - الكامل - الطويل - الوافر - الخفيف - المتقارب - السريع - الرجز - أي أنه استخدم نصف الأوزان العروضية ، وانتظم شعره في جميع دوائر الشعري العربي ٠ ومجيء معظم قصائد الشاعر على هذه البحور ، ينسجم مع ما هو متعارف عليه من شيوع هذه البحور في الشعر العربي القديم ٠ وهنا يلاحظ تأثره بالشعر القديم ، حين استمد ما تيسر له من مخزون ذهني فى أوزانه ، وعلى الرغم من التزام الشاعر القافية الموحدة بأنواعها المختلفة، إلا أن الباحث وجد أن الشاعر قد مال إلى التنويع في قوافي بعض قصائده، أو أناشيده على وجه الخصوص ٠

وأخيرا" : فإن الشاعر قد طرق معظم أغراض الشعر العربي التقليدية، إلا المدح والهجاء ، فإنه لم يتطرق إليهما ٠ ولعل اعتداده بنفسه كان سببا في ابتعاده عن شعر المديح ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجـــــع

١. القرآن الكريم .

٢. إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، دار القلم - بيروت - ط٤ -١٩٧٢م .

٣. د.إبراهيم السعافين ، مدرســـة الإحيـــاء والتراث ، دراسة في أثر الشعر العربي القديم على مدرسة الإحياء في مصر ، دار الأندلس للطباعة والنشر - بيروت ، ط١-١٩٨١م .

٤. ابن أبي الأصبع المصري ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجـــاز القـــرآن ، تحقيق د. حنفـــي محمد شرف - لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة ، ١٣٨٣ هـ .

٥. ابـــن حجر العسقلانـــي ، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني ، العسقلانـــي ، المعـــروف بابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتب العلمية - بيروت ، دون ث .

٦. ابن حـــزم الأندلســي ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ، تحقيق صلاح الدين القاسمي ، الدار التونسية للنشر - ١٩٨٦م.

٧. ابـــن رزيـــق ، حميـــد بـــن محمـــد بن رزيق ، الفتح المبين في سيرة البوسعيديين، تحقيق عبدالمنعم عامـــر ، ومحمـــد مرسى عبدالله ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

٨. ابـــن رشيق ، الإمـــام أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابـــه ، تحقيق : محمد قرقزان - دار المعرفة ، بيروت ، ط١، ١٩٨٨م .

٩. ابن سعد ، ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري ، الطبقات الكبرى ، المجلد السابع ، دار إحياء التراث ، بيروت دون تاريخ .

١٠. ابن عصفور الإشبيلي ، ضرائر الشعر ، تحقيق السيد ابراهيم محمد ، دار الأندلس ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٢م .

١١. ابـــن قتيبـــة ، أبو محمـــد عبداللـــه بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، الشعر والشعـــراء، حققه وضبط نصه ، د. مفيد قميحة ، والأستاذ نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢. ابـــن معصوم المدنـــــي ، أنوار الربيع في البديع ، الجزء الخامس ، حققه وترجم لشعرائه ، شاكـــر هادي شكر ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ط١،١٩٦٩م .

١٣. ابـــن منظور ، العلامة جمال الدين ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، دون تاريخ .

١٤. أبو اسحاق الحصري ، ابراهيم بن علي الحصري القيرواني ، زهر الآداب وثمـر الألباب ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، ضبط وشرح د.زكي مبارك ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٢م .

١٥. أبـــو زيد ، محمد بن أبي الخطاب القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، شرح وضبط وتقديـــم : علـــي فاعـــور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٢م.

١٦. أبـــوسرور ، حميد بن عبدالله الجامعي ، ديوان باقات الأدب ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٥م.

١٧. أبـــو سرور ، ٠٠٠٠ ، ديـــوان إلـــى أيكة الملتقى ، دار الإتحاد العربي للطباعة القاهرة ، ١٩٧٨م.

١٨. أبـــو سرور ، ٠٠٠٠ ، الفقه في إطار الأدب ، المطبعة الشرقية ومكتبتها ، سلطنة عمان ، مسقط ، ط١ ، ١٩٩٠م .

١٩. أبـــو سرور ، ٠٠٠٠ ، بغية الطلاب ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩١م .

٢٠. أبوسرور، ٠٠٠٠ ، رياض الحكماء ، في أشعار الحكمة مخطوط .

٢١. أبوسرور ، ٠٠٠٠ ، ديوان أبي سرور، مخطوط في ثلاث مجلدات .

٢٢. أبوسرور ، ٠٠٠٠ ، إبهاج الصدور ، شرح ألفية أبي سرور ، مخطوط .

٢٣. أبوسرور ، ٠٠٠٠ ، محمـد صلـــى اللـه عليه وسلم ، مجاهدا ، غازيا ، فاتحا، ومودعا ، مخطوط .

٢٤. أبـوالطيب المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، دارالمعرفة ، بيروت ، دون تاريخ .

٢٥. أبـو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين الأصفهاني ، الأغاني ، منشورات دار الفكر ، بيروت ، ١٩٥٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٦. أبو مسلم ، ناصر بن سالم بن عديم الرواحي ، ديوان أبي مسلم الرواحي ، مخطوطة مصورة لدى الباحث .

٢٧. أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ، الصناعتين ، تحقيق : د. مفيد قميحة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤م.

٢٨. (سماحة الشيخ) أحمد بن حمد الخليلي ، جواهر التفسير ، مكتبة الاستقامة ، سلطنة عمان ، ط١ ، ١٩٨٤م ، الجزء الأول .

٢٩. أحمد بن سعود السيابي ، مازن بن غضوبة ، (وهو الكتاب الثالث في سلسلة " من أعلامنا ") مطبعة العنان ، سلطنة عمان ، ١٩٩٠م.

٣٠. أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٥ ، ١٩٥٥م .

٣١. د.أحمد شلبي ، عمان في التاريخ من اقدم العصور حتى الآن ، بحث مقدم لندوة الدراسات العمانية ، ١٩٨٠م ، نشر ضمن كتاب حصاد ندوة الدراسات العمانية ، القاهرة ، ط٢،١٩٨٦م، المجلد الأول .

٣٢. أحمد شوقي ، الشوقيات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١٠ ، ١٩٨٤م

٣٣. أحمد عبدالسيد الهادي ، النقد التحليلي عند عبدالقاهر الجرجاني ، دراسة مقارنة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩م.

٣٤. الأخفش : أبو الحسن بن مسعدة الأخفش ، كتاب القوافي ، تحقيق د.عزة حسن ، دمشق ، ١٩٧٠م .

٣٥. أسامة بن منقذ ، البديع في نقد الشعر ، تحقيق د.أحمد بدوي ، ود.حامد عبدالمجيد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

٣٦. (بروفسور) إكلمان ، المعارف الدينية في عمان الداخلية ، بحث مقدم لندوة الدراسات العمانية ، ١٩٨٠م ، نشر ضمن كتاب : حصاد ندوة الدراسات العمانية ، المجلد السابع ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٦م.

٣٧. أكمل الدين ، محمد بن محمد بن محمود ، شرح التلخيص ، دراسة وتحقيق د. محمد مصطفى رمضان صوفية ، المنشأة الشعبية ، ليبيا ، ط١ ، ١٩٨٣م.

٣٨. البارودي ، محمود سامي البارودي باشا ، ديوان البارودي ، حققه وضبطه وشرحه ، علي الجارم ، ومحمد شفيق معروف ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٩٢م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٩. بدر بن سالم العبري ، الأفلاج العمانية ونظامها ، بحث مقدم لندوة الدراسات العمانية ، ١٩٨٠م ، نشر ضمن كتاب : حصاد ندوة الدراسات العمانية ، المجلد الثالث ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

٤٠. الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، الجامع الصحيح ، وهوسنن الترمذي ، الجزء الخامس ، تحقيق وتعليق ابراهيم عطوة عوض، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، دون تاريخ .

٤١. التنوخي ، أبو يعلى عبدالباقي بن الحسن التنوخي ، كتاب القوافي ، تحقيق عمر الأسعد ، ومحيى الدين رمضان ، دار الإرشاد ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٠م.

٤٢. الثعالبي ، يتيمة الدهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

٤٣. الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مطبعة الخانجي ، ١٩٦١م.

٤٤. الجاحظ ، .... ، الحيوان ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - القاهرة ، ١٩٦٥م .

٤٥. د.جمال زكريا قاسم ، دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا ، مكتبة القاهرة الجديدة ، ١٩٦٧م .

٤٦. حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٦م .

٤٧. حافظ ابراهيم ، ديوان حافظ إبراهيم ، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه ، أحمد أمين وآخرون ، دار العودة للنشر ، بيروت ، دون تاريخ .

٤٨. (الشيخ) حمد بن عبيد السليمي ، قلائد المرجان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، المطبعة الشرقية ومكتبتها ، مسقط ، ١٩٨٣م.

٤٩. خالد يحيى العزي ، الواقع التاريخي والحضاري لسلطنة عمان، مكتبة الدار القومية للكتاب العربي ، بغداد ، ١٩٨٦م.

٥٠. سالم بن حمود السيابي ، عمان عبر التاريخ ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، المطبعة الشرقية ومكتبتها ، مسقط ، ١٩٨٢م.

٥١. سالم حمود السيابي ، العنوان عن تاريخ عمان ، دون تاريخ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٢. د٠سعيد الأفغاني ، أسواق العرب في الجاهية والإسلام ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٣، ١٩٧٤م ٠

٥٣. السعيد محمد بدوي وآخرون ، دليل أعلام عمان ، جامعة السلطان قابوس ، المطابع العالمية ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط١،١٩٩١م٠

٥٤. سليمـــان البستاني ، إلياذة هوميروس ، معربة نظما ، مصدرة بمقدمة في هوميروس وشعـــره ، وآداب العـــرب واليونان ، بقلم سليمان البستاني ، مطبعة الهلال بمصر عام ١٩٠٤م ٠

٥٥. سليمـــان بـــن خلف الخروصي ، دولة اليحمد في عمان ، بحث مقدم لندوة الدراسات العمانيـــة ، ١٩٨٠م ، نشر ضمن كتاب : حصاد ندوة الدراسات العمانية ، القاهرة المجلد الأول ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م٠

٥٦. ســـي دي لويـــس ، الصـــورة الشعريـــة ، ترجمة أحمد نصيف الجنابي وآخرون، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٢م٠

٥٧. سيـــدة إسماعيـــل كاشـــف ، عمان في فجر الإسلام ، دار جريدة عمان للصحافـــة والنشر ، وزارة التـــراث القومـــي والثقافة ، سلطنة عمان ، ط٣،١٩٨٩م٠

٥٨. سيمون عساف ، الصور الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢م٠

٥٩. (الإمـــام) الشافعـــي ، محمد بن إدريس الشافعي ، ديوان الشافعي ، جمعه وحققه وعلق عليه ، محمد زهدي يكن ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦١م٠

٦٠. شوقـــي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، دار المعارف ، مصر ، ط٥ ، ١٩٦٥م ٠

٦١. شوقي ضيف ، في النقد الأدبي ، دار المعارف ، مصر ، دون تاريخ ٠

٦٢. صـــادق يلـــي ، ٥٠٠ قلعة وحصن تروي التاريخ بسلطنة عمان ، مجلة العربي الكويتية ، عدد ٢٨٠ ، مارس ١٩٨٢م ٠

٦٣. طـــراد الكبيسي ، كتـــاب المنزلات ، الجزء الأول ، منزلة الحداثة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٢م ٠

٦٤. عائشـــة علي السيار ، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا ، دار القدس ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٥م٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٥. د٠عاطـــف جـــودة نصر ، الرمز الشعري عند الصوفية ، دار الأندلس ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٨م ٠
٦٦. د٠عبدالحميد جيدة ، مقدمة لقصيدة الغزل العربية ، بيروت ، ط١،١٩٩٢م
٦٧. عبدالفتاح صالـــح نافـــع ، عضوية الموسيقى في النص الشعري ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط١ ، ١٩٨٥م ٠
٦٨. د ٠ عبدالقادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، نشر بدعم من جامعة اليرموك ، إربد ، الاردن ، ط١ ، ١٩٨٠م ٠
٦٩. عبـدالمنعم تليمـــة ، مـــداخل إلى علم الجمال الأدبي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨م ٠
٧٠. عبـــدالله الطيـــب المجذوب ، المرشد إلى فهم اشعار العرب وصناعتها ، مصر ، ط١ ، ١٩٥٥م ٠
٧١. عبدالله بـــن علي الخليلي ، مقالة عن ابي سرور ، جريدة عمان ، السبت ١٨ أغسطس ، آب ١٩٧٣م ٠
٧٢. عبدالله بن علي الخليلي ، ديوان من نافذة الحياة ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٣م ٠
٧٣. عبدالله بـــن علي الخليلي ، بين الفقه والأدب ، مطابع النهضة ، سلطنة عمان ، نشر وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨٨م ٠
٧٤. عبـــدالله بـــن علي الخليلي ، ديوان وحي العبقرية ، مطابع سجل العرب ، مصر ، ١٩٧٨م ٠
٧٥. د٠عدنـــان حسين قاسم ، الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر في مصر المنشأة الشعبية ، ليبيا ، ط١ ، ١٩٨١م٠
٧٦. د٠ عـــدنان حسين قاسم ، التصوير الشعري ، التجربة الشعورية وأدوات رسم الصورة الشعرية ، المنشأة الشعبية ، ليبيا ، ط١ ، ١٩٨٠م ٠
٧٧. د٠ عـــزالدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، مكتبة غريب ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، دون تاريخ ٠
٧٨. د٠عـــزالدين إسماعيل ، الأسس الجماليـــة في النقد العربي ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ط٣ ، ١٩٨٦ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٩. د٠علي عباس علوان ، تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، اتجاهات الرؤيـــا وجمالات النسيج ، منشورات وزارة الإعلام ، جمهورية العراق ، ١٩٧٥م٠

٨٠. د٠علـــي عبدالخالق دومة ، الشعر العماني ، مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٦م٠

٨١. علي البطل ،الصورة في الشعر العربي ، حتى آخر القرن الثاني الهجري ، دار الأندلس ، بيروت ، ط٢، ١٩٨١م ٠

٨٢. عمر رضا كحالة ، جغرافية شبه الجزيرة العربية ، دمشق ، ١٩٤٥م ٠

٨٣. فالـــح أحمد فالح ، التنقيح والمعاودة عند الشعراء والنقاد العرب حتى نهاية القرن الرابـــع للهجري ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة ، سنة ١٩٨٨ مكتوبة على الآلة الكاتبة ٠

٨٤. الفيروز آبادي ، العلامة اللغوي مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القامـــوس المحيـــط ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٧م٠

٨٥. قدامـــة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي ، بيروت ، دون تاريخ ٠

٨٦. لوريمـــر ٠ ج٠ج ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، مكتب الترجمة ، أمير دولة قطر ، مطابع علي بن علي ، الدوحة ، قطر ، دون تاريخ ٠

٨٧. د٠ماهـــر حسن فهمي ، نزار قباني وعمر بن أبي ربيعة ٠٠، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ديسمبر ١٩٧١م ٠

٨٨. د٠ماهر مهدي جلال ، جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عنـد العـــرب ، دار الرشيـد للنشر، وزارة الثقافة والاعلام ، العراق ، ١٩٨٠م ٠

٨٩. د٠ مبارك بـن عبدالله الراشدي ، مازن بن غضوبة وأثر إسلامه على أهل عمان ، بحـــث مقـــدم لندوة " من اعلامنا " نشر ضمن كتاب ، مازن بن غضوبة السعدي ، مطبعة العنان ، مسقط ، ١٩٩٠م ٠

٩٠. (الشيـــخ) محمد بن إبراهيم الكندي ، بيان الشرع ، الجزء الثامن والستون ، مخطوطـة ، محفوظة بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة ، رقم (٢٤٠٤) سلطنة عمان ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩١. د. محمد أبو العلا محمد ، موقع عمان الجغرافي وعلاقاتها المكانية ، مطبعة الجبلاوي ، مصر ، ١٩٨٥م .
٩٢. (الشيخ) محمد بن راشد الخصيبي ، الزمرد الفائق في الأدب الرائق ، المطبعة الشرقية ومكتبتها ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٨٧م .
٩٣. (الشيخ) محمد بن راشد الخصيبي ، شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان ، المطبعة الوطنية ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ط٢ ، ١٩٨٩م .
٩٤. محمد رضا مبارك ، اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي ، تلازم التراث والمعاصرة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٣م .
٩٥. محمد بن عبدالله السالمي ، نهضة الأعيان بحرية عمان ، مطابع دار الكتاب العربي ، مصر ، دون تاريخ .
٩٦. محمد علي الزرقا ، عمان قديما وحديثا ، دمشق ، دون تاريخ .
٩٧. محمد علي سلطاني ، العروض وموسيقى الشعر العربي ، دمشق ، المطبعة الجديدة ، ١٩٨٢م .
٩٨. محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار نهضة مصر للطباعة ، دون تاريخ .
٩٩. د.محمد مصطفى هداره ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٨١م .
١٠٠. محمد مندور ، في الميزان الجديد ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٣م .
١٠١. د. محمد ناصر – الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته وخصائصه الفنية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م.
١٠٢. محمد الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١م .
١٠٣. محمود عبدالله الجادر ، شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، دراسة تحليلية ، دار الرسالة ، بغداد ، ١٩٧٩م .
١٠٤. د.مديحة أحمد درويش ، سلطنة عمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، دار الشروق ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٩٨٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠٥. مصطفى جمال الدين ، الإيقاع في الشعر العربي ، من البيت إلى التفعيلة ، النجف الأشرف - العراق ، ط٢ ، ١٩٧٤م .
١٠٦. مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية ، دار الأندلس ، بيروت ، دون تاريخ
١٠٧. مصنف مجهول ، كشف الغمة الجامعة لأخبار الأمة ، تحقيق ودراسة وتعليق ، إعداد أحمد عبيدلي ، دلمون للنشر ، قبرص ، ١٩٨٥م .
١٠٨. المقدسي ، شمس الدين ابوعبدالله محمد بن مفلح المقدسي ، المعروف بالبشاري ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط٣،١٩٩١م . ٤٥٧٣٠٢
١٠٩. موسى بن عيسى البكري ، كتاب السموط الذهبية ، مطابع النهضة ، سلطنة عمان ، ط١ ، ١٩٩٣م .
١١٠. نازك الملائكة ، سايكولوجية الشعر ومقالات أخرى ، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، ١٩٩٣م.
١١١. نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٧ ، ١٩٨٣م .
١١٢. ناصر الدين الأسد ، الشعر الحديث في فلسطين والأردن ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالمية ، ١٩٦١م .
١١٣. نور الدين السالمي ، تحفة الأعيان ، بسيرة أهل عمان ، المطابع الذهبية ، سلطنة عمان ، ١٩٩٣م .
١١٤. وليم فايس وآخرون ، عمان وتاريخها البحري ، وزارة الإعلام ، سلطنة عمان ، ١٩٧٩م .
١١٥. د. هشام الصفي وآخرون ، الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج ، مكتب التربية لدول الخليج العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨م.
١١٦. هلال بن سالم السيابي ، أبو سرور زعيم الغزل العذري ، مجلة الغدير ، سلطنة عمان ، مارس ، ١٩٨٢م .
١١٧. ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٥م .
١١٨. ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، دار الفكر ، بيروت ، ط٣،١٩٨٠م .
١١٩. د. يوسف حسين بكار ، بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، في ضوء النقد الحديث ، دار الأندلس ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

This thesis tried to reveal to readers apolitical personality from Modern Oman in order to give the image of literature in this country which complements its image in the whole Arab Land.

The personality in question is the Omani Poet Hamid bin 'Abdullah al-Jamil "Abu Surur" who took the lead in the literary and the Poetical forums outside Oman. This poet witnessed a historical and cultural change in Oman and the aspects of change in this country. He himself was one of the parties of change and it is important to see how he contributed to the cultural and literary development. The study in this thesis made use of the critical schools as well as of the hereditary and modern schools. It also made use of the environment of the poet.

The thesis consisted of a preface, two chapters and a conclusion, besides shedding light on the biography of the poet It studied the poet's environment from the historical and cultural sides. The cultural side dealt with the poet's city "Samail", and the biography of the poet.

The first chapter dealt with the subjects and was thus divided into the following:

Love Poetry

National and Islamic Poetry.

The Local poetry (Pertaing to Oman), Elegiac Poetry besides other subjects.

The second chapter dealt with the artistic traits of the poetry. This included the structure of the poem, its language, images and music.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The conclusion summed up the results of the study: sources of the poets and his sentiment aspirations. This accounts for the poet is special interest of boasting in regard to his country, besides his singing his national and Pan-Arab convictions. His method was easy and lucid and he dealt with the language in a rather conventional way.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit